

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الادبية

التذيل

تأليف

د. احمد فريد رفاعى

الناشر

شركة نوابغ الفكر



شركة نوابغ الفكر ، القاهرة

البريد الإلكتروني :

Nawabgh_elfakr@hotmail.com

هاتف: 25936402

فاكس: 27865553

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

التنزيل

تأليف : د/ احمد فريد رفاعى

ط-1 القاهرة : شركة نوابغ الفكر 2014

عدد الصفحات :

1- الانب العربى

1-العنوان

رقم الايداع : 2014/26935

الترقيم الدولي 8-35-6415-977-978:

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا
فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ: لَوْ غُيِّرَ هَذَا
لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا لَكَانَ سَيِّئًا
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تَرِكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ،
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّفْسِ عَلَى

جُمْلَةِ الْبَشَرِ . الْعَمَادُ الْأَصْفَحَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التذيل

بِسْمِ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
رُسُلِ اللَّهِ ، وَالِاسْتِمْسَاكُ بِعُرْوَةِ اللَّهِ ، وَالتَّمَسُّ
الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ ،
« وَبَعْدُ » فَهَذَا كِتَابُنَا الثَّالِثُ ، كِتَابُ التَّذِيلِ
عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ، رَاجِينَ أَنْ تَضْرِبَ فِيهِ بِكَدِّكَ
وَوَكْدِكَ ، فِي أَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِسَهْمِ
وَأَفْرِ ، وَتُصِيبَ مِنْ وَرَاءِ أَفَلَوِيْقِ زُعْمَائِهِ ، مِنْ
بُلْغَاءِ الْكُتَّابِ ، وَمَصَاقِعِ الْخُطَبَاءِ ، بِكِفْلِ زَاخِرٍ ،

وَتَذَوَّقَ مِنْ نِصَاحِ أَسَالِيْبِ أَقْطَابِهِ ، وَعُيُونِ
 كَلَامِهِ ، بِشَمَرٍ زَاهِرٍ ، وَوَجْهِ سَافِرٍ ، وَسَنَى نَاضِرٍ ،
 وَتَرْجِي بَعْدَ اسْتِيعَابِكَ لِمُفَصَّلِهِ وَمُجْمَلِهِ ، وَدُرَرِهِ
 وَغُرَرِهِ ، فِي حِذْقِ لُغَةٍ سَحْبَانَ عِنْدَ هَذِرِ الشَّقَاشِقِ ،
 وَأَنْ تَمْضِيَ بَعْدَ اسْتِزَادَتِكَ مِنْ أَسَالِيْبِ الْأَوَّلِ ،
 ثَابِتَ الْقَدَمِ ، ضَلِيعَ الْمَادَّةِ ، ذَرِبَ اللِّسَانِ ،
 فَتُصِيبَ الْهَدَفَ بِالْكَلِمِ الرَّوَاشِقِ ، وَلَيْسَ لَنَا
 مِنْ نَصِيحَةٍ نَتَقَدَّمُ بِهَا إِلَيْكَ ، إِلَّا أَنْ تَتَدَرَّعَ
 بِالصَّبْرِ وَالْجَلْدِ ، فِيمَا أَخَذْتَ نَفْسَكَ بِهِ مِنْ طُولِ
 مَرَانِهَا عَلَى الْإِطْلَاعِ ، وَدُوْؤِهَا إِيكَابِكَ عَلَى مُسْتَدِيمِ
 رِيَاضَتِهَا ، وَإِدْمَانِكَ فِي مَعْدَاتِكَ وَمَرَاكِتِكَ تَنْمِيَةً
 بِضَاعَتِهَا ، وَقَرْعِكَ الْحَازِمِ لِشَبَابَةِ شَكِيمَتِهَا ،

وَمُتَطَّلِعَ شَهْوَتَهَا ، وَإِضْرَامِكَ الصَّادِقِ لِحَذْوَةٍ
 حَمَاسَتَهَا ، وَأَوَارِ حَرَارَتَهَا ، وَتَغْذِيَتِكَ بِرَائِعِ الْأَدَبِ
 وَنَافِعِ الْعِلْمِ حِمِيَّةَ رَغْبَتَهَا ، وَنَأْمُلُ بِمَا رُكِّبَ فِيكَ
 مِنْ كِيَاسَةِ الْمُسْتَرِيدِ ، وَحَزَامَةِ الْمُسْتَفِيدِ ، وَأَصَالَةِ
 الْمُرِيدِ ، أَنْ تَصِلَ إِلَى تَحْقِيقِ لُبَانَتِكَ ، وَتُسَعَفَ
 بِذَبِيلِ أُمْنِيَّتِكَ . فِي حَمَاسَةِ الطَّالِبِ وَحَزَامَةِ الرَّاعِبِ .
 وَسَنَحْدِثُكَ فِيهِ بِمَنْهَ وَفَضْلِهِ عَنِ الرِّسَالَةِ الْعُذْرَاءِ
 ثُمَّ نَعْرِجُ بِكَ كَمَا أَرْثَنَاهَا بِالْقَوْلِ مَعَكَ ، عَلَى مَا رَوَاهُ
 ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَبْوَابِ الْبَيَانِ ، وَكُتِبَ الْأَمَانِ ، ثُمَّ
 نُشْرِفُ بِكَ عَلَى شَتَاتٍ مِنْ أَمْشَاجِ مَقْرُوءَاتِنَا عَلَى
 شَيْخِنَا حَمْزَةَ فَتَحِ اللَّهِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَطَيْبَ
 ثَرَاهُ ، عَنِ الْأَدَبِ وَفِي الْأَدَبِ ، وَنُطْلِعُكَ عَلَى

نِثَارٍ فِي تَفْضِيلِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْأَدَبِ الْأَعْجَمِيِّ ،
فَنَصْقُلُ خَاطِرَكَ بِعُيُونِ الْأَدَبِ ، وَمُخْتَارَاتٍ مِنَ النَّقْدِ
وَالْخُطْبِ ، مِنْ نَفَائِثِ الْعَرَبِ ، لِتُؤْمِنَ مَعَنَا أَنَّ
الْبَيَانَ الْخُطَابِيَّ قَدْ مَحَّصَهُ اللَّهُ ، وَأَلْقَى بِزُبْدَتِهِ عَلَى
السَّنَةِ النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ مِنْ سَلَفِكَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ
مِنَ الْإِسْلَامِ ، الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ،
وَسَوَاطِعَ الْحُكْمِ ، فَلَمْ يَدَعْ الْمُتَقَدِّمُ لِلْمُتَأَخِّرِ
خَصَاصَةً يَسْتَظْهِرُ عَلَى سَدِّهَا ، وَلَا أَنْشُوطَةً
يَسْتَنْهِضُهُ لِشِدَّهَا ، كَمَا يَقُولُ الزَّمْخَشَرِيُّ . وَكُلُّ
إِزَاءِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُتَفَكِّكُ الرَّحْلِ ، فَارِغُ
السَّجْلِ ، بَاهِتُ الْمَبْنَى ، جَامِدُ الْمَعْنَى ، فِي غَيْرِ
جَرَسٍ أَخَازٍ ، وَلَا رَيْنٍ نَفَازٍ ، وَنَرَجُو أَنْ يُوفِّقَنَا



• تَمَامُ الْمَدَامَةِ ، وَسَدَدُ

رَحِمَهُ اللهُ ، وَمِنْ تِلْكَ مِثْلَهُ الْأَجْلَاءُ مِنْ خَيْرِ مَنْجَى
 دَارِ الْمَلُومِ ، فِي عَهْدِهَا النَّصِيحِ السَّالِفِ ، وَخَيْرِهِمْ ،
 أَيَّامَ كَانَ الْمَرْيُومَةُ شَائِئًا غَيْرَ الشَّائِنِ ، وَالْمُهْمَلِ وَثَنَاتٍ ،
 فِي غَيْرِ الْفَنَسِ ، وَفِي الْمَيْتِ الْخَيْرِ ، وَخَيْرِ وَهْنٍ ، وَغَيْرِ
 وَحَلَّةٍ الدَّارِ ، وَسُوءِ الْإِلَى ، وَفَنَاءِ الشَّخْصِ ، وَطُولِ الْأَجْلِ ،
 وَفَنَاءِ اللَّهِ ، وَقِيَامِ الْمَعْنَى ، وَحَالِ غَيْرِ مَعْنَى

وَالْآنَ هَلُمَّ بِنَا إِلَى قِرَاءَةِ الرِّسَالَةِ الْعُذْرَاءِ رَاجِينَ
مِنْكَ إِطَالَةَ التَّبَصُّرِ وَإِنْعَامَ النَّظَرِ ، وَفَقَّكَ اللَّهُ لِمَا
يُفِيدُ وَيَنْفَعُ . وَجَدَدَ فِيكَ هَذَا الْعَزَمَ الْمُتَقَدِّ ،
وَتِلْكَ الرَّغْبَةَ الصَّادِقَةَ ، بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ :



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَتَقَّ اللَّهُ بِالْحِكْمَةِ
ذَهْنَكَ ، وَشَرَحَ بِهَا صَدْرَكَ ، وَأَنْطَقَ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ
وَشَرَّفَ بِهِ بَيَانَكَ ، وَصَلَ إِلَى كِتَابِكَ الْعَجِيبُ ،
الَّذِي اسْتَفْهَمْتَنِي فِيهِ بِجَوَامِعِ كَلِمِكَ ، جَوَامِعِ أَسْبَابِ
الْبَلَاغَةِ ، وَاسْتَكْشَفْتَنِي عَنْ غَوَامِضِ آدَابِ أَدَوَاتِ
الْكِتَابَةِ ، سَأَلْتَنِي أَنْ أَقِفَ بِكَ عَلَى وَزْنِ عُذُوبَةِ
الْلَفْظِ وَحَلَاوَتِهِ ، وَحُدُودِ فَخَامَةِ الْمَعْنَى وَجَزَالَتِهِ ،

المقدمة

وَرَشَاقَةٍ نَظْمِ الْكِتَابِ وَمُشَاكَلَةٍ سَرْدِهِ ، وَحُسْنِ
 افْتِتَاحِهِ وَخَتْمِهِ ، وَانْتِهَاءِ فُصُولِهِ ، وَاعْتِدَالِ وُصُولِهِ
 وَسَلَامَتِهِمَا مِنَ الزَّلَلِ ، وَبُعْدِهِمَا مِنَ الْخَطَلِ^(١) ،
 وَمَتَى يَكُونُ الْكَاتِبُ مُسْتَحِقًّا أَسْمَ الْكِتَابَةِ ،
 وَالْبَلِيغُ مُسَلِّمًا لَهُ مَعَانِيَ الْبَلَاغَةِ فِي إِشَارَتِهِ وَعِبَارَتِهِ ،
 وَإِلَى أَيِّ أَدَوَاتِهِ هُوَ أَحْوَجُ ، وَبِأَيِّ آلَاتِهِ هُوَ
 أَعْمَلُ ، إِذَا حَصَّصَ^(٢) الْحَقُّ ، وَدَّعَى إِلَى السَّبْقِ
 وَفَهَمْتُهُ^(٣) ، وَأَنَا رَاسِمٌ لَكَ - أَيْدَكَ اللَّهُ - مِنْ
 ذَلِكَ مَا يَجْمَعُ أَكْثَرَ شَرَائِطِكَ^(٤) ، وَيُعَبِّرُ عَنْ جُمْلَةٍ
 سُؤَالِكَ ، وَإِنْ طَوَّلْتَ فِي الْكِتَابِ وَعَرَّضْتَ^(٥) ،

(١) الخطل : فساد الرأي (٢) حصص : ظهر (٣) وفهمته :

معطوفة على جملة وصلني في أول الكلام . (٤) شرائط : جمع شريطة

(٥) عرّضت : جعلته عريضاً : أى واسعاً كبيراً وهو تعبير نادر الوقوع

وَأُطِنْتُ فِي الْوَصْفِ وَأُسَهِّبْتُ ، وَمُسْتَقْصٍ عَلَى نَفْسِي
 فِي الْجَوَابِ عَلَى قَدْرِ اسْتِقْصَائِكَ فِي السُّؤَالِ ، وَإِنْ
 أَخَلَّ بِهِ الْتِيَاثُ ^(١) الْحَالِ ، وَسُكُونُ الْحَرَكَةِ ،
 وَفُتُورُ النَّشَاطِ ، وَانْتِشَارُ ^(٢) الرُّوْيَةِ ، وَتَقْسِمُ الْفِكْرِ ،
 وَاشْتِرَاكُ الْقَلْبِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .



إِعْلَمْ — أَيَّدَكَ اللَّهُ — أَنَّ أَدَوَاتِ دِيْوَانِ جَمِيعِ
 الْمُحَاسِنِ وَآلَاتِ الْمَكَارِمِ طَائِعَةٌ مُنْقَادَةٌ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ
 الَّتِي خَطَبَتْهَا ، وَتَالِيَةٌ تَابِعَةٌ لَهَا ، وَغَيْرُ خَارِجَةٍ إِلَى
 جَعْدِ أَحْكَامِهَا ، وَلَا دَافِعَةٍ لِمَا يُلْزِمُهَا الْإِقْرَارُ بِهِ
 لَهَا ، إِضْرَارًا مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَعَجْزًا عَنْهَا ، فَإِنْ تَقَاضَتْكَ

حرص
الكاتب
على
الحكمة

نَفْسُكَ عِلْمَهَا ، وَنَازَعَتْكَ هِمَّتُكَ إِلَى طَلَبِهَا ، فَاتَّخِذِ
 الْبُرْهَانَ دَلِيلًا شَاهِدًا ، وَالْحَقَّ إِمَامًا قَائِدًا ، يُقَرِّبُ
 مَسَافَةَ ارْتِيَادِكَ ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْكَ سُبُلَ مَطَالِبِهَا ،
 وَاسْتَوْهَبِ اللَّهَ تَوْفِيقًا تَسْتَنْجِحُ بِهِ مَطَالِبَكَ ،
 وَاسْتَمْنَحْهُ رُشْدًا يُقْبِلُ إِلَيْكَ بِوَجْهِ مَذَاهِبِكَ ،
 فَاقْصِدْ^(١) فِي ارْتِيَادِكَ ، وَتَأَمَّلِ الصَّوَابَ فِي قَوْلِكَ
 وَفِعْلِكَ ، وَلَا تَسْكُنْ إِلَى جُحُودِ قَصْدِ السَّابِقِ
 بِاللَّجَاجِ ، وَلَا تَخْرُجْ إِلَى إِهْمَالِ حَقِّ الْمُصِيبِ
 بِالْمُعَانَدَةِ وَالْإِنْكَارِ ، وَلَا تَسْتَخِفَّ بِالْحِكْمَةِ وَلَا
 تُصَغِّرْهَا حَيْثُ وَجَدْتَهَا ، فَتَرْحَلَ نَافِرَةً عَنْ مَوَاطِنِهَا
 مِنْ قَلْبِكَ ، وَتَظُنَّ^(٢) شَارِدَةً عَنْ مَكَانِهَا مِنْ بَالِكَ ،

(١) القصد : التوسط ومنه قوله تعالى « واقصد في مشيك » أى

توسط فيه فلا تدب كدبيب النمل . ولا تسرع كهرولة اليهود

(٢) الظن : السفر ومنه قوله تعالى « ويوم ظعنكم »

وَتَتَعَقَّى^(١) بَعْدَ الْعِمَارَةِ مِنْ قَلْبِكَ آثَارُهَا ، وَتَنْطَمِسَ
بَعْدَ الْوُضُوحِ أَعْلَامُهَا .



وَاعْلَمْ أَنَّ الْاِكْتِسَابَ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّكْلُفِ وَطُولِ
الاِخْتِلَافِ^(٢) إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَمُدَارَسَةِ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ ،
فَإِنْ أَرَدْتَ خَوْضَ بَحَارِ الْبَلَاغَةِ ، وَطَلَبْتَ أَدَوَاتِ
الْفَصَاحَةِ ، فَتَصَفَّحْ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا تَعْتَمِدُ
عَلَيْهِ ، وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ :
فِي تَلْقِيحِ ذَهْنِكَ ، وَاسْتِنْجَاحِ بَلَاغَتِكَ ، وَمِنْ نَوَادِرِ
كَلَامِ النَّاسِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ ، وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ

تفاوتته

(١) تتعقَّى : تخلو وتزول
(٢) المراد به التردد إلى العلماء

وَالسَّيْرِ وَالْأَشْمَارِ^(١) ، مَا يَتَّسِعُ بِهِ مَنْطِقُكَ ، وَيَعَذُّبُ
بِهِ لِسَانُكَ ، وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ .



تضمينه
للشعر
والأمثال

وَانْظُرْ فِي كُتُبِ الْمَقَامَاتِ^(٢) وَالْخُطَبِ ، وَمُحَاوَرَاتِ
الْعَرَبِ ، وَمَعَانِي الْعَجَمِ ، وَحُدُودِ الْمَنْطِقِ ، وَأَمْثَالِ
الْفُرْسِ وَرِسَائِلِهِمْ ، وَعُهُودِهِمْ وَتَوَقُّعَاتِهِمْ ، وَسِيرِهِمْ
وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ تَتَوَسَّطَ فِي عِلْمِ
النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ ، وَاللُّغَةِ وَالْوَثَائِقِ وَالشُّرُوطِ ،
كَكُتُبِ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ الْكَاتِبُ ، وَتَمَهَّرْ فِي نَزْعِ آيِ الْقُرْآنِ فِي

(١) الأسمار : جمع سمر والمراد هنا ما تحدث به أو يتحدث به

(٢) المقامات : جمع مقامة

مَوَاضِعُهَا ، وَاجْتِلَابِ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَاخْتِرَاعِ
 الْأَلْفَاظِ الْجُزْأَةِ ، وَقَرَضِ ^(١) الشَّعْرِ الْجَيِّدِ ، وَعِلْمِ الْعَرُوضِ
 فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ السَّائِرِ ، وَالْبَيْتِ الْغَابِرِ ^(٢) ، مِمَّا
 يَزِينُ كِتَابَتَكَ ، مَا لَمْ تُخَاطِبْ خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا
 جَلِيلَ الْقَدْرِ ، فَإِنَّ اجْتِلَابَ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ الْخُلَفَاءِ
 وَالْجِلَّةِ ^(٣) الرُّؤَسَاءِ ، عَيْبٌ وَاسْتِهْجَانٌ لِلْكُتُبِ ، إِلَّا
 أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ لِلشَّعْرِ وَالصَّانِعَ
 لَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي أُبْهَتِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى
 بَرَاعَتِهِ ، وَإِنْ شَدَوْتَ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ مَا لَا يَشْغُوكَ
 مُحَلُّهُ ، وَتَنْقَبْتَ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى
 إِطَالَةِ قَلَمِكَ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِ ^(٤) يِيَانِكَ .

(١) قرض الشعر : صَوَّغَهُ (٢) ما قيل في الأزمان الغابرة
 أعني الماضية (٣) جمع جليل وهو العظيم (٤) الأود : الأعوجاج

بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ صَاحِبَ الْقَرِيحَةِ ، حُلُوَ
 الشَّمَائِلِ ^(١) ، عَذْبَ الْأَلْفَافِ ، دَقِيقَ الْفَهْمِ ، حَسَنَ
 الْقَامَةِ ، بَعِيداً عَنِ الْفَدَامَةِ ^(٢) ، خَفِيفَ الرُّوحِ ،
 حَازِقَ الْحَسِّ ، مُحَنِّكاً بِالتَّجَرُّبَةِ ، عَالِماً بِحَلَالِ ^(٣)
 الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَحَرَائِمِهَا ، وَبِالْمُلُوكِ وَسِيرِهَا
 وَأَيَّامِهَا ، وَبِالدُّهُورِ فِي تَقَلُّبِهَا وَتَدَاوُلِهَا ، مَعَ بَرَاعَةِ
 الْأَدَبِ ، وَتَأْلِيفِ الْأَوْصَافِ ، وَمُشَاكَلَةِ الْإِسْتِعَارَةِ ،
 وَحُسْنِ الْإِشَارَةِ ، وَشَرْحِ الْمَعْنَى بِمِثْلِهِ مِنَ الْقَوْلِ ،
 حَتَّى تُنْصَبَ صُورًا مَنْطِقِيَّةً تُعَرِّبُ عَنْ أَنْفُسِهَا ،
 وَتَدُلُّ عَلَى أَعْيَانِهَا ، لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ قَدْ شَرَطُوا فِي
 صِفَاتِ الْكِتَابِ طُولَ الْقَامَةِ ، وَصِغَرَ الْهَامَةِ ، وَخِفَةَ

(١) المراد بالشَّمَائِلُ الخصال (٢) الفدامة : العي (٣) أى ما ثبت

حله وحرمة من الكتاب وكذلك السنة

اللَّهَازِمُ^(١) ، وَكَثَافَةُ^(٢) اللَّحِيَّةِ ، وَصِدْقَ الْحَسِّ ، وَلُطْفَ
الْمَذْهَبِ ، وَحَلَاوَةَ الشَّمَائِلِ ، وَمَلَاحَةَ الزِّيِّ ، حَتَّى
قَالَ بَعْضُ الْمَهَالِبَةِ لَوْلَدِهِ .

☆

☆☆

تَزَيَّوْا بِزِيِّ الْكِتَابِ ، فَإِنَّ فِيهِمْ أَدَبَ الْمُلُوكِ ،
وَتَوَاضَعَ السُّوقَةِ ، وَمِنْ كَمَالِ آلَةِ الْكَاتِبِ ، أَنْ
يَكُونَ بَهْيَ الْمَلْبَسِ ، نَظِيفَ الْمَجْلِسِ^(٣) ، ظَاهِرَ
الْمُرُوءَةِ ، عَطَرَ الرَّاحَةِ ، دَقِيقَ الذَّهْنِ ، صَادِقَ
الْحَسِّ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي اللَّسَانِ ، حُلُوَ
الْإِشَارَةِ ، مَلِيحَ الْإِسْتِعَارَةِ ، لَطِيفَ الْمَسْلَكِ ، مُسْتَفْرَهَ^(٤)
الْمُرَكَّبِ ، وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فَضْفَاضَ^(٥) الْجُبَّةِ ،

أزياء
الكتاب

(١) اللهازم : جمع لهزيمة وهي عظم ينبت تحت الأذن (٢) الكثيف : الغزير

(٣) المجلس : المراد به مكان الجلوس (٤) مستفره : أى يركب الجواد

المطهم أو البرذون الجميل (٥) فضفاض : الجثة كناية عند ضخامة الجسم

مُتَفَاوِتَ^(١) الْأَجْزَاءِ ، طَوِيلَ اللَّحْيَةِ ، عَظِيمَ الْهَامَةِ ،
فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ ، لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا
الذِّكَاةُ وَالْفِطْنَةُ ، فَخَاطِبٌ كَلَّا عَلَى قَدْرِ أُهْمَتِهِ
وَجَلَالَتِهِ ، وَعُلُوُّهُ وَارْتِفَاعِهِ وَفِطْنَتِهِ وَانْتِبَاهِهِ .

طبقات
الكلام

وَاجْعَلْ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ ،
وَالطَّبَقَاتُ الْأُخْرَى وَهِيَ دُونَهَا أَرْبَعٌ ، وَلِكُلِّ
طَبَقَةٍ مِنْهَا دَرَجَةٌ ، وَلِكُلِّ قِسْمَةٍ حَظٌّ ، لَا يَتَّسِعُ
لِلْكَاتِبِ الْبَلِیْغِ أَنْ يُقَصِّرَ بِأَهْلِهَا عَنْهَا ، وَيَقْلِبَ
مَعْنَاهَا إِلَى غَيْرِهَا ، فَالْخُذُ الْأَوَّلُ ، الطَّبَقَاتُ الْعُلْيَا ،
وَوَعَايَتُهَا الْقُصُوصُ الْخِلَافَةُ ، الَّتِي أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَهَا
عَنْ مُسَاوَاتِهَا بِأَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي التَّعْظِيمِ .

وَالْتَوْقِيرِ وَالْمُخَاصَبَةِ وَالتَّرْسُلِ ، وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ ،
 الْوُزَرَاءُ وَالْكِتَابُ الَّذِينَ يُخَاطَبُونَ الْخُلَفَاءَ بِعُقُولِهِمْ
 وَالسِّنْتِهِمْ ، وَيَرْتُقُونَ^(١) الْفُتُوحَ بَأْرَائِهِمْ ، وَيَتَجَمَّلُونَ
 بِأَدَابِهِمْ ، وَالطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ أُمَرَاءُ ثُعُورِهِمْ ، وَقَوَادُ
 جِيُوشِهِمْ ، يُخَاطَبُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِهِ ،
 وَبِمَا مَحَلَّ مِنْ أَعْبَاءِ أُمُورِهِمْ ، وَجَلَائِلِ أَعْمَالِهِمْ ،
 وَالطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ الْقُضَاةُ ، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ
 تَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ ، وَحِلْيَةُ الْفُضَلَاءِ ، فَعَمَّهُمْ أَهْبَةُ
 السُّلْطَةِ وَهَيْبَةُ الْأُمَرَاءِ .

أَمَّا الطَّبَقَاتُ الْأَرْبَعُ الْأُخْرَى ، فَالْمُلُوكُ الَّذِينَ
 أَوْجَبَتْ نِعْمَتُهُمْ تَعْظِيمَهُمْ فِي الْكُتُبِ ، وَأَفْضَالُهُمْ

بقية
الطبقات

(١) الرتق : السد وهو ضد الفتق . والمراد هنا انسجام الكلام ووصله

تَفْضِيلُهُمْ فِيهَا . وَالثَّانِيَةُ وَزَرَاؤُهُمْ وَكُتَابُهُمْ ، وَاتِّبَاعُهُمْ
 الَّذِينَ بِهِمْ تُقَرَّعُ أَبْوَابُهُمْ ، وَبِعِنَايَتِهِمْ تُسَمَّاحُ^(١)
 أَمْوَالُهُمْ ، وَالثَّلَاثَةُ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَجِبُ تَوْقِيرُهُمْ
 فِي الْكُتُبِ لِشَرَفِ الْعِلْمِ وَعُلُوِّ دَرَجَةِ أَهْلِهِ . الرَّابِعَةُ
 أَهْلُ الْقَدْرِ وَالظَّرْفِ ، وَالْجَلَالَةِ وَالْحَلَاوَةِ وَالطَّلَاوَةِ ،
 وَالْأَدَبِ ، فَاتَّبَعَهُمْ يَضْطَرُّونَكَ بِحِدَّةٍ أَذْهَانِهِمْ ، وَشِدَّةٍ
 تَمَيِّزِهِمْ وَانْتِقَادِهِمْ وَأَدَبِهِمْ ، إِلَى الْإِسْتِقْصَاءِ^(٢) عَلَى
 نَفْسِكَ فِي مَكَاتِبِهِمْ .

* *

وَاسْتَعْنَيْنَا عَنِ التَّرْتِيبِ لِلتَّجَارِ وَالسُّوقَةِ وَالْعَوَامِّ^{سائر} ^{المخاطبين}
 لِاسْتِعْنَائِهِمْ بِتِجَارَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْآلَاتِ ،
 وَاشْتِغَالِهِمْ بِمِهْمَاتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ ، وَلِكُلِّ

(١) استمache : طلب نواله وعطاءه (٢) الاستقصاء : المبالغة

طَبَقَةٌ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مَعَانٍ وَمَذَاهِبُ ، يَحِبُّ عَلَيْكَ
 أَنْ تَرَعَاهَا فِي مُرَاسَلَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي كُتُبِكَ ، وَتَرِنَ
 كَلَامَكَ فِي مُحَاطَبَتِهِمْ بِمِيزَانِهِ ، وَتُعْطِيَهُ قِسْمَهُ ،
 وَتُؤَفِّيَهُ نَصِيبَهُ ، فَإِنَّكَ مَتَى أَهْمَلْتَ ذَلِكَ لَمْ آمَنْ
 عَلَيْكَ أَنْ تَعْدِلَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَتَسْلُكَ بِهِمْ
 غَيْرَ مَسْلُكِهِمْ ، وَتُجْرِيَ شُعَاعَ بِلَاغَتِكَ فِي غَيْرِ
 مَجْرَاهُ ، وَتَنْظِمَ جَوْهَرَ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ،
 فَلَا يُفِيدُ الْمَعْنَى الْجَزْلَ^(١) مَا لَمْ تُلْبِسْهُ لَفْظًا جَزْلًا
 لَائِقًا بِمَنْ كَاتَبْتَهُ . وَمُشَابِهًا لِمَنْ رَاسَلْتَهُ ، وَإِنْ
 إِبْلَاسَكَ الْمَعْنَى وَإِنْ شَرُفَ وَصَلَحَ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَنْ
 قَدْرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَتَهُمْ تَهْجِينًا^(٢)

لِلْمَعْنَى ، وَإِخْلَالُ بَقْدَرِهِ ، وَظُلْمٌ لِحَقِّ الْمَكْتُوبِ
إِلَيْهِ ، وَنَقْصٌ مِّمَّا يَحِبُّ لَهُ ، كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ
تَعَارُفِهِمْ ، وَمَا انْتَشَرَتْ بِهِ عَادَاتُهُمْ ، وَجَرَتْ بِهِ
سُنَنُهُمْ^(١) ، قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ ، وَخُرُوجًا مِنْ حُقُوقِهِمْ ،
وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ ، وَإِسْقَاطًا لِحُجَّةِ أَدْبِهِمْ .



تخبر
الألفاظ

فَمِنْ الْأَلْفَافِ الْمُرْغُوبِ^(٢) عَنْهَا ، وَالصُّدُورِ^(٣)
الْمُسْتَوْحَشِ مِنْهَا فِي كُتُبِ السَّادَاتِ وَالْأَمْراءِ وَالْمُلُوكِ
عَلَى اتِّفَاقِ الْمَعَانِي ، مِثْلُ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ طَوِيلًا ، وَعَمَّرَكَ
مَلِيًّا » . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا فُرْقَانَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ :
« أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ » وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ

(١) السنة الطريقة. والمراد هنا العادة (٢) رغب عن الشيء : كرهه.
ورغب فيه أحبه (٣) الصدور : فواتح الرسائل وما يسمى ببراعة المطلع .

طَوِيلًا « وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا أَرْجَحَ وَزَنًا ، وَأَنَّهُ قَدَرًا ، فِي مُخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ ، كَمَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا « أَكْرَمَكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ » أَحْسَنَ مَنَزَلَةً فِي كِتَابِ الظُّرَفَاءِ وَالْأَدْبَاءِ ، مِنْ « جُعِلْتُ فِدَاكَ » عَلَى اشْتِرَاكِ مَعْنَاهُ وَاحْتِمَالِهِ أَنْ يَكُونَ فِدَاءً مِنَ الْخَيْرِ ، كَمَا يَكُونُ فِدَاءً لَهُ مِنَ الشَّرِّ ، وَلَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ : « إِزِمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » ، لَكَرِهْتُ أَنْ يَكْتُبَ بِهَا أَحَدٌ ، عَلَى أَنْ كَتَبَ الْعَسْكَرُ وَعَوَامُهُمْ ، قَدْ أُولِعُوا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ ، حَتَّى اسْتَعْمَلُوهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِمْ ، وَجَعَلُوهَا هِجْرَاهُمْ^(١) فِي مُخَاطَبَةِ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرْمَنْ رَأَى النَّاسَ
 سِوَمَنْ يُدَاخِلُ الْأَمْلَاكَ
 لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَثَلًا^(١) فِي طَرِيقٍ
 قَالَ لِلْكَلبِ يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ
 وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ « أَبْقَاكَ اللَّهُ
 وَأَمْتَعَكَ بِكَ » إِلَّا إِلَى الْحُرْمَةِ وَالْأَهْلِ وَالتَّابِعِ وَالْمُنْقَطِعِ
 إِلَيْكَ ، وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْإِخْوَانِ فَغَيْرُ جَائِزٍ ، بَلْ
 مَذْمُومٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ
 إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ :
 أَهْلَتَ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ
 أَمْ نَلْتَ مُلْكَاً قَهْتُ^(٢) فِي كُتُبِكَ

أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةٍ أَلْ
 إِخْوَانٍ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
 أَتَعَبْتَ كَفِّكَ فِي مُكَاتَبَتِي
 حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ فِي تَعَبِكَ
 أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ^(١)
 يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعَ بِكَ^(٢)
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :
 أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَأَعِلُهُ
 وَلَنْ تَرَاهُ يُخَطُّ فِي كُتُبِكَ
 فَأَعْفُ فَدَتِكَ النَّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ
 يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

(١) الثقة : المحبة . من ومق بمعنى أحب (٢) أى هذه العبارة .

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءِ يَا أَمَلِي
وَكُلُّ خَيْرٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ
إِنْ يَكُ جَهْلًا أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي
فَعُدْ بِفَضْلِ عَلَيَّ مِنْ حَسَبِكَ



وَأَمَّا صُدُورُ^(١) كُتُبِ السَّلَفِ فَإِنَّهَا كَانَتْ : مِنْ فُلَانٍ
ابْنِ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ . كَذَلِكَ جَرَتْ كُتُبُ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ،
وَالِىَ أَقْيَالِ^(٢) الْيَمَنِ ، وَإِلَى كَسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَكُتُبُ
أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى اسْتَخْلَصَ الْكُتَّابُ
هَذِهِ الْمُحَدَّثَاتِ مِنْ بَدَائِعِ الصُّدُورِ ، وَاسْتَنْبَطُوا

(١) أى فواتحها : والسلف : المتقدمون (٢) الأقيال : الملوك .

لَطِيفَ الْكَلَامِ ، وَرَتَّبُوا لِكُلِّ رُتْبَةٍ ، وَجَرَوْا
عَلَى تِلْكَ السُّنَّةِ الْمَاضِيَةِ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا ، فِي كُتُبِ
الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ . وَثَبَّتُوا عَلَى ذَلِكَ الْمُنْهَاجِ ^(١) فِي كُتُبِ
الْفُتُوحَاتِ ، وَالْأَمَانَاتِ ، وَالسَّجَلَاتِ .



وَلِكُلِّ مَكْتُوبٍ إِلَيْهِ قَدْرٌ وَوَزَنٌ ، يَنْبَغِي
لِلْكَاتِبِ أَلَّا يَتَجَاوَزَ بِهِ عَنْهُ ، وَلَا يُقَصِّرَ بِهِ
دُونَهُ ، وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ عَابُوا الْأُخُوصَ حِينَ خَاطَبَ
الْمُلُوكَ بِمَخَاطَبَةِ الْعَوَامِّ فِي قَوْلِهِ :
وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ

العبارات
المنتقدة

مَذِقُ ^(٢) الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

(١) المنهاج : الطريق (٢) مذاق الحديث أى بغيضه

فَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ فِي الْمَدْحِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَجَلُوا
أَقْدَارَ الْمُلُوكِ ، أَنْ يُمدَّحُوا بِمَا يُمدَّحُ بِهِ الْعَوَامُّ ،
لِأَنَّ صِدْقَ الْحَدِيثِ وَإِنْجَازَ الْوَعْدِ ، وَإِنْ كَانَ
مَدْحًا فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ ، وَالْمُلُوكُ لَا يُمدَّحُونَ
بِالْفُرُوضِ الْوَاجِبَةِ ، وَإِنَّمَا يُحَسِّنُ مَدْحُهُمْ بِالنَّوَافِلِ^(١) ،
لِأَنَّ الْمَادِحَ لَوْ قَالَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : إِنَّكَ لَا تَرْنِي
بِحَلِيلَةٍ جَارِكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَخُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ ،
وَإِنَّكَ تَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ ، وَتَنِي بِعَهْدِكَ ، كَانَ
قَدْ أَتَى بِمَا يَجِبُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصِلْ بِثَنَائِهِ إِلَى
مَقْصِدِهِ ، وَقَالَ مَا لَا يُسْتَحْسَنُ مِثْلُهُ فِي الْمُلُوكِ .
وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ يَتَوَلَّى مِنْ أُمُورِ
الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ

(١) النوافل : ما زاد عن الواجب من الكماليات .

يُطْلِقُوا هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ خَاصَّةً ، وَنَعْلَمُ أَنَّ
الْكَيْسَ هُوَ الْعَقْلُ ، إِذَا عَنَوْا^(١) بِهِ ، ضِدَّ الْحَقِّ ،
وَالِكِنَّكَ لَوْ وَصَفْتَ رَجُلًا فَقُلْتَ : إِنَّ فُلَانًا
لَعَاقِلٌ ، كُنْتَ قَدْ مَدَحْتَهُ عِنْدَ النَّاسِ ، وَلَوْ قُلْتَ :
إِنَّهُ كَيْسٌ ، كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ فِي وَصْفِهِ ، وَصَغُرْتَ
مِنْ قَدْرِهِ ، إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ ، إِذْ كَانَ
اسْتِعْمَالُ الْعَامَّةِ ، لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعَ الْحَدَاثَةِ
وَالْغَرَةِ^(٢) ، وَخَسَاسَةِ الْقَدْرِ ، وَصِغَرِ السِّنِّ ،
فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ : أَنَّهُ تَسَمَّى بِالْكَيْسِ ، حِينَ بَنَى سِجْنَ
الْكُوفَةِ . وَقَالَ : —

(١) قصدوا وأرادوا (٢) الغرة الحداثة والسذاجة

أَمَا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيِّسًا بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيِّسًا^(١)
حِصْنًا حَصِينًا وَأَمِيرًا كَيْسًا

وَقَالَ آخَرُ : —

مَا يَصْنَعُ الْأَحْمَقُ^(٢) الْمَرْزُوقُ بِالْكَيْسِ

وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّ الصَّلَاةَ رَحْمَةً ، غَيْرَ أَنََّّهُمْ قَدْ
حَرَّمُوهَا إِلَّا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، كَذَلِكَ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَمِعَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ابْنَ أَخِي لَهُ
يُلَبِّي وَيَقُولُ : يَا ذَا الْمَعَارِجِ ، فَقَالَ : نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ
ذُو الْمَعَارِجِ^(٣) ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَذَلِكَ كُنَّا نُلَبِّي^(٤)

(١) مخيساً : سجن بالكوفة بناه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب
(٢) الأحق : سريع الغضب (٣) المعارج جمع معرج وهو المصعد
والسلم ومنه قوله تعالى من الله ذي المعارج تعرج الملائكة (٤) أي
تقول ليك الخ

عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّمَا
كُنَّا نَقُولُ : كَبَيْتِكَ اللَّهُمَّ كَبَيْتِكَ .

وَكَانَ ابْرَاهِيمُ الْمُزَنِيُّ قَالَ : فِي بَعْضِ مَا طَالَبَ
بِهِ دَاوُدُ بْنُ خَلْفٍ الْأَصْبَهَانِيُّ وَإِنْ قَالَ كَذَا : فَقَدْ
خَرَجَ مِنَ الْمِلَّةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَتَقَضَّ (١) عَلَيْهِ ذَلِكَ
دَاوُدُ وَقَالَ : تَحَمَّدُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مُسْلِمٌ مِنَ
الْإِسْلَامِ ، هَذَا مَوْضِعُ اسْتِرْجَاعٍ ، وَلِلْحَمْدِ مَكَانٌ
يَلِيقُ بِهِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمُصِيبَةِ « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ » .



(١) تقض عليه : أنكر عليه

رعاية
الالفاظ
والمعاني

فَامْتَثِلْ هَذِهِ الرُّسُومَ وَالْمَذَاهِبَ وَاجْرِ عَلَى آدَابِهِمْ ،
فَلِكُلِّ رُسُومٍ امْتَثِلُوهَا ، وَتَحَفَّظْ فِي صُدُورِ كُتُبِكَ
وَفُصُولِهَا ، وَافْتَتِحْهَا وَخَاتَمْتَهَا ، وَضَعْ كُلَّ مَعْنَى
فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ ، وَتَخَيَّرْ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنَى
يُشَاكِلُهَا ، وَلَيْكُنْ مَا تَخْتِمُ بِهِ فُصُولَكَ ، فِي مَوْضِعٍ
ذَكَرَ الشَّكْوَى بِمِثْلِ : وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْبُلْوَى : نَسْأَلُ
اللَّهَ دَفْعَ الْمَحْذُورِ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ صَرْفَ الشُّوْءِ ، وَفِي
مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْمُصِيبَةِ بِمِثْلِ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ،
وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ النِّعَمِ بِمِثْلِ : وَالْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِصًا ،
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَاجِبًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَجِبُ عَلَى
الْكَاتِبِ أَنْ يَتَفَقَّهَهَا وَيَحْتَفِظَ بِهَا . فَإِنَّ الْكَاتِبَ

إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا ، إِذَا وَضَعَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ ،
وَعَلَّقَ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طَبَقِهَا مِنَ الْمَعْنَى ، فَلَا يَجْعَلُ
أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكْتَبَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ ، وَلَا آخِرَهُ
فِي أَوَّلِهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبَ
يَقُولُ : لَا يَكُونُ الْكَاتِبُ كَاتِبًا حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ
أَحَدٌ أَنْ يُؤَخِّرَ أَوَّلَ كِتَابِهِ ، وَلَا يُقَدِّمَ آخِرَهُ



وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَائِلِ ، اسْتِعْمَالُ
مَا أَتَتْ بِهِ آيُ الْقُرْآنِ ، مِنْ الْاِقْتِصَارِ وَالْحَذْفِ ،
وَمُخَاطَبَةِ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ ، وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ ، لِأَنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إِنَّمَا خَاطَبَ بِالْقُرْآنِ أَقْوَامًا
فَصَحَاءَ فَهَمُوا عَنْهُ — جَلَّ ثَنَاؤُهُ — أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ

محاكاة
القرآن

وَمُرَادُهُ ، وَالرَّسَائِلُ إِنَّمَا يُخَاطَبُ بِهَا قَوْمٌ دُخَلَاءُ
 عَلَى اللُّغَةِ ، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ، وَكَذَلِكَ
 يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ ، أَنْ يَتَجَنَّبَ اللَّفْظَ الْمُسْتَرَكَّ ، وَالْمَعْنَى
 الْمُلْتَبَسُ ^(١) ، فَإِنَّهُ إِنْ ذَهَبَ عَلَى مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :
 « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا »
 وَقَوْلِهِ تَعَالَى : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » احتِجَاجُ
 أَنْ يُبَيَّنَّ أَنَّ مَعْنَاهُ : وَاسْأَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ وَأَهْلَ الْعِيرِ ،
 وَبَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ



كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَائِلِ مَا يَجُوزُ فِي الشُّعْرِ ، مَا يَصُوغُ
 شِعْرًا لَا
 لِأَنَّ الشُّعْرَ مَوْضِعُ اضْطِرَارٍ ، فَاعْتَزَلُوا فِيهِ الْأَغْرَابَ
 كِتَابَةً

(١) اللبس : الشك . والملتبس : ما يقع في شك

وَسُوءَ النَّظْمِ ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَالْإِضْمَارَ فِي
مَوْضِعِ الْإِظْهَارِ .

كَمَا لَا يَجُوزُ أَيْضًا فِي الرِّسَائِلِ وَالْبَلَاغَاتِ
الْمَنْشُورَةِ . مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ ، لِأَنَّ
الشَّاعِرَ مُضْطَرٌّ ، وَالشَّعْرُ مَقْصُورٌ مُقَيَّدٌ بِالْوِزَنِ
وَالْقَوَافِي^(١) ، فَلِذَلِكَ أَجَازُوا لَهُمْ صَرْفَ مَا لَا يَنْصَرِفُ
مِنَ الْأَسْمَاءِ ، وَحَذَفَ مَا لَا يُحْذَفُ مِنْهَا ، وَذَلِكَ
كُلُّهُ غَيْرُ سَائِغٍ فِي الرِّسَائِلِ ، وَلَا جَائِزٍ فِي الْبَلَاغَاتِ .
فَمِنَ الْحَذَفِ قَوْلُ الْخَطِيبَةِ :

فِيهَا الرِّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِغَةٍ^(٢)

جَدَلَاءُ^(٣) مَسْرُودَةٌ مِنْ صُنْعِ سَلَامٍ

(١) القوافي جمع قافية : وهي آخر البيت من الشعر (٢) السابغة :
الدرع الفضفاضة (٣) جدلاء : محكمة السرد .

يُرِيدُ سُلَيْمَانَ بْنُ دَاوُدَ، وَكَقَوْلِ الْآخِرِ، وَالشَّيْخُ
عُمَانُ أَبُو عَفَّانَ . وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَسَائِلُهُ بِشَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ

وَقَدْ عَلِقَتْ بِشَعْلَبَةَ الْعُلُوقُ^(١)

أَرَادَ بْنُ سَيَّارٍ ، وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَكُلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٌ ثَعْلَبِيَّةٌ

وَنَسَجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ^(٢) ذَائِلٍ^(٣)

يُرِيدُ سُلَيْمَانَ .

وَقَوْلِ الْآخِرِ :

قَوَاطِنًا^(٤) مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمَى يَعْنِي : الْحَمَامَ

وَقَوْلِ الْآخِرِ :

(١) العُلُوقُ بالفتح : المنية (٢) قضاء : الدرع المحكمة

(٣) ذَائِلٌ : طويلة (٤) قَوَاطِنًا : ساكنات

صَفَرُ الْوُشَاحِينَ^١ صَمُوتُ^٢ الْخَلْخَلِ يُرِيدُ : الْخَلْخَالِ
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

دَارُ لِسَمَى إِذِهِ مِنْ هَوَاكَ يُرِيدُ : إِذْ هِيَ
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أُسْتَطِيعُهُ
وَلَاكَ اسْقِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ
أَرَادَ وَلَكِنْ .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي فِي الرِّسَائِلِ إِلَّا يُصَغَّرَ الْإِسْمُ
مَوْضِعَ التَّعْظِيمِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا عَلَى مِثْلِ
قَوْلِهِمْ : دُؤَيْهِيَّةٌ^(٣) فِي قَوْلِ لَبِيدٍ :

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ يَتَهُمُ
دُؤَيْهِيَّةٌ تَصَفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

(١) الوشاحين مثنى وشاح وهو ما يتشح به الانسان أى يلتفتح به .
(٢) كناية عن سمن الساقين (٣) دويهيّة تصغير داهية . وهى الأمر العظيم

وَجُذَيْلٌ وَعُذَيْقٌ فِي قَوْلِ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ
 يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : أَنَا عُذَيْقُهَا ^(١) الْمَرْجَبُ ^(٢)
 وَجُذَيْلُهَا ^(٣) الْمُحَكَّكُ ، وَمِمَّا لَا يَجُوزُ فِي الرَّسَائِلِ .
 كَلَّمْتُ إِيَّاكَ وَأَعْنَى إِيَّاكَ ، وَهُوَ جَائِزٌ فِي الشُّعْرِ ،
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَحْسِنَ وَأَجْمَلَ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ
 ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَأَيَّاكَ آسِرٌ
 وَإِسَاءَةُ النَّظْمِ فِي الشُّعْرِ كَثِيرٌ .

وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ بِشَعَةٍ ، حَتَّى إِذَا وُضِعَتْ مَوْضِعَهَا ،

(١) عذيقها : تصغير عذوق : وهي النحلة يحملها (٢) المرجب : من رجب
 الشجرة إذا دعمها بما يمنعها من الانكسار (٣) جذيل تصغير جذل بالكسر
 وهو عود ينتصب للجري من الإبل لتحك به . يريد قائل ذلك أنه صاحب
 الأمر المضروب فيه المثل . وهو زعيم لا يضعف عن احتمالته والنهوض به .

وَقُرِنتَ مَعَ أَخَوَاتِهَا ، حَسُنَ حَالُهَا وَرَاقَتْ ، كَقَوْلِ
الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ :

ذُو حُضْرٍ أَفْلَتَ مِنْ كَدِّ الْقُبْلِ

وَالْكَدُّ كَلِمَةٌ قَلِقَةٌ ، لَا سِيَّامًا فِي الْغَزْلِ وَالتَّشْبِيبِ ،
غَيْرَ أَنَّهَا لَمَّا وَقَعَتْ فِي مَوْضِعِهَا حَسُنَتْ ، كَمَا أَنَّ اللَّفْظَةَ
الْعَذْبَةَ إِذَا لَمْ تُوَضَّعْ مَوْضِعَهَا تَفَرَّتْ . قَالَ :
رَأَتْ عَارِضًا جَوْنًا فَقَامَتْ غَرِيرَةً

بِمِسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلَامِ تُبَادِرُهُ

فَأَوْقَعَ الْجِلْفُ الْجَانِي فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ غَيْرَ مَوْقِعِهَا ،
وَزَلَمَهَا إِذْ جَعَلَهَا فِي غَيْرِ مَكَانِهَا ، لِأَنَّ الْمَسَاحِي
لَا تَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ لِلْغَرَائِرِ . وَأَيْنَ كَانَ مِنْ
قَوْلِ الشَّاعِرِ :

غَرَائِرُ مَا حَدَّثَ يُهْدِنَ أُنْسَةً

لِمَا فَوْقَهُ مِنْهُنَّ غَيْرُ غَرَائِرٍ^(١)

حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ الْعَصْمَ^(٢) تَدْعَى بِهِ أَتَتْ

وَدُونَ يَدِ الْفَحْشَاءِ^(٣) حَدُّ الْبَوَاتِرِ^(٤)

فَتَخَيَّرَ مِنَ الْأَلْفَافِ أَرْجَحَهَا وَزَنَّا ، وَأَجْزَلَهَا

مَعْنَى ، وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا ، وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا .



وَلَيْكُنْ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى
فَوَائِحِ الرِّسَالِ
مُرَادِكَ ، وَفِي افْتِتَاحِ كَلَامِكَ بُرْهَانٌ شَاهِدٌ عَلَى وَخَوَائِمِهَا

(١) غرائر جمع غريرة . وهي الساذجة . والغريرة هي ذات الخلق الحسن والمراد أن أولئك الحسان تغلب عليهن الغرة والسذاجة حتى يكون الحديث لمحض الأُنس فإذا أريد بالحديث ما فوق ذلك من أمارات الريبة . عدن غير غرائر . واعتصمن بسوء الظن (٢) العصم جمع أعصم والوعول : تعتصم برءوس الجبال (٣) جمع فاحشة وهي كل شيء يستحق فاعله العقاب عليه كالزنا (٤) البواتر جمع باتر وهو السيف القاطع

مَقْصِدِكَ ، حَيْثُمَا جَرَيْتَ فِيهِ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ ،
وَنَزَعْتَ^(٥) نَحْوَهُ مِنْ مَذَاهِبِ الْخُطْبِ وَالْبَلَاغَاتِ ،
فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْزَلُ لِمَعْنَاكَ ، وَأَحْسَنُ لِاتِّسَاقِ كَلَامِكَ ،
وَلَا تُطِيلَنَّ صَدْرَ كَلَامِكَ إِطَالَةً تُخْرِجُهُ مِنْ حَدِّهِ ،
وَلَا تُقْصِّرْ بِهِ عَنْ حَقِّهِ .

وَلَوْ صُوِّرَ اللَّفْظُ وَكَانَ لَهُ حَدٌّ لَوَقَفْتُكَ عَلَيْهِ ،
غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي الْجُمْلَةِ كَرِهُوا أَنْ يَزِيدُوا سَطُورَ كُتُبِ
الْمُلُوكِ عَلَى سَطْرَيْنِ ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَا تُعْبَرُ إِلَّا
عَنِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ ، لِأَنَّ الْأَسْطُرَ
غَيْرُ مَحْدُودَةٍ .



شأن
الدواء
في
الكتابة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَكَ ، أَنْ تُصْلِحَ آلَتَكَ
الَّتِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْهَا ، وَأَدَوَاتِكَ الَّتِي لَا تَتِمُّ
صِنَاعَتُكَ إِلَّا بِهَا ، وَهِيَ دَوَاتُكَ ، فَأَبْدَأْ بِعِمَارَتِهَا
وَإِصْلَاحِهَا ، وَتَخَيَّرْ لَهَا لَيْقَةً^(١) تَقِيَّةً مِنَ الشَّعْرِ
وَالْوَدَحِ^(٢) ، لِئَلَّا يَخْرُجَ عَلَى حَرْفِ قَلَمِكَ مَا يُفْسِدُ
كِتَابَكَ ، وَيَشْغَلَكَ بِتَنْقِيَتِهِ .

وَاخُذْ مِنَ الْمِدَادِ الْفَارِسِيِّ خَمْسَةَ دِرَاهِمٍ ، وَمِنْ
الصَّمْغِ الْعَرَبِيِّ دِرْهَمًا ، وَعَصْفًا مَسْحُوقًا نِصْفَ دِرْهَمٍ ،
وَرَمَادَ الْقِرْطَاسِ الْمُحْرَقِ دِرْهَمَيْنِ ، ثُمَّ تَسْحَقُهَا
وَتُعْرِبِلُهَا وَتَجْمَعُهَا بِيَاضِ الْبَيْضِ ، ثُمَّ بِنَدِيقِهَا وَاجْعَلُهَا
فِي الظِّلِّ ، فَإِذَا اخْتَجَّتْ إِلَيْهَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِقْدَارَ

(١) الليقة ما يوضع في الدواء من صوف أو خرقة (٢) ما تعلق بأصواف الغنم

حَاجَتِكَ ، فَكَسَرْتَهُ وَحَشَوْتَ بِهِ دَوَاتَكَ ، وَإِذَا
 نَقَعْتَهُ فِي مَاءِ السُّلْقِ حَتَّى يَنْحَلَّ وَيَذُوبَ وَيَخْتَمِرَ ،
 ثُمَّ أَمَدَدْتَ مِنْ مَائِهِ دَوَاتَكَ ، كَانَ أَجُودَ وَأَنْقَى ،
 ثُمَّ اخْتَرْتَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنْايِبِ ^(١) الْقَلَمِ ، الَّذِي
 يَصْلُحُ لِكِتَابَةِ الْقَرَّاطِيسِ ^(٢) ، أَقْلَهُ عُقْدًا ، وَأَكْثَفَهُ
 حِلْمًا ، وَأَصْلَبَهُ قِشْرًا ، وَأَعْدَلَهُ اسْتِوَاءً ، وَتَجَنَّبَ
 الْأَقْلَامَ الْفَارِسِيَّةَ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهَا مَا تَصْلُحُ
 إِلَّا لِلْكُوَاغِدِ ^(٣) وَالرَّقُوقِ ^(٤) .

✱

✱ ✱

وَأَجْعَلْ لِقَلَمِكَ بَرَاءَةً حَادَّةً ، فَإِنَّ تَعَثُّرَ يَدِ
 الأعلام
 والقراطيس

- (١) أناييب جمع أنبوب : وهو من القصب والقنا : والمراد به «البوص
 والبسط» (٢) القراطيس جمع قرطاس وهو القطعة من الورق الرقيق
 (٣) الكواغد جمع كاغد وهو الورق السميك (٤) والرقوق جمع رق
 وهو الصحيفة من الجلد التي يكتب فيها

الكَاتِبِ وَقْتَ قَطْعِ الْقِرْطَاسِ نَاقِصٌ مُرْوَةٌ، وَمُحَلٌّ^(١)
بِظَرْفِهِ ، وَإِنْ قَدَرْتَ إِلَّا تَقْطَعِ الْقِرْطَاسَ إِذَا
فَرَغْتَ مِنْ كِتَابِكَ ، إِلَّا بِخُرْطُومِ قَلَمِكَ فَافْعَلْ ،
فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ لِمُرْوَتِكَ ، وَأَبْدَعُ لِظَرْفِكَ
وَقَطْعِكَ ، وَاسْتَغْمِلْ لِبَرَى الْقَلَمِ سَكِينًا طَوَاوِيسِيًّا^(٢) ،
مُذَلَّقَ^(٣) الْحَدَّ ، وَمِیْضَ^(٣) الطَّرْفِ ، فَيَكُونَ ذَلِكَ
عَوْنًا لَكَ عَلَى بَرَى قَلَمِكَ ، فَإِنَّ مَحَلَّ الْقَلَمِ مِنْ
الْكَاتِبِ مَحَلُّ الرُّمَحِ مِنَ الْفَارِسِ ، وَلَئِنْ قِيلَ كَأَنَّهُ
الرُّمَحُ الرُّدَيْنِيُّ ، فَقَدْ قَالَ الْكَاتِبُ : كَأَنَّهُ الْقَلَمُ
الْبَحْرِيُّ ، وَتَفَقَّدَ الْأَنْبُوبَةَ قَبْلَ بَرِّيَّهَا ، لِئَلَّا تَجْعَلَهَا
مَنْكُوسَةً ، وَابْرَهَا مِنْ نَاحِيَةِ نَبَاتِ الْقَصْبَةِ ، وَأَرْهِفْ

(١) نسبة إلى الطاووس والمراد سكينه حسنة حادة

(٢) مذلق

الحد : رقيقه (٣) وميض الطرف : براق الطرف ..

مَا قَدَرْتَ جَانِبِي قَلَمِكَ ، لِيَرُدَّ مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمِدَادِ ،
وَلَا تُطِلْ شِقَّهُ ، فَإِنَّ الْقَلَمَ لَا يَمِجُّ الْمِدَادَ مِنْ شِقِّهِ ،
إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا احْتَمَلَتْ شَبْتَاهُ ، فَارْفَعْ شَبْتِيهِ لِيَجْمَعَا
لَكَ حَوَاشِي تَحْضِيرِهِ ، وَأَمَّا قَطُّ الْقَلَمِ فَعَلَى قَدْرِ
الْقَلَمِ الَّذِي يَتَعَاطَاهُ الْكَاتِبُ مِنَ الْخَطِّ ، غَيْرَ أَنَّ
الْمُسْلَسَلَ لَا يَكَادُ يَتَسَلْسَلُ إِلَّا بِالْقَلَمِ الْمُرَبَّعِ الْقَطُّ ،
كَمَا أَنَّ كُتُبَ الْمُلُوكِ وَالسَّجَلَاتِ ، لَا تَحْسُنُ إِلَّا
بِالْقَلَمِ الْمُحَرَّفِ الْكُوفِيِّ ، وَأَمَّا قَلَمُ اللَّازُورِدِ ، فَهُوَ
الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ ، وَالْمَقْصُودُ إِلَيْهِ فِي النَّوَائِبِ وَالْمُهَمَّاتِ .
وَرَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْكُتَّابِ يَخْتَارُونَ قَلَمَ الزَّرْجِسِ
لِتَجَعْدِهِ وَتَجَانِسِهِ ، وَاللَّازُورِدُ أَبْسَطُ مِنْهُ وَأَقْوَمُ
حُرُوفًا ، وَأَمَّا الْمَوْشَعُ وَالْمَوْلَعُ ، وَالْمُدَبَّجُ وَالْمُنَمَّمُ

وَالْمُسَهَّمُ ، فَعَلَى قَدْرِ رَشَاقَةِ خَطِّ الْكَاتِبِ وَحَلَاوَةِ
 قَلَمِهِ ، وَأَمَّا حُسْنُ الْخَطِّ فَلَا حَدَّ لَهُ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ
 زَيْرٍ النَّصْرَانِيُّ الْكَاتِبُ : أَعْلَمُكَ الْخَطَّ فِي كَلِمَةٍ
 وَاحِدَةٍ ؛ لَا تَكْتُبَنَّ حَرْفًا حَتَّى تَسْتَفْرِغَ مَجْهُودَكَ
 فِي كِتَابَةِ الْحَرْفِ الْمَبْدُوءِ بِهِ ، وَتَجْعَلَ فِي نَفْسِكَ
 أَنَّكَ لَا تَكْتُبُ غَيْرَهُ ، حَتَّى لَا تَعْجَلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .



وَأَيَّاكَ وَالنَّقْطَ وَالشَّكْلَ فِي كِتَابِكَ ، إِلَّا أَنْ
 تَمُرَّ بِالْحَرْفِ الْمُعْضِلِ ^(١) ، الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ
 إِلَيْهِ يَعْجِزُ عَنْ اسْتِخْرَاجِهِ ، فَلَا يُشْكِلُ عَلَى
 الْحَرْفِ ، أَحَبُّ إِلَى مَنْ أَنْ يُعَابَ بِالنَّقْطِ وَالْإِعْجَامِ ،

(١) المعضل : الصعب

وَقَالَ الْمُتَأَمُّونُ لِكُتَّابِهِ : إِيَّايَ وَالشَّوْنِيزَ ^(١) فِي كُتُبِكُمْ
يَعْنِي النَّقْطَ . وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ هَانِي :
لَمْ تَرْضَ بِالْإِعْجَامِ حِينَ كَتَبْتَهُ
حَتَّى شَكَلْتَ عَلَيْهِ بِالْإِعْرَابِ



وَلَا تُغْفَلِ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،
فَقَدْ قَالَ أَبُو الْعِينَاءِ : إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا
أَمَرُوا كُتَّابَهُمْ فَطَرَحُوا ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ ، فَجَرَتْ
عَادَةُ الْكُتَّابِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَلَى مَا سَنُوهُ . وَقَدْ
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ
الرَّايِكِ ، وَلَكِنْ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدَّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ

الصلاة
على النبي
صلى الله
عليه
وسلم

(١) الشونيز : الحية السوداء . والكلام على التشبيه .

وَأَخِرِهِ « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، أَوَّلًا
وَأَوْسَطَ وَآخِرًا .

وَأُحِبُّ أَنْ تَجْعَلَ بَدَلَ الْأُشَارَةِ ^(١) التُّرَابَ ، فَإِنَّ ^{إتراب} ^{الكتب} النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَتُرِبُوا كُتُبَكُمْ
فَإِنَّهُ أَنْجَحُ ^(٢) لِلْحَاجَةِ » .



وَلَا تَدَعِ التَّارِيخَ ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَحْقِيقِ الْأَخْبَارِ ^{التاريخ}
وَقُرْبِهَا وَبُعْدِهَا ، وَانْظُرْ إِلَى مَا مَضَى مِنَ الشَّهْرِ
وَمَا بَقِيَ مِنْهُ ، فَإِنْ كَانَ الْمَاضِي أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ الشَّهْرِ ،
قُلْتَ لِكَذَا لَيْلَةٌ مَضَتْ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ، وَإِنْ كَانَ
الْبَاقِي أَقَلَّ مِنَ النِّصْفِ ، قُلْتَ لِكَذَا أَيْضًا بَقِيَتْ ،

(١) الأشارة : النشارة من الخشب (٢) أنجح : أفضى
التذيل (٤)

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : إِنَّ الْمَاضِيَ مِنَ الشَّهْرِ
 تُحْصِيهِ ، وَالْبَاقِيَ لَا تُحْصِيهِ ، لِأَنَّكَ لَا تَدْرِي ، أَيْتَمُّ
 الشَّهْرُ أَمْ يَنْقُصُ ؟ وَلَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ تَارِيخَ
 الْكِتَابِ لَيْسَ مِنَ الْإِحْكَامِ فِي شَيْءٍ ، وَمَا عَلَى
 الْكَاتِبِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَّا بِمَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ ، لَا بِمَا يَظُنُّ .



وَلَا تَجْعَلْ سَحَاةً^(١) كُتُبِكَ غَلِيظَةً ، إِلَّا فِي
 الْعُهُودِ وَالسَّجَلَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى خَوَاتِمِهَا وَطَوَابِعِهَا ،
 فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى الْكَاتِبَ ، كَاتِبَ آلِ طَاهِرٍ ،
 أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ ، كَتَبَ إِلَى الْعِرَاقِ
 فِي إِشْخَاصِ كَاتِبٍ ، كَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ

إِسْحَاءُ
الْكِتَابِ
وَحْتَمِهَا

(١) السحاة : وهي ما شد به الكتاب من خيط ونحوه

وَعَلَّظَ سَحَاةَ كِتَابِهِ ، فَرَدَّ الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَاجِيًا لِبِرِّهِ وَجَانِزَتِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ :
 إِنْ كَانَ مَعَكَ مِسْحَاةٌ^(١) ، فَاقْطَعْ خَزْمَ^(٢) كِتَابِكَ
 وَأَنْصَرِفْ وَرَائِكَ . وَكَذَلِكَ لَا تُعْظِمُ الطِّينَةَ^(٣) ، فِي
 الْمَثَلِ : مَنْ عَظَّمَ الطِّينَةَ فَإِنَّهُ مَلُومٌ ، وَلَا تَطْبَعُهَا
 إِلَّا بَعْدَ عُتُونَاتِهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُرَادٌ مِنْهُمْ .

وَقَدْ يَجِبُ عَلَيْكَ عِلْمُ الْإِصَاقِ الْقِرَاطِيِّسِ وَمَحْوِهَا ، الصَّاقُ
 وَلَمْ أَرِ شَيْئًا فِي الْإِصَاقِهَا أَلْطَفَ مِنْ أَنْ يُنْقَعَ الصَّمْعُ
 الْعَرَبِيُّ فِي الْمَاءِ سَاعَةً حَتَّى يَذُوبَ ثُمَّ يُلْصَقَ بِهِ ،
 وَكَذَلِكَ مَاءُ الْكَثِيرِ^(٤) ، أَوِ النَّشَاسِثِجِ ، ثُمَّ تَطْوِيهِ

(١) المسحة : القوس (٢) خزم كتابك : أى منظومه

(٣) الطينة : هى الشمع الآن وأما قبل ذلك فكانت الطينة الطابع والصك

(٤) الكثير : طلع النخل . وهو فى كتب اللغة الكثر بالفتح والتحرير

طَيًّا رَقِيقًا وَتَجْمَعْلَهُ فِي مَنَدِيلٍ نَظِيفٍ ، وَيُوضَعُ
تَحْتَ وَسَادَةٍ حَتَّى يَجِفَّ ، وَأَمَّا مَحْوُهَا فَعَلَى قَدَرِ
لُطْفِ الْكَاتِبِ وَتَأَنِّيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَلَّا
يَلْقُطَ السَّوَادَ مِنَ الْقِرْطَاسِ إِلَّا بِمِثْلِ الشَّمْعِ
الْمُسَخَّنِ وَاللَّبَانِ الْمَمْضُوعِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، ثُمَّ يَكُونُ
لَقْطُهُ رُوِيْدًا رُوِيْدًا ، كُلَّمَا لَقَطَ جَانِبًا حَوَّلَهُ إِلَى
الْجَانِبِ الْآخَرِ

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْمُخْتُومَةِ ، وَالتَّلَاطُفُ لِفَضٍّ ^{قراءة الكتب المختومة}
خَوَاتِيمِهَا ، فِيمَا لَا نَذْكُرُهُ خَوْفًا مِنْ سَفِيهِهِ .
وَأَمَّا تَضْمِينُ الْأَسْرَارِ حَتَّى لَا يَقْرَأَهَا غَيْرُ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، فَفِيهِ أَدَبٌ ، وَقَدْ تَعَلَّقَتِ الْعَامَّةُ

بِالْقَمِيِّ وَالْأَضْبَهَانِي ، فَيَجِبُ أَنْ تُبَدَّلَ الْحُرُوفُ
تَبْدِيلًا يَخْفَى ، وَأَلْطَفُ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْ تَأْخُذَ لَنَا
حَلِيلًا ، فَتَكْتُبَ بِهِ فِي قِرْطَاسٍ فَيَذُرَّ الْمَكْتُوبُ
إِلَيْهِ عَلَيْهِ رَمَادًا حَارًّا ، مِنْ رَمَادِ الْقَرَّاطِيسِ فَإِنَّهُ
يُظْهِرُ ، وَإِنْ كُتِبَ بِمَاءِ الزَّاجِ وَذُرَّ عَلَيْهِ الْعَفْصُ
الْمَذْقُوقُ بِزَاجٍ ، أَوْ بِمَاءِ الْعَفْصِ ، وَذُرَّ عَلَيْهِ شَيْئًا
مِنَ الزَّاجِ ، أَوْ يَنْقَعَ شَيْئًا مِنْ وَشَقٍ ^(١) ثُمَّ تَكْتُبُ
بِهِ ، ثُمَّ تَثَرَّتَ عَلَيْهِ الرَّمَادُ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ ، وَإِنْ
أَحْبَبْتَهُ لَا يُقْرَأُ بِالنَّهَارِ وَيُقْرَأُ بِاللَّيْلِ ، فَاكْتُبْهُ
بِمَرَارَةِ السُّلْحَفَةِ



(١) الوشق : نوع من العشب . وكانت العروس تبخر به عند الجلوة

تخيّر
الألفاظ

وَإِنْ حَاوَلْتَ صَنْعَةَ رِسَالَةٍ ، أَوْ إِنِشَاءَ كِتَابٍ ،
 فَرِنْ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّصْرِيفِ
 إِذَا عَرَضَتْ ، وَالْكَلِمَةَ بِعِيَارِهِ إِذَا سَنَحَتْ ، قُرْبَمَا
 مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرِجُ الْكَلَامِ ، إِذَا حُسِبَ
 أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنَا أَفْعَلُ ، وَاسْتَفْعَلْتُ أَحْلَى
 مِنْ فَعَلْتُ ، وَأَدِرِ الْأَلْفَاظَ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَاعْرِضْهَا
 عَلَى مَعَانِيهَا ، وَقَلِّبْهَا عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهَا ، حَتَّى تَقَعَ
 مَوْقِعَهَا ، وَلَا تَجْعَلْهَا قَلِقَةً نَافِرَةً ^(١) ، فَتَنَى صَارَتْ
 كَذَلِكَ ، هَجَنْتَ ^(٢) الْمَوْضِعَ الَّذِي أَرَدْتَ تَحْسِينَهُ ،
 وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَلْفَافَ فِي غَيْرِ أَمَا كِنَهَا ، وَالْقَصْدَ
 بِهَا فِي غَيْرِ مَظَانِّهَا^(١) ، كَتَرَقِيعِ الثَّوْبِ الَّذِي إِذَا
 لَمْ تَتَشَابَهْ رِقَاعُهُ ، وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ ، خَرَجَ
 عَنْ حَدِّ الْجِدَّةِ ، وَتَغَيَّرَ حُسْنُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ : —
 إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ^(٢)
 تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعٌ



وَارْتَصِدْ^(٣) لِكِتَابِكَ فَرَاغَ قَلْبِكَ ، وَسَاعَةَ
 أَوْقَاتِ الْكِتَابَةِ
 نَشَاطِكَ ، فَتَجِدَ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْكَ بِالْكَدِّ^(٤)
 وَالتَّكْلُفِ^(٥) . لِأَنَّ سَمَاحَةَ النَّفْسِ بِمَكُونِهَا ، وَجُودُ^(٦)

(١) المظان : المراجع (٢) الخلق : الثياب البالية (٣) وارتصد :
 ترقب (٤) الكد : التعب (٥) التكلف : حمل المشقة (٦) الجود :
 ضد البخل

الْأَذْهَانِ بِمَخْزُونِهَا ، إِنَّمَا هُوَ مَعَ الشَّهْوَةِ الْمُفْرِطَةِ
فِي الشَّيْءِ ، وَالْمُحَبَّةِ الْغَالِبَةِ فِيهِ ، أَوْ الْغَضَبِ
الْبَاعِثِ مِنْهُ ذَلِكَ ، قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تَقُولُ
الشَّعْرَ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَقُولُهُ ! وَأَنَا لَا أَغْضَبُ
وَلَا أَطْرِبُ .

وَهَذَا كُلُّهُ إِنْ جَرَيْتَ مِنَ الْبَلَاغَةِ عَلَى عِرْقٍ^(١) ،
وَوَظَّهَرْتَ مِنْهَا عَلَى حَظٍّ ، فَأَمَّا إِنْ كَانَتْ غَيْرَ
مُنَاسِبَةٍ لِطَبْعِكَ ، وَلَا وَاقِعَةٍ شَهْوَتِكَ عَلَيْهَا ، فَلَا
تُنْضِ^(٢) مَطِيَّتَكَ فِي التِّمَاسِهَا ، وَلَا تُثْعِبُ بَدَنَكَ
فِي ابْتِغَائِهَا ، وَاصْرِفْ عِنَانَكَ عَنْهَا ، وَلَا تَطْمَعُ فِيهَا
بِاسْتِعَارَتِكَ الْفَاطَ النَّاسِ وَكَلَامِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ

مُشْرِ لَكَ ، وَلَا مُجِدٍّ ^(١) عَلَيْكَ . وَمَنْ كَانَ مَرْجِعُهُ
 فِيهَا إِلَى اغْتِصَابِ الْفَاطِ مِنْ تَقَدَّمَ ، وَالِاسْتِضَاءَةِ
 بِكَوَكَبٍ مِنْ سَبْقِهِ ، وَسَحَبِ ذَيْلِ حُلَّةٍ غَيْرِهِ ،
 وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَدَاةٌ تُؤَلِّدُهُ لَهُ مِنْ بَنَاتِ قَلْبِهِ وَنَتَائِجِ
 ذِهْنِهِ ، الْكَلَامَ الْحَرَّ ^(٢) ، وَالْمَعْنَى الْجَزَلَ ^(٣) ، فَلَمْ
 يَكُنْ مِنَ الصَّنَاعَةِ فِي عَيْرٍ ^(٤) وَلَا نَفِيرٍ ^(٥) .



عَلَى أَنَّ كَلَامَ الْعُظَمَاءِ الْمُطْبُوعِينَ ، وَدَرَسَ رَسَائِلِ
 الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، مِمَّا يَفْتَقُرُ ^(٦) اللِّسَانَ ،
 وَيُوسِّعُ الْمَنْطِقَ ، وَيُشْحِذُ الطَّبَعَ ، وَيَسْتَثِيرُ

(١) ولا مجد : أى ولا راجع عليه بالفائدة المنشودة (٢) الحر :
 الطليق (٣) الجزل : البليغ (٤) العير : الابل التى تحمل الميرة
 أى الطعام والمؤونة (٥) النفير : القوم الذاهبون للعمل . والمراد هنا
 أن من كان هذا شأنه لم يصل الى هذا ولا ذاك (ضائع لا عمل له) ويكون
 عالة على غيره (٦) يفتقر : يجهل

كَوَامِنَهُ ، إِنْ كَانَتْ فِيهِ سَجِيَّةٌ .

قَالَ الْعَتَابِيُّ : مَا رَأَيْنَا فِيهَا تَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ
فُنُونِ الْعِلْمِ ، وَجَرَيْنَا فِيهِ مِنْ صُنُوفِ الْأَدَابِ ،
شَيْئًا أَصْعَبَ مَرَامًا وَلَا أَوْعَرَ^(١) مَسْلَكًا ، وَلَا أَدَلَّ
عَلَى نَقْصِ الرِّجَالِ وَرَجَاحَتِهِمْ ، وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ ،
وَحُسْنِ التَّمْيِيزِ مِنْهُ وَاخْتِيَارِهِ ، مِنْ الصَّنَاعَةِ الَّتِي
خَطَبَتْهَا ، وَالْمَعْنَى الَّتِي طَلَبَتْهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَصْعَبَ
مِنْ اخْتِيَارِ الْأَلْفَافِ ، وَقَصْدِكَ بِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا ،
لَأَنَّ اللَّفْظَةَ تَكُونُ أُخْتِ اللَّفْظَةِ وَقَسِيمَتَهَا ، فِي
الْفَصَاحَةِ وَالْحُسْنِ ، وَلَا تَحْسُنُ فِي مَكَانٍ غَيْرِهَا ،
وَبِتَّمْيِيزِ هَذِهِ الْمَعَانِي ، وَمُنَاسَبَةِ طَبَائِعِ جِهَابِذَتِهَا^(٢)

(١) أَوْعَرَ : أَصْعَبَ (٢) الجهابذة : جمع جهبذ . وهو
النقاد الكبير

وَمُشَاكَلَةِ أَرْوَاحِهِمْ ، جَعَلُوا الْكِتَابَةَ نَسَبًا وَقَرَابَةً ،
وَأَوْجَبُوا عَلَى أَهْلِهَا حِفْظَهَا .

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ : الْكِتَابَةُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ،
تَجَزَّأَتْ فِي أَبْدَانٍ مُفْتَرَقَةٍ ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ فَضْلَهَا
وَجَهَلَ أَهْلِهَا ، وَتَعَدَّى بِهِمْ رُبَّتَهُمْ ، الَّتِي وَضَعَهُمُ
اللَّهُ بِهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي شَيْءٍ .

قَالَتِ الْبَرَامِكَةُ : رَسَائِلُ الْمَرْءِ فِي كُتُبِهِ ، دَلِيلٌ^(١)
عَلَى عَقْلِهِ ، وَشَاهِدٌ عَلَى غَيْبِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
وَتُنْكِرُ وَدَّ الْمَرْءِ فِي لِحْظِ عَيْنِهِ
وَتَعْرِفُ عَقْلَ الْمَرْءِ حِينَ تُكَاتِبُهُ

آخِرُهُ :

وَشِعْرُ الْفَتَى يُبْدِي ^(١) غَرِيزَةَ طَبْعِهِ

وَبِالْكِتَابِ يَبْدُو عَقْلُهُ وَبِلَاغَتُهُ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : يُعْرِفُ عَقْلُ الرَّجُلِ إِذَا كَتَبَ

أَوْ أَجَابَ .

قَالَ الْعُثَيْبِيُّ : عُقُولُ النَّاسِ مُدَوَّنَةٌ فِي كُتُبِهِمْ .

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَلَامُ الرَّجُلِ وَافِدٌ عَقْلِهِ .



وَشَبَّهَتْ الْحُكَمَاءُ الْمَعَانِيَ بِالْغَوَانِي ^(٢) ، وَالْأَلْفَازَ

المعاني
والألفاظ

بِالْمَعَارِضِ ^(٣) ، فَإِذَا كَسَا الْكَاتِبُ الْبَلِيغُ الْمَعْنَى

(١) يُبْدِي : يُظْهِرُ (٢) الغواني : جمع غانية . وهي المرأة

الحسنة (٣) المعارض : جمع معرض . وهو الثوب الذي تجلى فيه
الجارية ليلة العرس .

الْجَزَلَ لَفْظًا رَائِقًا^(١) ، وَأَعَارَهُ نَخْرَجًا سَهْلًا ، كَانَ
 لِلْقَلْبِ أَحْلَى ، وَلِلصَّدْرِ أَمْلًا ، وَلَكِنَّهُ بَقِيَ عَلَيْهِ
 أَنْ يَنْظِمَهُ فِي سِلْكِهِ مَعَ شَقَائِقِهِ ، كَاللُّوْلُؤِ الْمُنْشُورِ^(٢)
 الَّذِي يَتَوَلَّى نَظْمَهُ الْحَازِقُ^(٣) ، وَالْجَوْهَرِيُّ الْعَالِمُ ،
 يُظْهِرُ بِإِحْكَامِ الصَّنْعَةِ لَهُ حُسْنًا هُوَ فِيهِ ، وَيَمْنَحُهُ
 بَهْجَةً هِيَ لَهُ ، كَمَا أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا وَضَعَ بَيْنَ
 الْجَوْهَرَتَيْنِ خَرَزَةً ، هَجَّنَ نَظْمَهُ وَأَطْفَأَ نُورَهُ . كَانَ
 حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ ، رُبَّمَا وَقَعَ عَلَى جَوْهَرَةٍ ، فَجَعَلَهَا
 بَيْنَ بَعْرَتَيْنِ^(٤) ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ قَرَنْتَ بِدُرٍّ فَأَخِرِ خَرَزًا
 مِنْ الزُّجَاجِ لَقُلْنَا بِئْسَ مَا نَظَمَا

(١) الرائق : الصافي (٢) المنشور : غير المنظوم

(٣) الحاذق : الماهر (٤) البعرة : رجيع ذوات الحنف والظلف

وَالْيَاقُوتُ حَسَنٌ ، وَهُوَ فِي جِيدٍ ^(١) الْحُسْنَاءُ أَحْسَنُ ،
وَكَذَلِكَ الشَّعْرُ الْجَيِّدُ مُوْتَقٌ ^(٢) ، وَلَكِنَّهُ مِنْ أَفْوَاهِ
الْعُظَمَاءِ آنَقُ ، وَالتَّاجُ الشَّرِيفُ بَهِيُّ الْمَنْظَرِ ، وَهُوَ
عَلَى الْمَلِكِ أَبْهَى ، كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ
عَبِيدُ اللَّهِ :

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ ^(٣)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لِابْنِ مُنَازِرٍ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ
الشَّعْرَ فِي الدَّهْرِ ، وَالْقَصِيدَةَ فِي الشَّهْرِ ، فَقَالَ :
نَعَمْ ، لَوْ رَضِيتُ لِنَفْسِي أَنْ أُؤَلِّفَ تَأْلِيفَكَ ، وَأَقُولَ :

يَا عُتْبُ يَا دُرَّةَ الْغَوَاصِ

لَقُلْتُ : فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، أَلْفَ قَصِيدَةٍ .

(١) الجيد : العنق والرقبة (٢) المونق : الحسن المعجب

(٣) مفرقه : أى رأسه

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ لُجَا لَشَاعِرٍ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ ؛

قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ :

لِأَنَّكَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ ، وَأَنَا أَقُولُ
الْبَيْتَ وَأَخَاهُ .

فَإِنْ مُنِيتَ^(١) بِحُبِّ الْكِتَابَةِ وَصِنَاعَتِهَا ، وَالْبَلَاغَةِ ^{عرض}
وَتَأْلِيفِهَا ، وَجَاشَ^(٢) صَدْرُكَ بِشِعْرِ مَعْقُودٍ^(٣) ، أَوْ ^{الكتابة}
دَعَيْتَ نَفْسُكَ إِلَى تَأْلِيفِ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ ، وَتَهَيَّأَ ^{على}
لَكَ نَظْمٌ هُوَ عِنْدَكَ مُعْتَدِلٌ ، وَكَلَامٌ لَدَيْكَ مُتَّسِقٌ^(٤) ، ^{العلماء}
فَلَا تَدْعُونَكَ الثِّقَّةُ بِنَفْسِكَ ، وَالْعُجْبُ بِتَأْلِيفِكَ ،
أَنْ تَهْجُمَ بِهِ عَلَى أَهْلِ الصَّنَاعَةِ ، فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى

(١) وقعت — بليت (٢) جاش : أى اضطرب

(٣) أى غير ظاهر الدلالة . ولا واضح المعنى (٤) منسجم

تَأْلِيْفِكَ بَعَيْنِ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ ^(١) ، وَالْعَاشِقِ إِلَى عَشِيقِهِ ^(٢)
 كَمَا قَالَ حَبِيبٌ هُوَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :
 وَيُسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنُ

هُوَ بِابْنِهِ وَبِشَعْرِهِ مَفْتُونٌ
 وَلَكِنْ أَعْرَضَهُ عَلَى الْبُلْغَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ ،
 مَمْزُوجًا ^(٣) بَغَيْرِهِ ، فَإِنْ أَصْغَوْا ^(٤) إِلَيْهِ ، وَأَذِنُوا لَهُ ،
 وَشَخَّصُوا بِالْأَبْصَارِ وَاسْتَعَادَوْهُ ، وَطَلَبُوهُ مِنْكَ
 وَامْتَزَجَ ^(٥) ، فَاكْشَفَ مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ وَالْخُطْبَةِ
 وَالشُّعْرِ اسْمَهُ ، وَأَنْسَبَهُ إِلَى نَفْسِكَ ، وَإِنْ رَأَيْتَ
 عَنْهُ الْأَسْمَاعَ مُنْصَرِفَةً ، وَالْقُلُوبَ عَنْهُ لَاهِيَةً ، فَاسْتَدِلَّ

(١) أى بالشفقة والرأفة (٢) أى بالحبّة والرضا والعطف . والمراد
 التفاضل عن العيوب (٣) ممزوجاً : مخلوطاً بغيره
 (٤) الاصغاء : الانصات (٥) اختلط بغيره من الجيد

بِهِ ، عَلَى تَخْلُفِكَ عَنِ الصَّنَاعَةِ ، وَتَقَاصُركَ عَنْهَا ،
 وَاسْتَرْبَ (١) رَأْيِكَ عِنْدَ رَأْيِ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ
 وَالْبَلَاغَةِ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ دَعَا إِنْسَانًا
 إِلَى مُوَأَنَسَتِهِ ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْحِشْمَةُ (٢) بَيْنَهُمَا ،
 فَأَخْرَجَ لَهُ كِتَابًا قَدْ غَشَاهُ (٣) بِالْجُلُودِ ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ
 بِالْإِبْرَيْسِمِ (٤) ، وَسَوَّى وَرَقَهُ ، وَزَخَرَفَ كِتَابَتَهُ ،
 وَجَعَلَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كَلَامًا قَدْ حَبَّرَهُ (٥) فِيهِ ، وَنَمَقَهُ
 عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَجَعَلَ يَسْتَحْسِنُ مَا لَا يَحْسِنُ ، وَيَقِفُ
 عَلَى مَا لَا يَسْتَثْقِلُ قِرَاءَتَهُ ، حَتَّى أَتَى عَلَى الْكِتَابِ ؛
 فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مَا قَرَأْتُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ :

(١) استرب رأيك : شك فيه (٢) الحشمة : أى الكلفة

(٣) غشاه : أى غطاه (٤) الأبريسم : الحرير الخالص (٥) حبره :

كتبه بالمداد

أَرَى عَقْلَ صَانِعِ هَذَا الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ كَلَامِهِ ،
فَفَطِنَ لَهُ وَلَمْ يُعَاوِذْهُ ، إِلَى أَنْ وَقَفَ بِهِ عَلَى تَنُورِ
مَسْجُورٍ ^(١) ثُمَّ قَذَفَ بِالْكِتَابِ فِي النَّارِ . وَهَذَا رَجُلٌ
فِي عَقْلِهِ فَضْلَةٌ ^(٢) ، وَفِيهِ تَمْيِيزٌ .

وَإِنَّمَا الْبَلِيَّةُ ، فِيمَنْ إِذَا يَدَّيْنَتْ لَهُ سُوءَ نَظْمِهِ
وَاخْتِيَارِهِ ، وَوَقَفَتْهُ عَلَى سَخَافَةٍ لَفْظِهِ ، هَجَرَكَ وَعَادَاكَ .



فَاجْعَلْ هَذَا الْأَصْلَ مِيزَانًا تَرَنُّ بِهِ مَذْهَبَكَ ،
فِي رَسَائِلِكَ وَبَلَاغَتِكَ ، وَلَا تُخَاطِبَنَّ خَاصًّا بِكَلَامٍ
عَامٍّ ، وَلَا عَامًّا بِكَلَامٍ خَاصٍّ ، فَمَتَى خَاطَبْتَ أَحَدًا
بِغَيْرِ مَا يُشَاكِلُهُ ، فَقَدْ أَجَرَيْتَ الْكَلَامَ غَيْرَ مَجْرَاهُ

تعرف
أفكار
المخاطبين

(١) المسجور : الموقد (٢) فضلة : أى قوة وزيادة .

وَكَشَفْتُهُ ، وَقَصْدُكَ بِالْكَلامِ الشَّرِيفِ ، لِلرَّجُلِ
الشَّرِيفِ ، تَنْبِيهُهُ لِقَدْرِ كَلَامِكَ ، وَرَفْعُهُ لِدَرَجَتِهِ ، قَالَ :
فَلَمْ أُمْدَحْكَ تَفْخِيماً لِسِعْرِى

وَلَكِنِّى مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا
فَلَا تُخْرِجَنَّ كَلِمَةً حَتَّى تَرِنَهَا بِمِيزَانِهَا ، فَتَعْرِفَ
تَمَامَهَا وَنِظَامَهَا ، وَمَوَارِدَهَا وَمَصَادِرَهَا ، وَتَجَنَّبَ
مَا قَدَرْتَ الْأَلْفَاظَ الْوَحْشِيَّةَ ، وَأَرْتَفِعَ عَنِ الْأَلْفَاظِ
السَّخِيفَةِ ، وَاقْتَضِبْ^(١) كَلَامًا بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ .



قَالَ الْجَاهِظُ : مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أُمُتَلَ طَرِيقَةً فِي ^{أُبلِغَ} الْكَلَامِ
الْبَلَاغَةِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ ، فَإِنَّهُمْ التَّمَسُّوا مِنْ

(١) اقتضب : اقتطع واختصر

الْأَلْفَافِ ، مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعَّرًا ^(١) وَحَشِيًّا ، وَلَا سَاقِطًا
سُوقِيًّا ^(٢) ، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ ،
مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى كَلَامٍ ، وَأَحْسَنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ
بِالْبَدْوِيِّ الْمَغْرِبِ ^(٣) ، وَلَا الْقَرْوِيِّ الْمُخْدِجِ ^(٤) ،
الَّذِي صَحَّتْ مَبَانِيهِ ، وَحَسُنَتْ مَعَانِيهِ ، وَدَارَ عَلَى السُّنَنِ
الْقَائِلِينَ ، وَخَفَّ عَلَى آذَانِ السَّامِعِينَ ، وَيَزْدَادُ
حُسْنًا عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ، بِتَجَلِيدِ الرُّوَاةِ ، وَتَنْقِيَةِ السَّرَاةِ ^(٥) .
وَالْكَاتِبُ الْمُسْتَحِقُّ اسْمَ الْكِتَابَةِ ، وَالْبَلِغُ
الْمُحْكَمُ لَهُ بِالْبَلَاغَةِ ، مَنْ إِذَا حَاوَلَ صَنْعَةَ كِتَابٍ ،

(١) المتوعر : الثقيل على السمع الذي يمحجه الذوق (٢) سوقياً نسبة
إلى السوقة وهم العامة والمراد ألا يكون الكلام شبيهاً بكلامهم .
(٣) المغرب اسم فاعل من أغرب : وهو الكلام الغريب (٤) المخدج :
الناقص (٥) سراءة القوم : سادتهم ورؤسائهم

سَالَتْ عَلَى قَلَمِهِ عُيُونُ الْكَلَامِ مِنْ يَنَابِيعِهَا ، وَظَهَرَتْ
مِنْ مَعَادِنِهَا ، وَبَدَرَتْ ^(١) مِنْ مَوَاطِنِهَا ، عَنْ غَيْرِ
اسْتِكْرَاهٍ وَلَا اغْتِصَابٍ .



حَدَّثَنَا صَدِيقٌ لِلْعَتَّابِيِّ ، قَالَ لَهُ : اَعْمَلْ لِي ^{تقدير المعاني}
رِسَالَةً ، فَاسْتَمَدَّهُ ^(٢) مُدَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَقَالَ لَهُ :
مَا أَرَى بَلَاغَتَكَ إِلَّا شَارِدَةً ، فَقَالَ لَهُ الْعَتَّابِيُّ :
لَمَّا تَنَاوَلْتُ الْقَلَمَ ، تَدَاعَتْ ^(٣) عَلَى الْمَعَانِي مِنْ كُلِّ
جِهَةٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتْرُكَ كُلَّ مَعْنَى يَرْجِعُ إِلَى
مَوْضِعِهِ ، ثُمَّ أَجَبْتَنِي ^(٤) لَكَ أَحْسَنَهَا .

(١) بدرت : أسرع (٢) استمده : طلب منه طول المدة

(٣) تداعت : تساقطت : والمراد تواترت (٤) أجبتني : أقتطف

أَمَلَى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخُو زُبَيَّانَ عَلَى كَاتِبٍ لَهُ ،
وَأَعْجَلَ عَلَيْهِ الْإِمْلَالَ ^(١) ، فَتَعَثَّرَ قَلَمُ الْكَاتِبِ عَنْ
تَقْيِيدِ إِمْلَالِهِ ، فَقَالَ مُتَحَرِّشًا ^(٢) : اكْتُبْ يَا حِمَارُ !
فَقَالَ الْكَاتِبُ : — أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ — ! إِنَّهُ لَمَّا
هَظَلْتُ شَائِبٌ ^(٣) الْكَلَامِ ، وَتَدَافَقَتْ سُؤْلُهُ ،
عَلَى حَرْفِ الْقَلَمِ ، كُلٌّ ^(٤) الْقَلَمُ عَنْ إِذْرَاكِ مَا وَجَبَ
عَلَيْهِ تَقْيِيدُهُ ، فَلَيْتَ ذَكَرَ الْأَمِيرُ عُذْرِي ، فَكَانَ
جَوَابُهُ أَبْلَغَ مِنْ بَلَاغَةِ يَزِيدَ .



وَكُلَّمَا اخْلَوْنِي الْكَلَامُ ، وَعَذُبَ وَرَقٌ ، الرقعة
والجزالة

(١) الاملال : ما يعلى (٢) المتحرش : المتخشن (٣) شائب :
مطر الكلام (٤) كل : تعب

وَسَهَّلَتْ مَخَارِجُهُ ، كَانَ أَسهَلَ وَلَوْجًا^(١) فِي الْأَسْمَاعِ
وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ ، وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ ،
وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ ، مُتَرَجِّمًا بِلَفْظِ
مُونِقٍ شَرِيفٍ ، وَمُعَبَّرًا بِكَلَامٍ مُؤَلَّفٍ رَشِيقٍ^(٢) ،
لَمْ يَسِمَهُ الشَّكْلُ بِمِيسَمِهِ ، وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعَقُّدُ
بِاسْتِهْلَاكِهِ ، كَقَوْلِ ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ :

قَفَاهُ وَجْهُ حُسْنٍ وَالَّذِي قَفَاهُ وَجْهُ يُشَبِّهُ الشَّمْسَا
فَهَجَّنَ الْمَعْنَى بِتَوَعُّرٍ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ ، وَأَخَذَهُ
الْحُسْنُ بْنُ هَانِيٍّ فَسَهَّلَهُ وَقَالَ :

بَدَّ حُسْنُ الْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكَ

وَكِلَاهُمَا مِنْ حَسَّانَ حَيْثُ يَقُولُ :

قَفَاؤُكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأَمُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ

وَانْظُرْ إِلَى سَلَاسَةِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ حَيْثُ قَالَ :
 شَرِسْتُ^(١) بَلْ لَنْتَ بَلْ قَابِلْتَ ذَاكَ بِذَا

فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٢)

وَكَتَبَ عَيْسَى بْنُ هَلِيعَةَ كِتَابًا إِلَى أَخِيهِ
 أَبِي الْحَسَنِ ، فَقَعَّدَ كَلَامَهُ ، وَجَارَ الْمُقْدَارَ فِي
 التَّنْطُحِ ، فَوَقَعَ لَهُ :

أَنِّي يَكُونُ بَلِيغًا مَنِ اسْمُهُ كَانَ عِيًّا
 وَثَالِثُ الْحَرْفِ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيًّا



وَدَخَلَ كَاتِبٌ عَلَى مَرِيضٍ فَوَجَدَهُ يَتْنُ ، فَخَرَجَ
 مِنْ عِنْدِهِ ، فَوَجَدَ طَائِرًا يُقَالُ لَهُ الشَّفَانِينُ

تنطع
الكتاب

(١) الشرس : السوء الخلق الشديد الخلاف (٢) الجبل : ما ارتفع

من الصخور : والمراد به الصعب .

« يَبَابِ الطَّاقِ » فَاشْتَرَاهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ
 كِتَابًا يَنْتَضِعُ فِيهِ ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ الشَّفَانِينُ ،
 شِفَاءٌ مِنَ الْأَنِينِ ، فَأَجَابَهُ : لَوْ عَطَسْتَ ضَبًّا ، لَمْ
 تَكُنْ عِنْدِي إِلَّا نَبْطِيًّا^(١) ، فَأَقْصِرْ عَنْ بَعْضِكَ ،
 وَسَهِّلْ كَلَامَكَ ، وَتَمَثَّلْ بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ الْمُوَصِّلِيِّ ،
 يَهْجُو حَبِيبَ بْنَ أَوْسٍ الطَّائِيَّ :

أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ لَيْسَ فِي ذَاكَ كَلَامٌ
 شَعْرُ سَاقِيكَ وَفَخْ ذِيكَ خُرَامِي وَثَمَامُ
 أَنَا مَا ذَنْبِي إِنْ كَذَّ بَنِي فِيكَ الْأَنَامُ
 وَقَفًّا يَحْلِفُ مَا إِنْ أَعْرَقَتْ فِيهِ الْكَرَامُ
 وَسَأَلَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنْ أَكْتُبَ لَهُ قِصَّةً ،

(١) النبطي : غير العربي . من قوم ينزلون بالبطائح بين العراقيين .

إِلَى جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْقَاضِي ، وَقَالَ : أَكْتُبُ
 لِي قِصَّةً سَهْلَةً ، بَلِيغَةً الْأَلْفَاظِ . فَقُلْتُ لَهُ : دَعْنِي
 أَكْتُبُ لَكَ مَا يَصْلُحُ لِلْقُضَاةِ ، فغَضِبَ وَقَالَ : مَا
 أَسْأَلُ أَنْ تُعْطِيَنِي شَيْئًا ، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ هَذَا الْمَعْنَى
 الرَّخِيسَ ، فَاحْتَمَلْتُ عَشْبَهُ لِدِمَامٍ ^(١) فَكَتَبْتُ لَهُ
 قِصَّةً ، لَا تَصْلُحُ أَنْ تُدْفَعَ ، إِلَّا لِلرُّؤُوبَةِ بْنِ الْعَجَّاجِ
 يَقْرَأُهَا ، أَوْ الطَّرِمَّاحِ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ بِيَدِ الْقَاضِي
 أَرَادَ قِرَاءَتَهَا ، فَإِذَا هِيَ مُغْلَقَةٌ ^(٢) عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ :
 أَنْتَ كَتَبْتَ هَذِهِ الْقِصَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِذَا
 فَاقْرَأْهَا ، فَذَهَبَ لِيَقْرَأَهَا ، فَإِذَا هِيَ أَشْبَهُ بِالسُّودَانِيَّةِ
 اسْتَعْجَامًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : — أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي —

(١) لديمام : لعهد (٢) مغلقة : صعب فهمها .

إِنَّمَا أَقْرَوُهَا فِي يَدَيَّ ، فَقَالَ لَهُ : فَاطْلُبْ حَاجَتَكَ إِذْنُ
 فِي يَدَيْكَ ! فَرَجَعَ إِلَى غَضْبَانَ أَسِفًا لَشَيْءٍ وَيُوْذِي ،
 وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ قِصَّةً عَلَى مَا أَرَى ، فَكَتَبْتُ
 لَهُ كِتَابًا ، يُشَبِّهُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِ إِلَى الْقَضَاةِ ،
 فَقَرَأَهَا وَقَضَى حَاجَتَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ
 وَاحِدَةً مِنْهُمَا !

وَالكِتَابُ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَيْئًا بِحَاجَةِ صَاحِبِهِ
 كَانَ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ .



المعاني
والالفاظ

وَالْمَعَانِي كُلُّهَا مُتَمَاثِلَةٌ ، وَالْكَلَامُ مُشَعَّبٌ ،
 وَلَكِنْ سِيَاسَتُهُ صَعْبَةٌ ، وَتَأْلِيفُهُ شَدِيدٌ ، إِلَّا عَلَى
 جَهَابَذَتِهِ وَفُرْسَانِهِ ، أَمْرَاءِ الْكَلَامِ ، يُصَرِّفُونَهُ

كَيْفَ شَاءُوا ، وَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْبَلَاغَةِ ، حَتَّى
يُسَابِقَ مَعْنَاهُ لَفْظُهُ ، وَلَفْظُهُ مَعْنَاهُ ، وَيَكُونَ اللَّفْظُ
أَسْبَقَ إِلَى الْأَسْمَاعِ ، مِنْ مَعْنَاهُ إِلَى الْقُلُوبِ .

الْجَلَّاحِظُ : كَانَ لَفْظُهُ فِي وَزْنٍ إِشَارَتِهِ ، وَطَبَعُهُ
فِي مَعْنَاهُ ، فِي مُطَابَقَةِ مَعْنَاهُ .

ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ ، أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ
فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَذْرِي اللَّفْظُ أَنْتَ أَمْ مَعْنَاهُ ؟
وَمَعْنَاهُ أَجْزَلُ أَمْ لَفْظُهُ ؟ .

وَالْمَعَانِي وَإِنْ كَانَتْ كَامِنَةً فِي الصُّدُورِ ، فَإِنَّهَا
مُصَوَّرَةٌ فِيهَا ، وَمُتَّصِلَةٌ بِهَا ، وَهِيَ كَاللَّائِي الْمَنْظُومَةِ
فِي أَصْدَافِهَا ، وَالنَّارِ الْمَخْبُوءَةِ فِي أَحْجَارِهَا ، فَإِنْ
أَظْهَرْتَهُ مِنْ أَكْنَانهِ وَأَصْدَافِهِ ، تَبَيَّنَ حُسْنُهُ ،

وَإِنْ قَدَحْتَ النَّارَ مِنْ مَكَامِنِهَا وَأَخْجَارِهَا انْتَفَعْتَ
بِهَا ، وَإِلَّا بَقِيَتْ مُحْجُوبَةً مَسْتُورَةً ، وَرُبَّمَا يُسْتَشَارُ
الْكَامِنُ مِنْهَا ، وَيُسْتَخْرَجُ الْمُسْتَسِرُّ^(١) مِنْ جَوَاهِرِهَا ،
بِقَدْرِ حِذْقِ الْمُسْتَنْبِطِ ، وَصَوَابِ حَرَكَاتِ الْمُسْتَخْرِجِ
وَقَصْدِ إِشَارَتِهِ ، وَلُطْفِ مَذَاهِبِهِ ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ
كُلُّ نَاطِقٍ وَلَا كَاتِبٍ ، يُوضِّحُ عَنِ الْمَعْنَى ، وَلَا
يُصِيبُ إِشَارَتَهُ ، وَكُلَّمَا كَانَ الْكَلَامُ أَفْصَحَ ،
وَالْبَيَانُ أَوْضَحَ ، كَانَ أَدَلَّ عَلَى حُسْنِ وَجْهِ الْمَعْنَى .
وَقَدْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ ، وَاللَّفْظَ
الظَّاهِرَ بِالْجَسَدِ الظَّاهِرِ ، وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى
الشَّرِيفِ ، لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزَلٌ . لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ
وَاضِحَةً ، وَلَا النِّظَامُ مُتَّسِقًا .

(١) المستسر : المستر .



الدال
على
المعنى

وَالدَّالُّ عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٍ : لَفْظٌ ، وَإِشَارَةٌ ،
وَعَقْدٌ ، وَخَطٌّ ، وَذَكَرَ أَرِسْطَاطَالِيْسُ خَامِسًا ،
وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى النَّصْبَةَ ، وَهِيَ الْحَالَةُ الدَّالَّةُ ،
الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ ، النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ
لَفْظٍ ، وَالْمُشِيرَةُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ يَدٍ ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَفِي كُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ ،
وَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْمَعَانِي الْأَرْبَعَةِ ، وَخَارِجَةٌ
مِنْهَا بِالْحُلِّيَّةِ .

وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ ، صُورَةٌ
مُخَالَفَةٌ لِصُورَةِ صَاحِبَتِهَا ، وَحِلْيَةٌ غَيْرُ مُشَاكِلَةٍ
لِحِلْيَةِ أُخْتِهَا ؛ غَيْرَ أَنَّهَا فِي الْجُمْلَةِ ، كَاشِفَةٌ عَنْ أَعْيَانِ

الْمَعَانِي ، وَأَوْضَحَ هَذِهِ الدَّلَائِلَ صِنْفَانِ : وَهُمَا اللِّسَانُ
وَالْقَلَمُ ، وَكِلَاهُمَا مُتَعَبَّدَانِ وَيُدْلَّانِ عَلَى الْقَلْبِ ،
وَيَسْتَمْلِيَانِ مِنْهُ ، وَيُؤَدِّيَانِ عَنْهُ مَا لَا تُؤَدِّي هَذِهِ
الْأَصْنَافُ الْبَاقِيَةُ .

وَأَمَّا اللِّسَانُ ، فَهُوَ آلَاءُ اللَّهِ الَّتِي يَخْرِجُ الْإِنْسَانَ
بِهَا مِنْ حَدِّ الْإِسْتِبْهَامِ^(١) ، إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ ،
وَلِذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ ، الْحَيُّ
الْنَاطِقُ (وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عُيَيْدَةَ) : إِنَّمَا يُبَيِّنُ^(٢)
عَنِ الْإِنْسَانِ ، اللِّسَانُ وَعَنِ الْمَوَدَّةِ ، الْعَيْنَانِ .
(وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) : وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ

(١) الاستبهام : الاستغلاق وأرتج عليه فلم يقدر على الكلام

(٢) يبين : يظهر ويخبر

رَفَعَ دَرَجَةَ اللِّسَانِ ، فَأَنطَقَهُ مِنْ يَنِّ الْجَوَارِحِ ^(١)
 بِتَوْحِيدِهِ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ عَبْرٍ عَنْ شَيْءٍ ، مِثْلَ
 مَنْ لَمْ يُعَبِّرْ عَنْهُ .

وَقَالَ آخَرُ : الرَّجُلُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالُوا :
 الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ ، قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ
 وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ

فَإِنْ تَرَهَا رَاقَتَكَ يَوْمًا فَرُبَّمَا
 أَمْرٌ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

(١) الجوارح : جمع جارحة . والمراد جميع الاعضاء .

وَقَالَ الْأَعْوَرُ التَّيْمِيُّ :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

ويروى البيت لزهير

وَقَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا

جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وَقَالَ الطَّائِيُّ :

وَمِمَّا كَانَتْ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ

لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ

☆☆

فضيلة
الخط
والكتابة

وَالْخَطُّ صُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحِلْيَةٌ مَوْصُوفَةٌ ،

وَفَضِيلَةٌ بَارِعَةٌ ، لَيْسَتْ لِهَذِهِ الْأَوْصَافِ ، لِأَنَّهُ يُنُوبُ

عَنْهَا فِي الْإِيضَاحِ عِنْدَ الْمَشْهَدِ ، وَيَفْضُلُهَا فِي الْمَغِيبِ ،
 « وَلِأَنَّ الْكُتُبَ تُقْرَأُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُتَبَايِنَةِ ،
 وَالْبُلْدَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، وَتُدْرَسُ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ ،
 وَبِكُلِّ لِسَانٍ ، وَاللِّسَانُ وَإِنْ كَانَ زَلِقًا فَصِيحًا ،
 لَا يَعْدُو سَامِعَهُ ، وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ »

وَكَفَى بِفَضِيلَةِ الْقَلَمِ وَالْخَطِّ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
 « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .
 وَأَقْسَمَ بِهِ كَمَا أَقْسَمَ بغيرِهِ ، ثُمَّ أَقْسَمَ بِمَا يَكْتُبُهُ
 الْقَلَمُ إِفْصَاحًا عَنْ حَالِهِ ، وَإِعْظَامًا لِشَأْنِهِ ، وَتَنْبِيْهًا
 لِدِكْرِهِ ، فَقَالَ : « نَ — وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » .
 وَمِنْ فَضِيلَةِ الْخَطِّ أَنَّهُ لِسَانُ الْيَدِ ، وَبَهْجَةُ الضَّمِيرِ ،
 وَدَلِيلُ الْإِرَادَةِ ، وَالنَّاطِقُ عَنِ الْخَوَاطِرِ ، وَسَفِيرُ

فضيلة
الخط
والقلم

الْعُقُولِ ، وَوَحْيُ الْفِكْرِ ، وَسِلَاحُ الْمَعْرِفَةِ ، وَمُحَادَثَةُ
 الْأَخِلَاءِ عَلَى التَّنَائِي ، وَأَنْسُ الْأَخْوَانِ عِنْدَ الْفُرْقَةِ ،
 وَمُسْتَوْدَعُ الْأَسْرَارِ ، وَدِيَوَانُ الْأُمُورِ ، وَتَرْجُمَانُ
 الْقُلُوبِ ، وَالْمُعَبِّرُ عَنِ النُّفُوسِ ، وَالْمُخْبِرُ عَنِ الْخَوَاطِرِ ،
 وَمُورِثُ الْآخِرِ مَكَارِمِ الْأَوَّلِ ، وَالنَّاقِلُ إِلَيْهِ مَا ثَرِ
 الْمَاضِي ، وَالْمُخَلِّدُ لَهُ حِكْمَتَهُ وَعِلْمَهُ ، وَالْمُسَامِرُ لِلْعَيْنِ
 بِسِرِّ الْقَلْبِ ، وَالْمُخَاطِبُ عَنِ النَّاصِتِ ، وَالْمُجَادِلُ
 عَنِ السَّائِكِ ، وَالْمُفْصِحُ عَنِ الْأَبْكَمِ ، وَالْمَتَكَلِّمُ
 عَنِ الْأَخْرَسِ ، الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ آثَارُهُ بِفَضَائِلِهِ ،
 وَأَخْبَارُهُ بِمَنَاقِبِهِ .



وَقَدْ وَضَعَتِ الْبَلَاغَةُ مِنَ الْقَلَمِ عَلَى الْقَدْرِ ،

فضيلة
 البلاغة

وَبَاذِخَ^(١) الْعِزَّ ، كَأَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ، فَرَّقَتْ
شَمْلَهُ ، وَبَدَّدَتْ جَمْعَهُ ، وَنَقَضَتْ^(٢) بَرْمَهُ ، وَأَفْسَدَتْ
صَلَاحَهُ ، وَضَعُضَتْ^(٣) بُيَانَهُ مَعَ ذَكَائِهِ وَتَفَطَّنِهِ ،
وَمَكَائِدِهِ وَدَهَائِهِ ، وَأَصَالَةَ رَأْيِهِ ، وَشِدَّةَ شَكِيمَتِهِ^(٤) ،
وَامْتِنَاعِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَنِفَارِهِ عَنْهُ ، كَيْفَ اسْتَفْرَهَ
ابْنُ الْمُقَفَّعِ ، وَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، وَجَبَلُ بْنُ يَزِيدَ ،
وَاسْتَمَالُوهُ بِسِحْرِ الْفَاطِمِ ، وَبَلَاغَةِ أَقْلَامِهِمْ ، حَتَّى
نَزَلَ مِنْ بَاذِخِ عِزِّهِ وَجَاءَ مُبَادِرًا^(٥) ، حَتَّى وَقَعَ فِي
الشَّرَكِ^(٦) الْمَنْصُوبِ لَهُ ، فَتَفَرَّقَ جَمْعُهُ وَانْطَفَأَ نُورُهُ ،
وَصَارَ خَبْرًا سَائِرًا ، وَرَشْمًا دَاثِرًا^(٧) ، وَرَفَعَ الْقَلَمَ ،

(١) الباذخ : العالى الشأن (٢) نقضت : فكت وحلت

(٣) وضعضت : هدمت (٤) الشكيمة : الأتفة والشم

(٥) مبادراً : مسارعاً (٦) الشراك : حبال الصيد

(٧) الدثر : البالى : والمراد أنه صار أثراً بعد عين

خَاشِعَ الطَّرْفِ ، صَغِيرَ الْخَطَرِ ، لَيْمَ الْجِنْسِ ، دَرَجَ
 مِنْ عُشِّ الثُّجَّارِ ، وَنَشَأَ بَيْنَ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ،
 كَيْفَ أَشَالَتْ^(١) الْبَلَاغَةُ بِضُبْعِيهِ ، وَرَفَعَتْ مِنْ
 نَاطِرِيهِ ، حَتَّى شَافَتْ^(٢) بِهِ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَرَفَعَتْ
 بِنَاءَهُ فَوْقَ الْبِنَاءِ ، حَتَّى طَلَبَهُ الرَّاكِبُ ، وَقَصَدَهُ
 الطَّالِبُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الرِّجَالُ ، وَلَحَظَتْهُ الْعُيُونُ
 بِالْوَقَارِ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الصَّنَائِعِ ، وَمُدَّتْ نَحْوَهُ
 الْأَصَابِعُ ، فَشَكَرَتْ مِنْهُ اللَّفْظَةُ ، وَرُجِيَتْ مِنْهُ
 اللَّحْظَةُ ، كَمَحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزِّيَّاتِ ، وَفِيهِ
 يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ :

ابن
الزيات

أَحْسَنُ مِنْ عِشْرِينَ يَتَا سُدَى

جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي يَتَا

(١) أَشَالَتْ : رَفَعَتْ (٢) شَافَتْ : قَارَبَتْ

مَا أَحْجَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَطْرَةٍ^(١)

تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ^(٢) الزَّيْتِ

فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

رَقِيتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ

قَدَرَكَ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتَ

قِيَرَتِ^(٣) الْمَلِكَ فَلَمْ تُنْقِهِ

حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ

وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ يَمْدَحُهُ وَيَصِفُ قَلَمَهُ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ^(٤)

تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمَفَاصِلِ

(١) المطرة : المرة من المطر (٢) وضر الزيت : وسخه

(٣) قيرتم الملك : سودتموه حتى غسلناه بالزيت فلم ينقه

(٤) في المقد الفريد بسانه

وَكَانَ مُحَمَّدٌ مِنَ الطَّيِّفِ النَّاسِ ذَهْنًا ، وَأَرْقَمِهِمْ
طَبَعًا . وَأَصْدَقِهِمْ حِسًّا . وَأَرْشَقَهُمْ قَلَمًا ، وَأَمْلَحَهُمْ
إِشَارَةً ، إِذَا قَالَ أَصَابَ ، وَإِذَا كَتَبَ أَبْلَغَ ، وَإِذَا
شَعَرَ أَحْسَنَ ، وَإِذَا اخْتَصَرَ أَغْنَى عَنِ الْإِطَالَةِ :
أَمْرُهُ الْوَاثِقُ أَنْ يَتَلَطَّفَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ،
وَيُعَلِّمَهُ أَنَّهُ صَرْفُهُ عَنْ أَمْرِ الْجَزَائِرِ وَالْعَوَاصِمِ ،
وَفَوْضَ ذَلِكَ لِابْنِ عَمِّهِ ، اسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؛
فَكَتَبَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَى
أَنْ يَخْلَعَ مَا فِي يَمِينِكَ مِنْ أَمْرِ الْجَزَائِرِ
وَالْعَوَاصِمِ ، فَيَجْعَلُهُ فِي شِمَالِكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

سَهْلُ بْنُ بَرَكَةٍ يَهْجُو أَبَا نُوحٍ النَّصْرَانِيَّ
الْكَاتِبَ فَقَالَ :

بَابِي وَأُمِّي ضَاعَتِ الْأَحْلَامُ^(١) ؟
أَمْ ضَاعَتِ الْأَذْهَانُ وَالْأَفْهَامُ ؟

مَنْ صَدَّ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَلَهُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ قِيَامُ ؟

إِلَّا تَكُنْ أَسْيَافُهُمْ مَشْهُورَةً^(٢)
فِينَا فَتِلْكَ سُيُوفُهُمْ أَقْلَامُ ؟

✱

✱ ✱

الْبَلَاغَةُ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ : اسْتِعْمَالُ الْقَلَمِ
أَجْدَرُ بِإِحْضَارِ الذَّهْنِ عِنْدَ تَصْحِيحِ الْكِتَابِ ، مِنْ
اسْتِعْمَالِ اللِّسَانِ عَلَى تَصْحِيحِ الْكَلَامِ .

(١) الأحلام : العقول (٢) مشهورة : مسلوكة

وَلَمْ يُخْتَلَفْ فِي شَرَفِ الْقَلَمِ ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ
 فِي كَيْفِيَّةِ الْبَلَاغَةِ وَمَاهِيَّتِهَا ، وَقَدْ مَدَحَهَا كُلُّ قَوْمٍ
 بِأَوْضَحِ عِبَارَتِهِمْ ، وَأَحْسَنِ بَيَانِهِمْ ، فَقَالَ صَاحِبُ
 الْيُونَانَيْنِ : الْبَلَاغَةُ تَصَحِيحُ الْأَقْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ
 الْكَلَامِ .

الرَّومِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ،
 وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ .

الْفَارِسِيُّ : هِيَ مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ .
 الْهِنْدِيُّ : هِيَ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ
 الْفُرْصَةِ ، ثُمَّ أَنَّ يَدْعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا ، إِلَى الْكِنَايَةِ
 عَنْهَا ، إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقًا ، وَرُبَّمَا كَانَ
 الْإِطْرَاقُ عَنْهَا ، أَبْلَغَ فِي الدَّرَكِ ، وَأَحَقَّ بِالظَّفَرِ .

غَيْرُهُ : جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ ، التَّامُّ حُسْنِ الْمَوْقِعِ ،
وَالْمَعْرِفَةُ بِسَاعَاتِ الْقَوْلِ ، وَقِلَّةُ الْحَذَقِ بِمَا التَّبَسَّ
مِنَ الْمَعَانِي وَغَمَضَ ، وَبِمَا شَرَدَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّفْظِ
وَتَعَذَّرَ ، ثُمَّ قَالَ : وَزَيْنُ ذَلِكَ كُلِّهِ وَبَهَاؤُهُ ،
وَحِلَاوَتُهُ وَسَنَاؤُهُ ، أَنْ تَكُونَ الشَّمَائِلُ مُعْتَدِلَةً ،
وَالْأَلْفَاظُ مَوْزُونَةً ، وَاللَّهْجَةُ نَقِيَّةً ، فَإِنْ جَامَعَ ذَلِكَ
السَّنَّ وَالسَّمْتَ وَالْجَمَالَ وَطُولَ الصَّمْتِ ، فَقَدْ
تَمَّ كُلُّ التَّامِّ ، وَكَمَلَ كُلُّ الْكَمَالِ .

وَقِيلَ لِهِنْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً
مَكْتُوبَةً عِنْدَهُمْ فِيهَا : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ ، اجْتِمَاعُ آلَةِ
الْبَلَاغَةِ ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْبَلِيغُ ، رَابِطَ الْجَأْشِ ،

سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، قَلِيلَ اللَّحْظِ ، مُتَخَيِّرَ اللَّفْظِ ،
لَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ ، وَلَا الْمُلُوكَ
بِكَلَامِ السُّوقَةِ ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ
فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ، وَلَا يُدَقِّقُ الْمَعَانِيَ كُلَّ التَّدْقِيقِ ،
وَلَا يُنَقِّحُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيحِ ، وَيُصَفِّيهَا كُلَّ
التَّصْفِيَةِ ، وَيُهَذِّبُهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ ، وَلَا يَكُونُ
كَذَلِكَ ، حَتَّى يُصَادِفَ فَيَلْسُوفًا ، حَكِيمًا عَلِيمًا ،
وَمَنْ قَدْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ ، وَإِسْقَاطَ
مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ .

أَنْوَشَرَوَانُ لِبِزْرُجْمَهَرٍ : مَتَى يَكُونُ الْعَيْ بُلِيغًا ؟
فَقَالَ إِذَا وَصَفَ بُلِيغًا .

أَرِسْطَاطَالِيْسُ : الْبَلَاغَةُ حُسْنُ الْإِسْتِعَارَةِ .

بِشْرِ بْنِ جَعْفَرٍ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى
الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ عَنْ خَسِيسِ الْكَلَامِ ، وَالِدَّلَالَةُ
بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ .

خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : لَيْسَ الْبَلَاغَةُ بِخَفَةِ اللِّسَانِ ،
وَلَا بِكَثْرَةِ الْهَذْيَانِ ، وَلَكِنَّهَا إِصَابَةُ الْمَعْنَى ،
وَالْقَصْدُ لِلْحُجَّةِ .

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الْبَلِيغُ مَنْ إِذَا وَجَدَ كَثِيرًا
مَلَأَهُ ، وَإِذَا وَجَدَ قَلِيلًا كَفَّاهُ .

ابْنُ عُثْبَةَ : الْبَلَاغَةُ دُنُوُّ الْمَأْخَذِ ، وَقَرَعُ الْحُجَّةِ ،
وَالِاسْتِغْنَاءُ بِالْقَلِيلِ عَنِ الْكَثِيرِ .

بَعْضُهُمْ : إِنِّي لَا أَكْرَهُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ
لِسَانِهِ ، فَاصِلًا عَنْ مِقْدَارِ عَقْلِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ

يَكُونُ مِقْدَارُ عَقْلِهِ ، فَاضِلًا عَنْ مِقْدَارِ لِسَانِهِ وَعِلْمِهِ .
يَكْفِي مِنْ حَظِّ الْبَلَاغَةِ ، أَلَّا يُؤْتَى ^(١) السَّامِعُ
مِنْ سُوءِ إِفْهَامِ النَّاطِقِ ، وَلَا يُؤْتَى النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ
فَهْمِ السَّامِعِ .

قِيلَ لِعَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ :
مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةَ ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ ، وَمَا بَصَرَكَ
بِمَوَاقِعِ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبِ غِيِّكَ ، فَقَالَ السَّائِلُ
« حَفْصُ بْنُ سَالِمٍ » : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . فَقَالَ :
مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْكُتَ ، لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْتَمِعَ ،
وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ الْإِسْتِمَاعَ ، لَمْ يُحْسِنْ الْقَوْلَ ؛
قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . « قَالَ » : قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ

(١) يُؤْتَى : يصاب

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ بَكَاءُونَ ^(١) »
وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَنْ عَقْلِهِ .
فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . قَالَ : كَانُوا
يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ ،
مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الشُّكُوتِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ
الصَّمْتِ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . فَقَالَ :
فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا تُرِيدُ تَخْيِيرَ اللَّفْظِ فِي حُسْنِ إِفْهَامٍ
« قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « إِنَّكَ » إِنَّ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ
حُجَّةِ اللَّهِ فِي عُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ ، وَتَخْفِيفِ الْمُؤُونَةِ ^(٢)
عَنِ الْمُسْتَمْعِينَ ، وَتَرْيِينَ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ
الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْأَذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ

(١) بكؤت العين : قل مأوها : وألسنة بكاء : قل كلامها . وفيها

معاشر الأنبياء بكاء : أى قلة كلام (٢) تخفيف المؤونة : تحمل المؤونة

عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَنَفْيِ
الشَّوَاعِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، عَلَى
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فَصْلَ الْخُطَابِ ،
وَاسْتَوْجِبْتَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ جَزِيلَ الثَّوَابِ .

الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : كُلُّ مَا أَدَّى إِلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ
فَهُوَ بَلَاغَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ لِمَعْنَاكَ
طَبَقًا ، وَلِتِلْكَ الْحَالِ وَفَقًا ، وَآخِرُ كَلَامِكَ لِأَوَّلِهِ
مُشَابِهًا ، وَمَوْرِدُهُ لِمَصْدَرِهِ مُوَازِنًا ، فَافْعَلْ . وَقِيلَ
لِلْخَلِيلِ ابْنِ أَحْمَدَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا قَرُبَ
طَرَفَاهُ ، وَبَعْدَ مُنْتَهَاهُ ، وَاحْرِصْ أَنْ تَكُونَ
لِكَلَامِكَ مُتَّهَمًا وَإِنْ ظَرُفَ ، وَلِنِظَامِكَ مُسْتَرِيًّا

وَإِنْ لَطُفَ ، بِمُؤَاتَاةِ آلَتِكَ لَكَ ، وَتَصَرُّفِ إِرَادَتِكَ
مَعَكَ ، فَافْعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

☆

☆☆

ختم
الرسالة

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ عَذْرَاءُ ، لِأَنَّهَا بِكُرِّ مَعَانٍ ،
لَمْ تَفْتَرِعْهَا بِلَاغَةِ النَّاطِقِينَ ، وَلَا لَمَسَتْهَا أَكْفُ
الْمُفَوِّهِينَ ، وَلَا غَاصَتْ عَلَيْهَا فِطْنُ الْمُتَكَلِّمِينَ ،
وَلَا سَبَقَ إِلَى الْفَاطِهَا أَذْهَانُ النَّاطِقِينَ ؛ فَاجْعَلْهَا مِثَالًا
بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَمُصَوِّرَةً بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَمُسَامِرَةً لَكَ
فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، تَهْطِلُ عَلَيْكَ شَايِبَ مَنَافِعِهَا ،
وَيُظْلِكُ مِنْهَا بَرَكَاتُهَا ، وَتُورِدُكَ مَنَاهِلَ بِلَاغَتِهَا ،
وَتَدُلُّ عَلَى مَهْيَعِ ^(١) رُشْدِهَا ، وَتُصَدِّرُكَ ^(٢) وَقَدْ تُقَعِّعُ
ظَمَوْكَ بَيْنَايِعِ بَحْرِ إِحْسَانِهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) المهيع : الطريق الواسع (٢) وتصدرك : تصرفك

✱
✱ ✱

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

✱
✱ ✱

وَالْآنَ وَقَدْ وَفَّقَنَا اللَّهُ إِلَى إِتِّمَامِ الرِّسَالَةِ الْعِزْرَاءِ الْحَاطَةِ
لِابْنِ الْمُذَبَّرِ ، وَوَقَفْتَ مِنْهَا عَلَى وَجْهَاتٍ نَظَرِ
شُيُوخِ الْأَدَبِ ، وَاسْتَفَدْتَ مِنْهَا الْكَثِيرَ ، مِمَّا
يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عُدَّةٌ فِيهَا أَنْتَ رَاغِبٌ فِيهِ
حَقًّا ، مِنْ عَدَمِ حِرْمَانِكَ — وَأَنْتَ مَاضٍ فِي
تَقَاتِكَ الْحَدِيثَةِ — مِنْ قِسْطٍ وَافٍ مِنَ الْأَدَبِ
الْعَرَبِيِّ الصَّحِيحِ مَعْنَى وَمَبْنَى ، لَفْظًا وَرُوحًا ،
سِياقًا وَأُسْلُوبًا ، سَلَاسَةً وَفَرَاهَةً — الْآنَ وَقَدْ

وَقَفْتَ عَلَى ذَلِكَ وَأَشْبَاهِهِ فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي لِمَاذَا تُصِرُّ
عَلَى الشَّكْلِ وَالضَّبْطِ وَالتَّرْقِيمِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، وَقَدْ
نَهَانَا عَنْ مِثْلِهِ ابْنُ الْمُدَبِّرِ ، وَإِنِّي مَعَ فَارِطٍ إِعْجَابِي
بِيقَظَتِكَ وَتَوْقُودِكَ ، أَبْصَرْتُكَ بِأَمْرِ لَا إِخَالُكَ ذَاكَرُهُ
وَمُقَدَّرُهُ : ذَلِكَ أَنَّ الْعَصْرَ غَيْرُ الْعَصْرِ ، وَالزَّمَانَ
غَيْرُ الزَّمَانِ ، وَاللُّغَةَ غَيْرُ اللُّغَةِ ، وَحَاشَايَ أَنْ أَقُولَ
لَكَ بِالْغَا إِنِّ لُغَةً كُلُّ رُقْعَةٍ عَرَبِيَّةٍ فِي التَّقْسِيمِ
الْجُغْرَافِيِّ ، لَيْسَتْ بِخَالِصَةِ اللِّسَانِ فِي الْأُسْلُوبِ
الْعَرَبِيِّ ، وَهُنَاكَ أَمْرٌ حَرِيٌّ بِلَفْظَتِكَ : ذَلِكَ أَنَّ
اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةَ لَهَا حُرُوفٌ لِمُخْتَلِفِ الْحَرَكَاتِ
وَالسَّكَنَاتِ وَالْمُخَفَّفَاتِ مِنْهَا وَالثَّقِيلَاتِ ، وَذَوَاتِ
الْأَصْوَاتِ الْكَامِلَاتِ ، وَالْمَخْطُوفَاتِ وَنَحْنُ

سَيِّمًا فِي عَصْرِنَا وَجِيلِنَا وَزَمَانِنَا بِحَاجَةٍ إِلَى الْمُعْجَمِ
 مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَإِلَى الشَّكْلِ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَإِلَى
 التَّرْقِيمِ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَالِثَةٍ . . . « وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ
 هُوَ مُوَلِّيًا » .



وَلَنُنْتَقِلَ بِكَ الْآنَ إِلَى مَقْرُوءَاتِنَا فِي ابْنِ قُتَيْبَةَ
 وَإِنَّا بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ اخْتَرْنَا لَكَ مَا يَتَّصِلُ وَالسِّيَاقِ
 وَالْغَايَةِ مِنْ تَفْهَمِ الْأَدَبِ وَالْبَيَانِ وَيَلْبِغِ الْأَقْوَالِ
 وَالْأَشْعَارِ وَالْعُهُودِ « الْأَمَانِ » وَمَا إِلَى ذَلِكَ ؛
 مُبْتَهِلِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حُسْنِ إِفَادَتِكَ : إِنَّهُ
 سَمِيعٌ مُجِيبٌ .

(١) البيان حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ عَنْ قَيْسٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ . وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَ .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فِيمَ الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « فِي اللِّسَانِ » .

وَكَانَ يُقَالُ : عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَقْلُ الرَّجُلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ . يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ عَقْلُهُ إِلَّا فِي الْكَلَامِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ

لَهُ وَجْهُ وَيَأْسَ لَهُ لِسَانُ

وَمَا حُسْنُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِزَيْنِ

إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحُسْنَ الْبَيَانَ

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِرَجُلٍ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ ،

فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالًا ، وَالْأُذُنَ يَبَانًا . وَقَالَ

النَّمِرُ بْنُ تَوَلَبٍ :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ

وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجُهَا عِلَاجًا

وَمِنْ حَاجَاتِ نَفْسِي فَأَعْصِمَنِي

فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجًا

وَصَفَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فَيُحْسِنُ ، فَقَالَ :
يَضَعُ الْهِنَاءَ ^(١) مَوَاضِعَ النَّقَبِ ^(٢) .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : فَلَانٌ يُجِيدُ الْحَزَّ ، وَيُصِيبُ
الْمِفْصَلَ ، وَرُبَّمَا قَالُوا : يُقِلُّ ^(٣) الْحَزَّ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ
فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ :

إِذَا قَالَ لَمْ يَثْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ

لِعِيٍّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ ^(٤)

يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى

وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ

(١) الهِنَاءُ : القطران (٢) النقب جمع نقبة . وهي أول ما يبدو

من الجرب . (٣) من الامثال التي تضرب في البلاغة قولهم : فلان يقل

الكلام ويصيب المعاني (٤) الهجر : الفحش من القول .

وَقَالَ حَسَّانُ فِيهِ :

إِذَا قَالَ لَمْ تَشْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلِ

بِمُلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى يَنْهَا فَصْلًا

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ

لِنَدَى إِرْبَةِ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا

سَمَوْتَ إِلَى الْعُلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ

فَنِلْتَ ذُرَاهَا^(١) لَا دَنِيًّا وَلَا وَغْلًا^(٢)

وَيُقَالُ : الصَّمْتُ مَنَامٌ وَالْكَلَامُ يَقْظَةٌ . وَيُقَالُ :

خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُحْتَجْ بَعْدَهُ إِلَى الْكَلَامِ .

ذَكَرَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطَّالِبِيُّ رَجُلًا فَقَالَ :

أَفَظَهُ قَوَالِبُ مَعَانِيهِ .

(١) الذروة : السنام ومن كل شيء أعلاه (٢) الوغل : النذل الضعيف

وَمَدَحَ أَغْرَابِيٍّ رَجُلًا فَقَالَ : كَلَامُهُ الْوَبْلُ^(١) عَلَى
الْمَحَلِّ^(٢) ، وَالْعَذْبُ الْبَارِدُ عَلَى الظَّمَاءِ .
وَقَالَ الْخَطِيبَةُ :

وَأَخَذْتُ أَقْطَارَ^(٣) الْكَلَامِ فَلَمْ أَدْعُ
ذِمًّا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَكَانَ الْخَطِيبَةُ يَقُولُ : إِنَّمَا شِعْرِي حَسْبُ مَوْضُوعٍ ،
فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ : كَذَبَ ، تَرَحُّهُ^(٤)
اللَّهُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ التَّقْوَى ..

قِيلَ لِعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ :
مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةَ ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ . قَالَ

(١) الوبل : المطر الشديد (٢) المحل : الجذب (٣) أقطار
الكلام : نواحيه (٤) ترحه الله : أحزنه ونقصه

السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : فَمَا بَصَرَكَ مَوَاقِعَ
رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ غِيِّكَ^(١) ؛ قَالَ السَّائِلُ : لَيْسَ
هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : مَنْ لَمْ يُحْسِنْ الإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنْ
الْقَوْلَ ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَايَ^(٢) »

وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى
عَقْلِهِ ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : كَانُوا يَخَافُونَ
مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ
مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ . وَمِنْ سَقَطَاتِ الصَّمْتِ ؛
قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا تُرِيدُ
تَخْيِيرَ اللَّفْظِ ، فِي حُسْنِ إِفْهَامٍ . قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ :

(١) الغي : الضلال (٢) بكاء : جمع بكى : وهو قليل الكلام

إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ فِي عُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ
وَتَخْفِيفِ الْمَوْئِنَةِ^(١) عَلَى الْمُسْتَمِيعِينَ ، وَتَرْيِينِ تِلْكَ
الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ
فِي الْأَذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ
اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَنَفْيِ الشَّوَاعِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ
فَصْلَ الْخُطَابِ ، وَاسْتَوْجَبْتَ عَلَى اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : مَا رَأَيْتُ زِيَادًا كَاسِرًا إِحْدَى عَيْنَيْهِ ،
وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، يُخَاطِبُ رَجُلًا
إِلَّا رَحِمْتُ الْمُخَاطَبَ . وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا
يَتَكَلَّمُ فَيُحْسِنُ ، إِلَّا أُحِبِّتُ أَنْ يَصْمُتَ خَوْفًا

مِنْ أَنْ يُسَيَّ إِلَّا زِيَادًا ، فَإِنَّهُ كَلَّمَ زَادَ ، زَادَ حُسْنًا ،
وَقَالَ :

وَقَبْلَكَ مَا أُعِيَّتْ كَاسِرَ عَيْنِهِ

زِيَادًا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى حَبَائِلِهِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

إِذَا رَأَى رَجُلًا يُبْلِجُ^(١) فِي كَلَامِهِ قَالَ : خَالِقُ هَذَا
وَخَالِقُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَاحِدٌ !

وَتَكَلَّمَ عَمْرٍو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْدَقِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :

لَقَدْ رَجَوْتُ عَثْرَتَهُ^(٢) لَمَّا تَكَلَّمَ ، فَأَحْسَنَ حَتَّى
خَشِيتُ عَثْرَتَهُ إِنْ سَكَتَ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ لِصُحَّارِ الْعَبْدِيِّ :

(١) يبلج في الأمر : يتردد فيه (٢) عثرته : زلته

مَا هَذِهِ الْبَلَاغَةُ الَّتِي فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : شَيْءٌ تَجِيشُ
 بِهِ صُدُورَنَا ، ثُمَّ تَقْذِفُهُ عَلَى السِّنْتِنَا ؛ فَقَالَ رَجُلٌ
 مِنَ الْقَوْمِ : هَؤُلَاءِ بِالْبُسْرِ^(١) أَبْصَرُ ؛ فَقَالَ صَحَّارٌ :
 أَجَلٌ ، وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الرِّيحَ تُلَقِّحُهُ ، وَأَنَّ الْبَرْدَ
 يُقْعِدُهُ ، وَأَنَّ الْقَمَرَ يَصْبُغُهُ ، وَأَنَّ الْحَرَّ يَنْضِجُهُ ؛
 فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا تَعْدُونَ الْبَلَاغَةَ فِيكُمْ ؟ فَقَالَ :
 الْإِيحَازُ ؛ قَالَ : وَمَا الْإِيحَازُ ؟ قَالَ : أَنَّ تُجِيبَ
 فَلَا تُبْطِئَ ، وَتَقُولَ فَلَا تُخْطِئَ ، ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حُسْنُ الْإِيحَازِ إِلَّا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ
 أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : وَفَدَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَى
 مُعَاوِيَةَ الشَّامَ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِنَّ الْحَسَنَ

(١) البسر : البلح قبل إنضاجه

رَجُلٌ أَفْهٌ^(١) ، فَلَوْ حَمَلَتْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَكَلَّمَ ، فَسَمِعَ
النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ عَابُوهُ ؛ فَأَمَرَهُ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرِ ،
فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، لَوْ طَلَبْتُمْ ابْنًا لِنَبِيِّكُمْ مَا بَيْنَ جَابِرِ^(٢)
إِلَى جَابِلِقَ ، لَمْ تَجِدُوهُ غَيْرِي وَغَيْرَ أَخِي ، « وَإِنْ أَدْرَى
لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » . فَسَاءَ ذَلِكَ عَمْرًا
وَأَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ،
هَلْ تَنْعَتُ الرُّطْبَا ؟ فَقَالَ : أَجَلْ ، تُلْقِيهِ الشَّمَالُ ،
وَتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ ، وَيُنْضِجُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ بِحَرِّ النَّهَارِ ؛
قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ تَنْعَتُ الْحِرَاءَةَ^(٣) ؟ قَالَ :

(١) إلفه العي في النطق (٢) جابر: مدينة بأقصى المشرق : وجابلق:

مدينة بأقصى المغرب (٣) الحراءة : التخلي والعود لفضاء الحاجة

نَعَمْ ، تُبْعِدُ الْمَمْشَى فِي الْأَرْضِ الصَّحْصَحَ ^(١) ، حَتَّى
تَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ، وَلَا تَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَلَا
تَسْتَدْبِرُهَا ، وَلَا تَسْتَنْجِي بِالرَّوْثَةِ وَلَا الْعَظْمِ ،
وَلَا تَبُولَ فِي الْمَاءِ الرَّكِدِ ؛ وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ
وَكَانَ يُقَالُ : كُلُّ شَيْءٍ ثَنِيَّتُهُ يَقْصُرُ مَا خَلَا
الْكَلَامَ ، فَإِنَّكَ كُلَّمَا ثَنَيْتَهُ طَالَ . قَالَ الْحَسَنُ :
الرَّجُلُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ بِنَفْسِهِ ، وَرَجُلٌ بِلِسَانِهِ ،
وَرَجُلٌ بِمَالِهِ .

تَكَلَّمَ صَعْصَعَةُ بْنُ صَوْحَانَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ؛
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ ^(٢) الْقَوْلُ ؟ فَقَالَ صَعْصَعَةُ :

(١) الصحصح : ما استوى من الأرض واتسع

(٢) بهرك القول : غلبك

إِنَّ الْجِيَادَ نَضَاحَةُ الْمَاءِ . وَيُقَالُ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ
مَا سَابَقَ مَعْنَاهُ لَفْظُهُ .

وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِيِّ : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ ، اجْتِمَاعُ آلَةِ
الْبَلَاغَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجَأَشِ^(١) ،
سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، قَلِيلَ اللَّحْظِ ، مُتَخَيِّرًا لِلْفَظِ ،
لَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ ، وَلَا الْمُلُوكَ
بِكَلَامِ السُّوقَةِ ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ
فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ، وَلَا يُدَقِّقُ الْمَعَانِيَ كُلَّ التَّدْقِيقِ ،
وَلَا يُلَقِّحُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّلْقِيحِ^(٢) ، وَلَا يُصَفِّهَا
كُلَّ التَّصْفِيَةِ (وَلَا يَهْذِبُهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ ، وَلَا يَفْعَلُ
ذَلِكَ حَتَّى يُصَادِفَ حَكِيمًا أَوْ فِيلَسُوفًا عَلِيمًا) .

(١) الجأش : القلب . (٢) التلقيح : وضع طلع الذكور في الاناث

وَيَكُونُ قَدْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ ،
وِإِسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَازِ ، قَدْ نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ
الْمَنْطِقِ ، عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ ، لَا عَلَى
جِهَةِ الْإِعْتِرَاضِ وَالتَّصْفِيحِ .

وَنَحْنُ هَذَا قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ
وَقِيلَ لَهُ : مَا الْبَيَانُ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ الْإِسْمُ
يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ ، وَيَحْكِي عَنْ مَعْنَاكَ ، وَتُخْرِجُهُ
مِنَ الشَّرِكَةِ ، وَلَا تَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ ، وَالَّذِي
لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ، أَنْ يَكُونَ سَلِيماً مِنَ التَّكْلِيفِ ،
بَعِيداً مِنَ الصَّنْعَةِ ، بَرِيئاً مِنَ التَّعَقُّدِ ، غَنِيّاً
عَنِ التَّأْوِيلِ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْبَلِيغُ مَنْ طَبَّقَ الْمَفْصِلَ ،
وَأَغْنَاكَ عَنِ الْمُفَسِّرِ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَتَبَ
قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى الْحَجَّاجِ يَشْكُو قِلَّةَ مَرْزُئَتِهِ ^(١)
مِنَ الطَّعَامِ ، وَقِلَّةَ غِشْيَانِهِ النِّسَاءِ ، وَحَصْرَهُ عَلَى
الْمَنْبَرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : اسْتَكَثِرْ مِنَ الْأَلْوَانِ
لِتُصِيبَ مِنْ كُلِّ صَخْفَةٍ شَيْئًا ، وَاسْتَكَثِرْ مِنَ
الطَّرُوقَةِ ^(٢) ، تَجِدْ بِذَلِكَ قُوَّةً عَلَى مَا تُرِيدُ ، وَأَنْزِلِ
النَّاسَ مَنَزِلَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَخَاصَّتِكَ ،
وَارْزُقْ بِبَصَرِكَ أَمَامَكَ ، تَبْلُغُ حَاجَتَكَ .

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنْ كَانَ فِي الْعِيِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ

فَفِي الْبَلَاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيهَا

(١) المرزئية من الطعام : الاصابة منه (٢) الطروقة : زوجة الفحل

تَكَلَّمَ رَجُلٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَهَذَرَ^(١) ، فَلَمَّا أَطَالَ
قَالَ : أَسْكُتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :
وَهَلْ تَكَلَّمْتَ ؟ .

وَيُقَالُ أَعْيَا الْعِيَّ ، بِلَاغَةِ بَعِيٍّ ، وَأَقْبَحُ اللَّحَنِ ،
لَحْنٌ بِأَعْرَابٍ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْحُظُّ لِلْمَرْءِ فِي
أُذُنِهِ ، وَالْحُظُّ لِفَيْرِهِ فِي لِسَانِهِ . وَيُقَالُ : رَبَّ
كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي .

وَيُقَالُ : الصَّمْتُ أَبْلَغُ مِنْ عِيٍّ بِبِلَاغَةٍ .
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَرَى الصَّمْتَ أَذْنِي لِبَعْضِ الصَّوَابِ

وَبَعْضَ التَّكَلُّمِ أَذْنِي لِعِيٍّ

(١) هذر في كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغي

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ بَرْمَكِيٍّ : إِذَا كَانَ الْإِكْثَارُ أَبْلَغَ ،
كَانَ الْإِيْجَازُ تَقْصِيرًا ، وَإِذَا كَانَ الْإِيْجَازُ كَافِيًا ،
كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا .

قَالَ ابْنُ السَّمَّالِ : الْعَرَبُ تَقُولُ : الْعَيُّ النَّاطِقُ ،
أَعْيَا مِنْ الْعَيِّ الصَّامِتِ .

قَالَ أَبُو شَرَوَانَ لِبُزْرِجَمَهْرَ : مَتَى يَكُونُ الْعَيُّ
بَلِيغًا ؟ فَقَالَ : إِذَا وَصَفَ حَبِيبًا .

قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ : لَيْسَ لِعَيٍّ مَرْوَةٌ ،
وَلَا لِمِنْقُوصٍ الْبَيَانَ بَهَاءً ، وَلَوْ بَلَغَ يَأْفُوخُهُ^(١)
أَعْنَانُ^(٢) السَّمَاءِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ .

(١) اليافوخ : هو الموضع الذي يلتقي فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره (٢) أعنان السماء : نواحيها

عَجِبْتُ لِإِذْلالِ الْعِيِّ بِنَفْسِهِ

وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمًا

وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعِيِّ وَإِنَّمَا

صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : مَوْطِنَانِ لَا أَسْتَحْيِي مِنْ

الْعِيِّ فِيهِمَا : إِذَا أَنَا خَاطَبْتُ جَاهِلًا ، وَإِذَا أَنَا سَأَلْتُ
حَاجَةً لِنَفْسِي .

ذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَحْيَا فَقَالَ : رَأَيْتُ عَوْرَاتِ

النَّاسِ بَيْنَ أَرْجُلِهِمْ ، وَعَوْرَةَ فُلَانٍ بَيْنَ فَكِّهِ .

وَعَابَ آخَرُ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ مِنْ يَتَامَى الْمَجْلِسِ

أَبْلَغُ مَا يَكُونُ فِي نَفْسِهِ أَعْيَى مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلَسَائِهِ .

قَالَ رَيْبَعَةُ الرَّأْيِ : السَّائِكُ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْأَخْرَسِ .

تَذَاكَرَ قَوْمٌ فَضْلَ الْكَلَامِ عَلَى الصَّمْتِ ، وَفَضْلَ
الصَّمْتِ عَلَى الْكَلَامِ ، فَقَالَ أَبُو مُسْهِرٍ : كَلَّا !
إِنَّ النَّجْمَ لَيْسَ كَالْقَمَرِ ، إِنَّكَ تَصِفُ الصَّمْتَ
بِالْكَلَامِ ، وَلَا تَصِفُ الْكَلَامَ بِالصَّمْتِ .

وَذَمَّ قَوْمٌ فِي مَجْلِسِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَلَامَ
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : اللَّهُمَّ غَفِرًا ، إِنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فَأُحْسِنَ ،
قَدَرَ أَنْ يَصْمْتَ فَيُحْسِنَ ، وَلَيْسَ مَنْ صَمْتَ فَأُحْسِنَ ،
قَادِرًا عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُحْسِنَ .

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : طُولُ الصَّمْتِ جُبْسَةٌ ^(١)
وَنَحْوُهُ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : تَرَكُ الْحَرَكََةَ عُقْلَةً .
وَكَانَ نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ ، إِذَا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ

(١) الجُبْسَةُ : تعذر الكلام عند إرادته

صَمَتَ ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا تَكَلَّمَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ :
أَمَّا عِنْدِي فَتُطْرَقُ ، وَأَمَّا عِنْدَ النَّاسِ فَتَنْطِقُ ، فَقَالَ :
أَدِقُّ^(١) عَنْ جَلِيلِكَ ، وَتَجَلِّينَ عَنْ دَقِيقِي .

وَفِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ : — يَا بُنَيَّ — قَدْ نَدِمْتُ عَلَى
الْكَلَامِ ، وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى السُّكُوتِ .

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : النَّسْنَسُ خَلْقٌ بِالْيَمَنِ ، لِأَحَدِهِمْ
عَيْنٌ وَيَدٌ وَرِجْلٌ يَقْفِزُ بِهَا ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ يَصْطَادُونَهُمْ ،
فَيَخْرِجُ قَوْمٌ فِي صَيْدِهِمْ ، فَرَأَوْا ثَلَاثَةً نَفَرٍ مِنْهُمْ ،
فَأَذْرَكُوا وَاحِدًا فَعَقَرُوهُ وَذَبَحُوهُ ، وَتَوَارَى اثْنَانِ فِي
الشَّجَرِ . فَقَالَ الَّذِي ذَبَحَهُ : إِنَّهُ لَسَمِينٌ ، فَقَالَ
أَحَدُ الْاِثْنَيْنِ : إِنَّهُ أَكَلَ ضِرْوًا^(٢) فَأَخَذُوهُ فَذَبَحُوهُ

(١) أدق عن جليلك : أمتنع عن كلامك . وتجلين : تمتنعين عن كلامي

(٢) الضرو : حبة الخضراء

فَقَالَ الَّذِي ذَبَحَهُ : مَا أَنْفَعَ الصَّمْتَ ؟ قَالَ الثَّالِثُ :
فَهَإِنَّا الصَّمِيتُ ، فَأَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ .

كَانَ يُقَالُ : إِذَا فَاتَكَ الْأَدَبُ ، فَالْزِمِ الصَّمْتَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَجْتَرِئُ عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا فَائِقٌ^(١)
أَوْ مَائِقٌ^(٢) .

وَقَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ رَجُلًا :

صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ

وَفَتَّاقٌ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَنْصِفْ أذُنَيْكَ مِنْ فَيْكَ ،

فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ (اثْنَتَانِ) وَفَمٌ وَاحِدٌ ، لِتَسْمَعَ

أَكْثَرَ مِمَّا تَقُولُ .

(١) الفائق : الأديب العالم . (٢) المائق : الهالك حقاً وغباوة

حَضَرَ قُشَيْرِيُّ مَجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَأَطَالَ
الصَّمْتَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : بِحَقِّ سَيْتِمَ خُرسِ
الْعَرَبِ ؛ فَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ : يَا أَخِي ، إِنَّ حَظَّ الرَّجُلِ
فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ ، وَحَظُّهُ فِي لِسَانِهِ لِبَعْدِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَكْثَرَ الصَّمْتِ مَا لَمْ
تَكُنْ مَسْئُولًا ، فَإِنَّ فَوْتَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ مِنْ
خَطْلِ^(١) الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا نَارَعَيْتَ نَفْسَكَ إِلَى مَرَاتِبِ
الْقَائِلِينَ الْمُصِيبِينَ ، فَادْكُرْ مَا دُونَ الصَّوَابِ مِنْ
وَجَلِ الْخَطَا ، وَفَضَائِحِ الْمُقْصِرِينَ .

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْهَيْثَمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَا ؛
فَقَالَ لَهُ الْهَيْثَمُ : يَا هَذَا ، بِكَلَامٍ مِثْلِكَ رُزِقَ

(١) الخطل من الكلام : ما ليس صوابا

أَهْلُ الصَّمْتِ الْمُحَبَّةَ ، وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِزَامٍ وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَامٍ

وَقَالَ آخَرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَأَسَهُ الْجَهْلُ لَيْشًا مُغِيرًا

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
صَاحِبُ لَنَا عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ، أَنَّهُ قَالَ :
« لَوْ كَانَتْ الصُّحُفُ مِنْ عِنْدِنَا لَأَقْلَلْنَا الْكَلَامَ »

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا تَطَرَّفَ الْعَرَبِيُّ كَثُرَ
كَلَامُهُ ، وَإِذَا تَطَرَّفَ الْفَارِسِيُّ كَثُرَ سُكُوتُهُ .

قَالَ حَاتِمٌ طَيِّئٌ : إِذَا كَانَ الشَّيْءُ يَكْفِيكَهُ
الْبَرَاءُ . فَاتْرُكْهُ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ : اسْتَعِنْ عَلَى
الْكَلَامِ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ
فِيهَا نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ ، فَإِنَّ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ
فِيهَا الْخَطَأُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ .

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ قَتَادَةَ :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا

وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَاكِ يَوْمًا ، وَجَارِيَةٌ لَهُ تَسْمَعُ
كَلَامَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتِ كَلَامِي ؟
قَالَتْ : مَا أَحْسَنَهُ لَوْلَا أَنَّكَ تَكْثُرُ تَرْدَادَهُ ؟

قَالَ : أُرَدِّدُهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ ؛ قَالَتْ :
 إِلَى أَنْ يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ ، قَدْ مَلَّاهُ^(١) مَنْ فَهَمَهُ !
 قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ : مَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ فِي غَيْرِ
 ذِكْرِ فَقَدْ لَعَا ، وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ
 فَقَدْ سَهَا ، وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرِ فَقَدْ لَهَا .
 كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ زُفَرٍ ، لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى تَبْسِطَ
 الشَّمْسُ ، فَإِذَا انْقَلَبَ عَنْ صَلَاتِهِ ، ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ
 وَقَطَعَ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ . وَكَانَ جَرِيرٌ لَا يَتَكَلَّمُ
 حَتَّى تَبْزُغَ^(٢) الشَّمْسُ ، فَإِذَا بَزَغَتْ ، قَذَفَ
 الْمُحْصَنَاتِ . قَالَ قَتَادَةُ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ ،
 لَا يُعَادُ الْحَدِيثُ مَرَّتَيْنِ . قَالَ : الزُّهْرِيُّ : إِعَادَةُ
 الْحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الصَّخْرِ .

(١) ملأه : سئمه (٢) تبرزغ : تطلع

وَفِي كُتُبِ الْعَجَمِ ، أَنَّ أَرْبَعَةً مِنْ الْمُلُوكِ
اجْتَمَعُوا ، فَقَالُوا كُلُّهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، كَأَنَّهَا رَمِيَةٌ
بِسَهْمٍ : مَلِكُ فَارِسَ ، وَمَلِكُ الْهِنْدِ ، وَمَلِكُ الرُّومِ ،
وَمَلِكُ الصِّينِ .

قَالَ أَحَدُهُمْ : إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتَنِي
وَلَمْ أَمْلِكْهَا ، وَقَالَ آخَرُ :

قَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ ، وَلَمْ أُنْدَمْ عَلَى مَا لَمْ
أَقُلْ . وَقَالَ آخَرُ : أَنَا عَلَى رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ ، أَقْدَرُ
مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ آخَرُ : مَا حَاجَتِي إِلَى
أَنْ أَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ ، إِنْ وَقَعْتُ عَلَى خَرَّتْنِي ، وَإِنْ
لَمْ تَقَعْ عَلَى لَمْ تَنْفَعْنِي .

قَالَ زَيْدُ الْيَمِيِّ : أَسْكَتَنِي كَلِمَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ

عِشْرِينَ سَنَةً ؛ مَنْ كَانَ كَلَامُهُ لَا يُوَافِقُ فِعْلَهُ ،
فَإِنَّمَا يُؤَبِّحُ نَفْسَهُ .

« وَفِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِئِنَّةٍ » : ثَلَاثَةُ يُؤَثَرُونَ
بِالشُّكُوتِ ، الرَّاقِي فِي جَبَلٍ طَوِيلٍ ، وَآكِلُ السَّمَكِ ،
وَالْمُرَوِّى فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :
قَدْ أَفْلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ

كَلَامٌ وَاعٍ الْكَلَامِ قُوْتُ
مَا كُلُّهُ نَطَقٌ لَهُ جَوَابُ

جَوَابُ مَا يُكْرَهُ الشُّكُوتُ
يَا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومُ

مُسْتَيْقِنٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ أُسَامَةَ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنِ الْحَسَنِ

قَالَ : جَلَسُوا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَتَكَلَّمُوا ، وَصَمَتَ الْأَحْنَفُ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا أَبَا بَحْرٍ ، مَا بَالُكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟
قَالَ : أَخَافُكُمْ إِنْ صَدَقْتُكُمْ ، وَأَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْتُ .
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ ، حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ قَالَ ،
حَدَّثَنَا أَبُو الْحَكَمِ مَرْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، عَنْ مُوسَى
عَنْ أَبِي دِرْهَمٍ ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْهٍ قَالَ : قَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : « كَفَى بِكَ ظَالِمًا إِلَّا تَزَالَ مُخَاصِمًا ،
وَكَفَى بِكَ آثِمًا إِلَّا تَزَالَ مُمَارِيًا ، وَكَفَى بِكَ كَاذِبًا ،
إِلَّا تَزَالَ مُحَدِّثًا بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى . »
وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ

وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ

فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ

وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأَ عَلَى مَهْلٍ

سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ عَنِ الْبَلَاغَةِ ، فَقَالَ : مَنْ

أَخَذَ مَعَانِيَ كَثِيرَةً ، فَأَدَّاهَا بِالْفَظِّ قَلِيلَةٍ ، أَوْ أَخَذَ
مَعَانِيَ قَلِيلَةً ، فَوَلَّدَ فِيهَا أَلْفَظًا كَثِيرَةً .

بَلَغَنِي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ قَالَ : كَانَ

إِبْرَاهِيمُ يُطِيلُ الشُّكُوتَ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ انْبَسَطَ ،

فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : لَوْ تَكَلَّمْتَ ؟ فَقَالَ : الْكَلَامُ

عَلَى أَرْبَعَةٍ وَجُوهٍ : فَمِنْهُ كَلَامٌ تَرْجُو مَنَفَعَتَهُ ،

وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ ، فَالْفَضْلُ مِنْهُ السَّلَامَةُ . وَمِنْهُ كَلَامٌ

لَا تَرْجُو مَنَفَعَتَهُ ، وَلَا تَخْشَى عَاقِبَتَهُ ، فَأَقْلُ مَا لَكَ

فِي تَرْكِهِ ، خِفَّةُ الْمُسُونَةِ عَلَى بَدَنِكَ وَلِسَانِكَ ، وَمِنْهُ

كَلَامٌ لَا تَرْجُو مَنَفَعَتَهُ ، وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ ، وَهَذَا هُوَ
الدَّاءُ الْعُضَالُ ؛ وَمِنَ الْكَلَامِ كَلَامٌ تَرْجُو مَنَفَعَتَهُ ،
وَتَأْمَنُ عَاقِبَتَهُ ، فَهَذَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ نَشْرُهُ ؛
قَالَ : فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسْقَطَ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكَلَامِ .



يُقَالُ : رَبَّ طَرَفٍ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانٍ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ :
الاستدلال
بالمعين
والإشارة
والنصبة
إِنْ كَاتَمُونَا الْقَلَى نَمَتْ عُيُونُهُمْ
وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا
تُضْمِرُهُ أَنْبَتَكَ عَنْهَا الْعُيُونُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَمَا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أَبْدَى

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

نَعَمْ هَاجَتْ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ
مِنْ الشَّوْقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ

فَمَا زِلْتُ أَطْوِي النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا
بِذِي الرِّمْتِ ^(١) لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكِرِ

حَيَاءٍ وَإِشْفَاقًا مِنَ الرَّكْبِ أَنْ يَرَوْا
دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ

وَقَالَ الْحَارِثِيُّ يَذْكُرُ مَيْتًا :

أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَمْجَدَنَا ^(٢) قَرَى

مِنْ الْبَثِّ ^(٣) وَالْدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَامِرِ

وَأَوْسَعَنَا عِلْمًا بَرَدَ جَوَابِنَا

فَأَعْجَبُ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاوِرْ

(١) اسم واد لبنى أسد

(٢) أَمْجَدَنَا : أَشْبَعَنَا

(٣) الْبَث :

الغم والحزن . وقيل أشده

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ : سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ
لَهَا ، مَنْ شَقَّ أَنْهَارِكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى
ثِمَارَكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا ، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا .
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ غِنًى لِلْعَيْنِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ



الشعر

يُقَالُ : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّاهُ نَفْسُهُ . وَيُقَالُ :
خَيْرُ الشَّعْرِ الْخَوْلِيُّ ، الْمُنْقَحُ الْمُحَكَّمُ . سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ
رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟

قَالَ : سُكَّرَ لَا حَلَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ :
 أَرَأَيْتَ الشَّاعِرَيْنِ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ ،
 فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ . فَقَالَ : عُقُولُ رِجَالٍ تَوَافَتْ^(١)
 عَلَى السِّنْتِهَا .

قَالَ بَشَّارٌ يَصِفُ نَفْسَهُ :

زَوْرٌ^(٢) مُلُوكٌ عَلَيْهِ أُبْهَةٌ

يُعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطْبِهِ

لِلَّهِ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ

مِنْ لَوْلُؤٍ لَا يَنَامُ عَنْ طَلْبِهِ

يَخْرُجُنَ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا

يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ لَهَبِهِ

(١) توافت : اجتمعت (٢) الزور : الزائر

تَرْنُو إِلَيْهِ الْحَدَّاتُ غَادِيَةً
 وَلَا تَمَلُّ الْحَدِيثَ مِنْ عَجَبِهِ
 تِلْعَابَةٌ^(١) تَعَكْفُ الْمُلُوكُ بِهِ
 تَأْخُذُ مِنْ جَنْدِهِ وَمِنْ لَعِبِهِ
 يَزْدَحِمُ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ
 بِيَابِهِ مُسْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ
 وَقَالَ الطَّائِيُّ يَذْكُرُ الشَّعْرَ :
 إِنَّ الْقَوَافِيَّ وَالْمَسَاعِيَّ لَمْ تَزَلْ
 مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيداً
 هِيَ جَوْهَرٌ نَشْرٌ فَإِنْ أَلْفَتْهُ
 بِالشَّعْرِ صَارَ قَلَائِداً وَعُقُوداً

(١) رجل تِلْعَابَةٌ : كثير المزح والمداعبة

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأُلَى
يَدْعُونَ هَذَا سُودْدًا مَجْدُودًا
وَتَنْدُ عِنْدَهُمُ الْعَلَى إِلَّا عُلا
جُعِلَتْ لَهَا مِرْرٌ^(١) الْقَرِيضِ قِيُودًا
وَقَالَ أَيْضًا :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ
مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وَإِنَّ الْعُلَا مَا لَمْ تَرَ الشَّعْرَ يَنْهَى
لَا كَالْأَرْضِ غُفْلًا^(٢) لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِى فَيَغْتَدِي
أَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمُ

(١) مِرْر : جمع مرة : وهى طاقة الحبل والمراد القريض المحكم

(٢) الغُفْل من الأرض ما لا علامة فيه

يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ

وَيُقْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ

وَلَوْ لَا خِلَالُ سَنَہَا الشُّعْرُ مَا دَرَى

بُعَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْجَلِّ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : أَنَا أَشْعَرُ

مِنْكَ ؛ قَالَ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ

وَأَخَاهُ ، وَلِأَنَّكَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ . قِيلَ

لِعَقِيلِ بْنِ عُقْفَةَ : أَلَا تُطِيلُ الْهِجَاءَ ؟ فَقَالَ : يَكْفِيكَ

مِنْ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الشُّعْرِ الْمُطْمِعُ .

قِيلَ لِكَثِيرٍ : يَا أَبَا صَخْرٍ ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا

عَسَرَ عَلَيْكَ قَوْلُ الشُّعْرِ ؟ قَالَ : أَطُوفُ بِالرُّبَاعِ

الْمُخْلِيةُ^(١) ، وَالرِّيَاضِ الْمُعْشِبَةِ ، فَيَسْهُلُ عَلَى
أَرْضُهُ^(٢) ، وَيُسْرِعُ إِلَى أَحْسَنِهِ .

وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُسْتَدْعَ شَارِدُ الشَّعْرِ بِمِثْلِ الْمَاءِ
الْجَارِي ، وَالشَّرَفِ الْعَالِي ، وَالْمَسْكَنِ الْخَصْرِ الْخَالِي^(٣)
أَوْ الْخَالِي .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِأَرْطَاةَ بْنِ سُهَيْبَةَ :
هَلْ تَقُولُ الْآنَ شِعْرًا ؟ قَالَ : مَا أَشْرَبُ ، وَلَا
أَطْرَبُ ، وَلَا أَغْضَبُ ؛ وَإِنَّمَا يَكُونُ الشَّعْرُ بِوَاحِدَةٍ
مِنْ هَذِهِ .

وَقِيلَ لِكَثِيرٍ : مَا بَقِيَ مِنْ شِعْرِكَ ؟ فَقَالَ :
مَاتَتْ عَزَّةٌ فَمَا أَطْرَبُ ، وَذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا

(١) المخلية : الخالية من السكان (٢) الأرض من الشعر الجيد

(٣) الخالي : هو الخالي من الضوضاء

أَعْجَبُ ، وَمَاتَ ابْنُ لَيْلَى فَمَا أَرْغَبُ - يَعْنِي
عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ - وَإِنَّمَا الشَّعْرُ بِهَذِهِ الْخِلَالِ .
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ :
أَمْرُؤُ الْقَيْسِ إِذَا رَكِبَ ، وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ ، وَزُهَيْرُ
إِذَا رَغِبَ ، وَالْأَعَشَى إِذَا طَرِبَ .

وَقِيلَ لِلْعَجَّاجِ : إِنَّكَ لَا تُحْسِنُ الْهَجَاءَ ، فَقَالَ :
إِنَّ لَنَا أَخْلَامًا تَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُظْلِمَ ، وَأَحْسَابًا تَمْنَعُنَا
مِنْ أَنْ نُظْلَمَ ، وَهَلْ رَأَيْتَ بَانِيًا لَا يُحْسِنُ أَنْ يَهْدِمَ !
وَقُلْتُ فِي وَصْفِ الشَّعْرِ : الشَّعْرُ مَعْدِنُ عِلْمِ
الْعَرَبِ ، وَسِفَرُ حِكْمَتِهَا ، وَدِيْوَانُ أَخْبَارِهَا ، وَمُسْتَوْدَعُ
أَيَّامِهَا ، وَالسُّورُ الْمَضْرُوبُ عَلَى مَآثِرِهَا ، وَالْخَنْدَقُ
الْمَحْجُوزُ عَلَى مَفَاخِرِهَا ، وَالشَّاهِدُ الْعَدْلُ يَوْمَ النَّفَارِ ،

وَالْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ عِنْدَ الْخِصَامِ ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ عِنْدَهُمْ
 عَلَى شَرَفِهِ ، وَمَا يَدَّعِيهِ لِسَلَفِهِ مِنَ الْمُنَاقِبِ الْكَرِيمَةِ
 وَالْفَعَالِ الْحَمِيدِ بَيَّتْ مِنْهُ ، شَذَتْ مَسَاعِيهِ وَإِنْ كَانَتْ
 مَشْهُورَةً ، وَدَرَسَتْ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ وَإِنْ كَانَتْ
 جِسَامًا ؛ وَمَنْ قَيَّدَهَا بِقَوَافِي الشَّعْرِ ، وَأَوْتَقَهَا بِأَوْزَانِهِ ،
 وَأَشْهَرَهَا بِالْبَيْتِ النَّادِرِ ، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ ، وَالْمَعْنَى
 اللَّطِيفِ ، أَخْلَدَهَا عَلَى الدَّهْرِ ، وَأَخْلَصَهَا مِنَ الْجَحْدِ
 وَرَفَعَ عَنْهَا كَيْدَ الْعَدُوِّ ، وَغَضَّ عَيْنَ الْحُسُودِ .

وَمَا جَاءَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ . وَقَدْ أَفْرَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ
 كِتَابًا ، وَلِلشَّعْرِ بَابًا طَوِيلًا فِي كِتَابِ الْعَرَبِ ،
 وَذَكَرْتُ هَذِهِ الثُّنْفَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ كَرَاهِيَةً أَنْ
 أُخْلِيَهُ مِنْ فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ .

حسن
التشبيه
في
الشعر

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الزَّبِيرِ الْأَسَدِيِّ فِي الثُّرَيَّا :
وَقَدْ لَاحَ فِي الْغُورِ الثُّرَيَّا كَأَنَّمَا

بِهِ رَايَةٌ يَبْضَاءُ تَخْفِقُ لِلطَّعْنِ

شَبَّهَ الثُّرَيَّا حِينَ تَدَلَّتْ لِلْمَغِيبِ بِرَايَةٍ يَبْضَاءُ
خَفَقَتْ لِلطَّعْنِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَنَتَرَةَ فِي الذُّبَابِ :
وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِنَازِحٍ

هَزِجًا^(١) كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

غَرْدًا^(٢) يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ

فِعْلِ الْمَكْبِ^(٣) عَلَى الزَّيْنَادِ الْأَجْذَمِ^(٤)

شَبَّهَ حَاكُهُ يَدَهُ بِيَدِهِ ، بِرَجُلٍ مَقْطُوعِ الْكَفَيْنِ
يَقْدَحُ النَّارَ بِعُودَيْنِ .

(١) هزجا : مصوتا (٢) غردا : من غرد الطائر إذا رفع صوته في غنائه
وطرب (٣) المكب : المقبل على الشيء (٤) الأجزم : المقطوع اليدصفة للمكب

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِ أَعْرَابِيٍّ فِي الْعِنَبِ :
يَحْمِلُنَ أَوْعِيَةَ السَّلَافِ كَأَنَّمَا
يَحْمِلْنَهَا بِأَكَارِعِ النَّغْرَانِ
أَوْعِيَةُ السَّلَافِ : الْعِنَبُ ، جَعَلَهُ ظَرْفًا لِلْخَمْرِ
وَشَبَّهَ شُعْبَ الْعَنَاقِيدِ الَّتِي تَحْمِلُ الْحَبَّ بِأَرْجُلِ النَّغْرَانِ .
وَالنُّغْرُ طَائِرٌ مِثْلُ الْمُصْفُورِ أَصْمَرُ الْمِنْقَارِ
وَقَالَ الْآخَرُ ، وَكَانَ غَشِيَ عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ ، أَوْ نَزَلَ
فِيهِمَا مَاءٌ :

يَقُولُونَ مَاءٌ طَيِّبٌ خَانَ عَيْنَهُ
وَمَا مَاءٌ سُوءٌ خَانَ عَيْنِي بِطَيِّبٍ
وَلَكِنَّهُ أَزْمَانٌ أَنْظَرُ طَيِّبٌ
بِعَيْنِي غُدَافِي^(١) عَلَا فَوْقَ مَرْقَبٍ

(١) الغدافي : الشديد السواد . نسبة إلى الغداف : وهو الغراب

كَأَنَّ ابْنَ حَجَلٍ مَدَّ فَضْلَ جَنَاحِهِ
عَلَى مَاءٍ إِنْسَانِيَهُمَا الْمُتَغَيَّبِ

شَبَّهَ مَا عَلَا الْحَدَقَةَ ، بِجَنَاحِ فَرَّخٍ مِنْ فِرَاحِ
الزَّيْتُونِ ، قَدْ مُدَّ عَلَى نَاطِرِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ وَذَكَرَ الْعُقَابَ :
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا
لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

شَبَّهَ الرُّطْبَ بِالْعُنَابِ^(١) ، وَالْيَابِسَ بِالْحَشَفِ^(٢) .
وَشَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي يَتٍ .

(١) العناب : شجر معروف حبه كحب الزيتون (٢) الحشف :
ما يبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أُوسٍ بْنِ حَجَرٍ . وَذَكَرَ السَّيْفُ :
 كَانَ مَدَبَ النَّمْلِ يَلْتَمِسُ الرُّبَا
 وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خَافَ بَرْدًا فَاسْهَلَا

شَبَّهَ فِرْنَدَ^(١) السَّيْفِ بِمَدْرَجِ الذَّرِّ^(٢) وَمَدَبِ النَّمْلِ .
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي الْبَازِي :
 وَمَنْسِرٌ أَكْلَفُ فِيهِ شَغَا^(٣)

كَأَنَّهُ عَقْدُ ثَمَانِينَ^(٤)

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَغْرَابِيٍّ فِي امْرَأَةٍ .
 قَامَتْ تَصَدَّى لَهُ عَمْدًا لِتَقْتُلَهُ
 فَلَمْ يَرَ النَّاسُ وَجْدًا مِثْلَ مَا وَجَدَا

(١) فرند السيف : جوهره ووشيه (٢) الذر : صغار النمل

(٣) الشغا : زيادة في المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقّف وانعطاف

(٤) الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الابهام

بِحَيْدِ آدَمَ لَمْ تُعَقِّدْ قَلَائِدُهُ
 وَنَاهِدِ مِثْلَ قَلْبِ الظَّبِّيِّ مَا نَهَدَا
 فَظَلَّ كَالْحَائِمِ ^(١) الْهَيْمَانِ لَيْسَ لَهُ
 صَبْرٌ وَلَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ إِنْ وَرَدَا
 شَبَّهَ تَدْيِهَا فِي نُهُودِهِ بِقَلْبِ الظَّبِّيِّ فِي صَلَابَتِهِ ،
 وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا شَبَّهَ التَّدْيَ بِقَلْبِ الظَّبِّيِّ غَيْرُهُ .
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَحْدَرِ الْعُكْلِيِّ فِي امْرَأَةٍ :
 عَلَى قَدَمٍ مَكْنُونَةٍ اللَّوْنِ رَخْصَةٍ
 وَكَعْبٍ كَذْفَرَى جُوْذُرِ الرَّمْلِ أَدْرَمَا
 شَبَّهَ كَعْبَهَا بِأَصْلِ أُذُنِ الْجُوْذُرِ ، وَهُوَ الصَّغِيرُ
 مِنْ أَوْلَادِ الْبَقَرِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ يَصِفُ فَرْخَ الْقَطَاةِ :

(١) الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء

كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنَوَةٍ^(١)
 إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ دُعْبِلٍ يَهْجُو امْرَأَةً :
 كَانَ الثَّالِيلُ^(٢) فِي وَجْهِهَا
 إِذَا سَفَرَتْ بِدَدُ الْكِشْمِشِ^(٣)
 لَهَا شَعْرُ قِرْدٍ إِذَا أَزَيَّنَتْ
 وَوَجْهُهُ كَبَيْضِ الْقَطَا الْأَبْرَشِ^(٤)
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ فِي وَصْفِ الْبَطِّ :
 كَأَنَّمَا يَصْفِرُنَ مِنْ مَلَاعِقِ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الرُّجَّازِ ، فِي جَارِيَةٍ سَوْدَاءَ :

(١) الحنوة : نبات طيب الريح (٢) الثاليل : جمع ثؤلول وهو الحبة يظهر في الجلد قدر الحمصة (٣) الكشمش : العنب الصغير
 (٤) الأبرش : كالأبرص وزناً ومعنى .

كَأَنَّهَا وَالْكُحْلُ فِي مِرْوَدِهَا
 تَكُحْلُ عَيْنَيْهَا بِيَعْضِ جِلْدِهَا
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْجَعْدِيِّ فِي فَرَسٍ :
 خِيطَ عَلَى زَفْرَةٍ ^(١) فَتَمَّ وَلَمْ
 يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ ^(٢) .
 يَقُولُ هُوَ مُتَفَخِّحُ الْجَنِينِ ، فَكَأَنَّهُ زَفَرَ
 فَانْتَفَخَ جَنْبَاهُ ، ثُمَّ خِيطَ عَلَى ذَلِكَ .
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الطَّرِمَّاحِ يَصِفُ الشَّوْرَ :
 يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ
 سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُنْعَمَدُ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ لِلنُّعْمَانِ :

(١) زفرة الفرس : وسطه (٢) الهضم : استقامة الضلوع
 ودخول أعاليها .

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي
وَأِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُسْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْمَرْأَةِ :
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا
نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِ الْعَوْدِ
يَقُولُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَتَكَلَّمَ ،
كَمَا يَنْظُرُ الْمَرِيضُ إِلَى وَجْهِ عَوَّادِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ
أَنْ يُكَلِّمَهُمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ طَرَفَةَ :
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى
لَكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الضَّبِّيِّينَ يَصِفُ أَبَارِيقَ الشَّرَابِ :
التذيل (١٠)

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً
إِوزُ بِأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الحُنَاجِرِ

وَنَحْوُهُ قَوْلُ أَبِي الْهِنْدِيِّ :

سَيُغْنِي أَبَا الْهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ
أَبَارِيقُ لَمْ يَعلَقْ بِهَا وَضَرُ الزُّبْدِ
مُفَدِّمَةٌ قَرًّا كَأَنَّ رِقَابَهَا

رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ نَصِيبٍ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ :
وَقَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنْ الْأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَةِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ فِي الظَّبْيَةِ :

تُرْجَى أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ ^(١)

قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارٍ :
 كَانَ مُشَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا
 وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى
 كَانَ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ :
 وَمَوَلَّى كَانَ الشَّمْسَ يَنِينِي وَيَنِينَهُ
 إِذَا مَا التَّقِينَا لَيْسَ مِمَّنْ أَعَاتِبُهُ
 يَقُولُ : لَا أَقْدِرُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ بُغْضِهِ ،
 فَكَانَ الشَّمْسَ يَنِينِي وَيَنِينَهُ .
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ :

كَأَنَّ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَنزِلَةٍ

مُصَبَّغَاتٍ^(١) عَلَى أَرْسَانِ^(٢) قَصَّارٍ^(٣)

النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ هَذَا، وَأَنَا أَرَى أَنَّ أَقُولَ : الْأَوَّلَى
أَنَّ يُشَبَّهَ الْمُصَبَّغَاتِ بِالنِّيرَانِ لَا النَّيِّرَانِ بِالْمُصَبَّغَاتِ .



حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ ، عَنْ
لَيْثٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : إِنَّهَا كَلِمَةُ نَبِيِّ :
سَتُبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا

الآيات
التي لا
مثل لها

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ
حَدَّثَنِي الرَّيَّاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أَبْرَعُ يَتٍ
قَالَتْهُ الْعَرَبُ ، قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ :

(١) مصبغات : الثياب التي لونت بالصبغ (٢) الأرسان جمع رسن : وهو
الحبل (٣) القصار الذي يحور الثياب ويدقها بالقصرة وهي قطعة من الخشب

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا
وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ
الْهَلَالِيِّ :

أَرَى بَصَرِي قَدْ رَأَيْتُ بَعْدَ صِحَّةٍ
وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَأَحْسَنُ مَنْ ابْتَدَأَ مَرِئَةً أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ فِي قَوْلِهِ :
أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا
إِنَّ الَّذِي تَكْرَهِينَ قَدْ وَقَعَا
وَأَغْرَبُ مَنْ ابْتَدَأَ قَصِيدَةَ النَّابِغَةِ فِي قَوْلِهِ :
كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ
وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطْنِ الْكُؤَاكِبِ

حَدَّثَنِي الْخُثَمِيُّ الشَّاعِرُ قَالَ : أَحْسَنُ يَتِّ قِيلَ
 فِي الْجُبْنِ قَوْلُ نَهْشَلِ بْنِ حَرِيٍّ :
 فَلَوْ كَانَ لِي نَفْسَانِ كُنْتُ مُقَاتِلًا
 بِأَحَدَاهُمَا حَتَّى تَمُوتَ وَأَسْلَمًا
 قَالَ وَيَتُّ الْمُخْبَلِ فِي قَسَاوَةِ الْقَلْبِ :
 يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نُبْكِي عَلَى أَحَدٍ
 لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبْلِ
 قَالَ : وَيَتُّ عَبِيدٍ فِي الْإِسْتِعْفَافِ :
 مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ
 قَالَ : وَيَتُّ مَنْجُوفِ بْنِ مُرَّةَ السَّامِيِّ فِي
 الْإِحْتِفَاطِ بِالْمَالِ :

وَأَدْفَعُ عَنْ مَالِي الْحُقُوقَ وَإِنَّهُ

لَجَمٌّ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ مَصَابِيهُ

قَالَ : وَبَيَّتُ الْخَطِيئَةَ فِي إِكْرَامِ النَّفْسِ :

وَأَكْرَمُ نَفْسِي الْيَوْمَ عَنْ سُوءِ طَعْمَةٍ

وَيَقْنَى الْحَيَاءُ الْمَرْءَ وَالرُّمْحُ شَاكِرُهُ

قَالَ : وَقَوْلُ كَعْبٍ فِي الْإِقْدَامِ :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا

قُدُمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

قَالَ : وَبَيَّتُ عَمْرُو بْنُ الْإِطْنَابَةِ فِي الصَّبْرِ :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ

مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا عِنْدِي قَوْلُ قَطْرِي :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ لِنَفْسِي
 مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحَاكِ لَا تُرَاعِي
 فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ
 عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
 قَالَ : وَيَيْتُ مَسْكِينِ الدَّرَامِيِّ فِي الْجُودِ :
 طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ
 وَلَمْ يُيْلِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقَنَّعُ
 قَالَ : وَفِي حُسْنِ الْجَوَارِ قَوْلُهُ :
 نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ
 وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقَدَرُ
 مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوَرُهُ
 إِلَّا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ

قَالَ : وَمِمَّنْ رَضِيَ بِالْقَلِيلِ جَمِيلٌ ، قَالَ :
 أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ
 يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ
 وَقَوْلُ الْآخِرِ :

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يُلبِسُ أُمَّ عَمْرٍو
 وَإِيَّانَا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي
 تَرَى وَضَحَ النَّهَارِ كَمَا أَرَاهُ
 وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي

قَالَ : وَيَبْتَ عَمْرٍو بِنِ كَلْثُومٍ فِي الْجَهْلِ :
 أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا
 فَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

قَالَ : وَيَيْتُ النَّابِغَةُ فِي تَرْكِ الْإِحْلَاحِ :

فَاسْتَبَقَ وَدَّكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ

قَتْبًا يَعْصُ بِغَارِبٍ مِلْحَاحًا

قَالَ وَفِي إِدْرَاكِ الشَّارِ قَوْلُ مُهْلِهِ :

لَقَدْ قَتَلْتُ ابْنِي بَكْرٍ بِرَبِّهِمْ

حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدٌ

قَالَ : وَيَيْتُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ فِي تَبْلِيغِ الْعُذْرِ

فِي الطَّلَبِ :

لِتُبْلِغَ عُذْرًا أَوْ تُفِيدَ غَنِيمَةً

وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

قَالَ : وَيَيْتُ جَمِيلٍ فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ وَالتَّوَكُّلِ

عَلَى اللَّهِ تَعَالَى :

كُلُوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَبْشِرُوا
 فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدًا
 قَالَ : وَفِي الشَّجَاعَةِ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسٍ :
 أَشَدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أَبَالِي
 أَحْتَفِي كَأَن كَانَ فِيهَا أُمُّ سِوَاهَا
 قَالَ : وَيَتُّ الْمُتَمَسِّ فِي الْمَالِ وَتَثْمِيرِهِ
 قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلِحُهُ فَيَبْقَى
 وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفَسَادِ
 وَأَخْبَرَنَا دُعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّاعِرُ قَالَ : أَهْجَى
 يَتُّ قِيلَ ، قَوْلُ الطَّرِمَّاحِ فِي تَعْيِيمِ :
 تَعْيِيمٌ بِطَرَقِ اللَّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا
 وَلَوْ سَلَكَتُ طُرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ

قَالَ : وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كُلَّهُمْ

قَالُوا لِأُمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ

قَالَ : وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحُطَيْئَةِ لِلزَّبْرَقَانِ فِي

قِصْرِ الْهِمَّةِ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا

وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

قَالَ غَيْرُهُ : وَقَوْلُ الطَّرِمَّاحِ فِي الْقِلَّةِ وَالْحُمُولِ :

لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ

مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلِّحْمِ الْحَوَا

رِ لَا أَنْتَ خُلُوْءٌ وَلَا أَنْتَ مَرُءٌ

وَكَذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ فِي التَّيْمِ :
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْدَ تَيْمٍ
وَتَيْمًا قُلْتَ أَيُّهُمَا الْعَيْدُ
وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ
وَلَا يُسْتَأْذَنُ وَهُمْ شُهُودُ
وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْهَيْبَةِ :
يُغْضَى حَيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
وَأَغْرَبُ مَا قِيلَ فِي مَصْلُوبٍ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ
مَوْلَى الْأَنْصَارِ :
لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَدَّبٍ
طَوِيلٍ تُعْفِيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ

لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُرَزَّأً

وَعُوفِيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ

وَأُفْلِتَ مِنْ ضَيْقِ التُّرَابِ وَغَمِّهِ

وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ

وَأَغْرَبُ مَا قِيلَ فِي مَجُوسِيَّ قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْمُشَاشِ

وَأَنَّكَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِضَمٌ

وَأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيهِ

م. إِذَا مَا تَرَدَّيْتُ فِيمَنْ ظَلَمَ

وَمِنْ أَغْرَبِ مَا قِيلَ فِي دَعْيَى قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ

ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَنَوِيِّ :

لَوْ أَنَّ مَوْتِي تَمِيمٌ كُلُّهَا نُشِرُوا
وَأَثَبْتُوكَ لَقِيلَ الْأَمْرُ مَصْنُوعٌ
مِثْلُ الْجَدِيدِ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقٍ
تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعٌ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :
أَجَارَتَنَا بَانَ الْخَلِيطُ فَأَبْشِرِي
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ يَبِينَ خَلِيطُ
عَاتِبُهُ فِي عِرْضِهِ لِيَصُونَهُ
وَلَا عِلْمَ لِي أَنَّ الْأَمِيرَ لَقِيطُ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ دُعْبِلٍ فِي مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ :
النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ
مَا يَبْنِي ذِي فَرَجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومُ

وَمَالِكَ ظَلَّ مَشْغُولًا بِنِسْبَتِهِ

يَرُمُّ مِنْهَا خَرَابًا غَيْرَ مَرْمُومٍ

يَبْنِي يُيُوتًا خَرَابًا لَا أُنِيسَ بِهَا

مَا يَنْ طَوْقٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ



ثُمَّ انْتَقَلَ ابْنُ قُتَيْبَةَ إِلَى بَابِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَقَعُ
فِي كُتُبِ الْأَمَانِ جَاءَ فِيهِ :

هَذَا كِتَابٌ مِنْ فُلَانٍ لِفُلَانٍ : إِنِّي أَمْنْتُكَ عَلَى
دِمَاكَ وَمَالِكَ وَمَوَالِيكَ وَأَتْبَاعِكَ ، لَكَ وَلَهُمْ
ذِمَّةُ اللَّهِ الْمُؤَفَّى بِهَا ، وَعَهْدُهُ الْمُسْكُونُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ
ذِمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَأَكْرَمَهُمْ

بِوَحْيِهِ ، ثُمَّ ذِمُّ النُّجَبَاءِ مِنْ خَلَائِفِهِ : بِحَقْنِ دَمِكَ
وَمَنْ دَخَلَ اسْمُهُ مَعَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَسَلَامَةِ
مَالِكَ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَذَا وَكَذَا ، فَاقْبَلُوا مَعْرُوضَهُ ،
وَاسْكُنُوا إِلَى أَمَانِهِ ، وَتَعَلَّقُوا بِجَبَلِ ذِمَّتِهِ ، فَإِنَّهُ
لَيْسَ بَعْدَ مَا وَكَّدَ مِنْ ذَلِكَ مُتَوَثِّقٌ لِدَاخِلٍ فِي أَمَانٍ
إِلَّا وَقَدْ اعْتَلَقْتُمْ بِأَوْتَقِ عُرَاهُ ، وَلَجَأْتُمْ إِلَى أَحْرَزِ
كُهُوفِهِ وَالسَّلَامُ .

وَفِي كِتَابٍ آخَرَ :

هَذَا كِتَابٌ مِنْ فُلَانٍ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا
جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَيْتَهُ فِي إِقَالَةِ الْعَاثِرِ وَاسْتِصْلَاحِ
الْفَاسِدِ ، رَأَى أَنْ يَتَلَفَّاكَ بِعَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّدَ زَلَّاتِكَ
بِرُحْمِهِ ، وَيَسْطِطَ لَكَ الْأَمَانُ عَلَى مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ

مِنَ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ : عَلَى دَمِكَ وَشَعْرِكَ وَبَشْرِكَ
 وَأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، وَمَالِكَ وَعَقَارِكَ ؛ فَإِنْ أَنْتَ أَتَيْتَ
 وَسَمِعْتَ وَأَطَعْتَ ، فَأَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ ، عَلَى مَا
 أَمَّنَكَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكَ بِذَلِكَ ذِمَّةُ اللَّهِ ،
 وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَقِّ قَائِمٍ بَعِيْنِهِ
 لِمُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ ، وَاللَّهُ بِذَلِكَ رَاعٍ وَكَفِيلٌ ، وَكَفَى
 بِاللَّهِ وَكِيلًا .

وَفِي كِتَابٍ آخَرَ :

إِنَّ فُلَانًا اسْتَوْهَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبَكَ ،
 وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَكَ وَإِنَابَتَكَ ، وَيُؤَمِّنَكَ عَلَى
 دَمِكَ وَشَعْرِكَ وَبَشْرِكَ ، وَأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، وَمَالِكَ
 وَعَقَارَاتِكَ ، عَلَى أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ وَتُسَاعِدَ ، وَتُؤَالِيَ

أُولِيَاءَهُ ، وَتُعَادِي أَعْدَاءَهُ ؛ فَأَجَابَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَى ذَلِكَ ، لِرَأْيِهِ فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، وَمَا يَحْتَسِبُ
فِي ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ ، فَأَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ
عَلَى كَذَا لَا تُؤْخِذُ بِشَيْءٍ مِمَّا سَلَفَ مِنْ أَحْدَاثِكَ ،
وَلَا تَتَّبِعُ فِيهِ بِمَكْرُوهِ مَا أَقَمْتَ عَلَى الْوَفَاءِ ، وَلَمْ
تُحْدِثْ حَدَثًا تَفْسُخُ بِهِ أَمَانَكَ ، وَتَجْعَلُ بِهِ سَبِيلًا
عَلَى نَفْسِكَ ، وَاللَّهُ لَكَ بِذَلِكَ رَاعٍ كَفِيلٌ ، وَكَفَى
بِهِ شَهِيدًا .

**

** **

الفاظ
تقع في
كتب
العهود

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِيمَا أُسْنَدَ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ بِسَبِيلِهِ ،
وَأَنْ يُؤَثِّرَ اللَّهُ وَطَاعَتَهُ آخِذًا وَمُعْطِيًا ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ
اللَّهَ سَائِلُهُ عَمَّا عَمِلَ بِهِ وَجَازِيهِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ خَارِجٌ

مِنْ دُنْيَاهُ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، إِمَّا مَغْبُوطًا مَحْمُودًا ،
وإِمَّا مَذْمُومًا مَسْلُوبًا ، فَلْيَعْتَبِرْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ
الْوَلَاةِ الَّذِينَ وَلُوا مِثْلَ مَا وَلِيَ ، أَيْنَ صَارَ بِهِمْ مَرُّ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَا انْقَلَبُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلَى
قُبُورِهِمْ ؟ وَيَتَزَوَّدُ لِنَفْسِهِ الزَّادَ النَّافِعَ الْبَاقِيَ « يَوْمَ
تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا »



وَقَدْ وَلَّاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَلَّاكَ مِنْ أُمُورِ
رَعِيَّتِهِ ، وَأَشْرَكَكَ فِيهَا أَشْرَكَكَ فِيهِ مِنْ أَمَانَتِهِ ،
ثِقَّةً بِكَ ، وَرَجَاءً لِمُتَابَعَتِكَ ، وَإِثَارَكَ الْحَقِّ وَأَهْلَهُ ،
وَرَفْضِكَ الْبَاطِلِ وَأَهْلَهُ ؛ وَعَهْدَ إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ بِمَا

كتاب
آخر

إِنْ أَخَذْتَ بِهِ ، أَعَانَكَ اللَّهُ وَسَدَّدَكَ ، وَإِنْ خَالَفَتْهُ
خَذَلَكَ وَعَاقَبَكَ .



فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اخْتَارَكَ مِنْ إِقَامَةِ الْحَبَجِّ وَفَالِحِ
لَوْفِدِ اللَّهِ وَزَوْرِ يَتِّهِ ، لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ قَدْرُهُ ،
الشَّرِيفِ مَنْزِلَتُهُ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِشَارِ
مُرَاقَبَتِهِ ، وَلِزُومِ الْهُدَى الْمَحْمُودِ ، وَالطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ
وَالسَّيْرِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تُشَبِّهُ حَالَكَ .



فَإِنَّ اللَّهَ نَزَّهَ الْإِسْلَامَ عَنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ ، وَأَكْرَمَهُ كِتَابَهُ
عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ ، وَرَفَعَهُ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ، وَشَرَّفَهُ
بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَجَعَلَ سَيَاءَ أَهْلِهِ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ .



آخر وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْإِزْدِيَادِ فِي طَاعَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ ،
وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِي عَمَلِهِ ، مَنْ عَظُمَ حَقُّ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ
فِي الْخَاصَّةِ بِفَضْلِ الصَّنِيعَةِ مِنَ الْأَمِيرِ عِنْدَهُ ، مَعَ
حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْعَامَّةِ بِحَقِّ الْوِلَايَةِ .



آخر وَكُنْتَ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، وَنِكَالًا مِنْ
أَنْكَالِهِ لِأَهْلِ الشَّقَاقِ ، وَشَجَبِي لِمَنْ ابْتَغَى غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَحْكَمْتَكَ التَّجَارِبُ ، وَضَرَسَتْكَ
الْأُمُورُ ، وَفُرِرْتَ عَنِ الذِّكَاءِ ، وَحَلَبْتَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ .



آخر أَنْتَ ابْنُ الْحُرِّيَّةِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَمَنْ لَا يَلْحَقُهُ
عَارُ أُبُوءَةٍ وَلَا بُؤَةِ .

☆

☆☆

قَدْ التَّمَسْتُ مُوَاجِهَتَكَ بِشُكْرِكَ ، وَوَصِفِ آخِرَ
مَا أُجِنُّ لَكَ ، وَأُخْلِصُ مِنْ وَدِّكَ ، وَأُجِلُّ مِنْ قَدْرِكَ ،
وَأَعْتَدُّ مِنْ إِحْسَانِكَ ، فَلَفَّتَنِي عَنْ ذَلِكَ تَعَذُّرُ الْخَلْوَةِ
مَعَ انْقِبَاضِ وَحِشْمَةٍ .

☆

☆☆

قَدْ أَغْنَى اللَّهُ بِكَرَمِكَ عَنْ ذَرِيعَةٍ إِلَيْكَ ؛ وَمَا آخِرُ
تَنَازَعُنِي نَفْسِي إِلَى اسْتِعَانَةٍ عَلَيْكَ ، إِلَّا أَبِي ذَلِكَ
حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ فِيكَ ، وَتَأْمِيلُ نُبْجِ الرَّغْبَةِ
إِلَيْكَ ، دُونَ الشُّفْعَاءِ عِنْدَكَ .

☆

☆☆

مِثْلَكَ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَاضُّعِ لِنِعْمَتِهِ ، وَالْإِغَاثَةِ آخِرُ
لِمُسْتَعِثِّهِ ، وَالْعَائِدَةِ عَلَى رَاجِيهِ بِفَضْلِهِ .



آخر
تَبَّأَ لِمَنْ يَأْتِي رَأْيِكَ ! وَقُبْحًا لِعُزُوبِ عَقْلِكَ ،
وَأَفْنٍ تَذِيرِكَ ! مَا أَبْعَدَ مَذْهَبَكَ فِي الْخَطَا ،
وَأَسْوَأَ أَثَرِكَ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَأَقْصَرَ بَاعَكَ عَنْ
النُّهُوضِ . جَزَالَةٌ تُعْقِدُكَ ، وَمَهَانَةٌ تُضْرِعُكَ ، وَزَهْوٌ
يَعْلُوكَ ، وَنَخْوَةٌ يَشْمَخُ لَهَا عِرْنِينُكَ ، لَقَدْ انْصَرَفَ
رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَدَعَوْتَ لَهُ عُتْبَكَ ،
وَكَشَفْتَ لَهُ عَنْ قِنَاعِ سَتْرِكَ ، وَاجْتَرَزْتَ إِلَيْكَ
سَخَطَهُ ، وَعَظَفْتَ نَحْوَكَ مَوْجِدَتَهُ ، وَكُنْتَ عَلَى
نَصِيبِكَ مِنْهُ ، وَالضَّنُّ بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَهُ ، أَوْلَى تَقَدُّمًا ،
وَأَقْرَبَ رُشْدًا ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ .



أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ يَجْعَلُ الدُّنْيَا نُصْبَ
 عَيْنِهِ ، يَنْصِبُ فِيهَا لِلْخَاصَّةِ مَكَائِدَهُ ، وَيَرْفَعُ عَنْ
 مَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ هِمَّتَهُ ، يُذْهِلُهُ عَنِ التَّقْوَى الْهَوَى ،
 وَتُنْسِيهِ أَيَّامُ الْقُدْرَةِ الْعَثْرَةَ ، حَتَّى تَنْصَرِمَ مُدَّتُهُ ،
 وَتَنْقَضِيَ دَوْلَتُهُ ، لَمْ يَرْتَهِنْ بِدُنْيَاهُ شُكْرًا ، وَلَا
 قَدَّمَ بِهَا إِلَى مَعَادِهِ ذُخْرًا . وَرَجُلٌ لَا يَحْفَلُ مَعَ
 صَلاَحِ الْخَاصَّةِ ، بِمَا دَخَلَ مِنَ الْخُلَلِ فِي أُمُورِ الْعَامَّةِ ،
 وَلَا مَعَ وَفُورِ حَظِّهِ مَا أَدْخَلَ النَّقْصُ فِي حَظِّ
 رَعِيَّتِهِ . وَرَجُلٌ حَاوَلَ فِي وِلَايَتِهِ إِرْضَاءَ مَنْ وَلى
 لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَأَعَانَتَهُ النِّيَّةُ ، وَخَذَلَتْهُ الْكِفَايَةُ .
 وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ الثِّقَةَ وَالرِّضَا مِمَّنْ فَوْقَكَ ،

وَالْإِنْقِيَادَ وَالْمَحَبَّةَ مِمَّنْ دُونَكَ ، وَأَعَادَ إِلَى النَّاسِ بِكَ
 عَهْدَ السَّلَفِ الْمَاضِي ، وَعَمَّرَ بِكَ آثَارَهُمْ ، حَتَّى
 كَانَهُمْ بِكَ أَحْيَاءُ لَمْ تَخْتَرِمَهُمْ مَنِيَّةٌ ، وَجَمِيعٌ لَمْ
 تَنْصَدِعْ يَنَّهُمْ فُرْقَةٌ ، فَلِيَهْنَتِكَ أَنَّ مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ
 أَهْلِ الْفَضْلِ فِي السَّيْرِ ، غَيْرُ مُتَقَدِّمٍ لَكَ ، وَمَنْ
 مَعَكَ مُقْصَرٌّ عَنْكَ ، وَمَنْ دُونَكَ مُقْتَفٍ لِأَثَرِكَ ،
 فَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ لَكَ ، وَلَا زَالَتِ النِّعَمُ عَنْكَ ،
 وَلَا انْتَقَلَتِ عُرَا^(١) الْأُمُورِ وَأَزِمَّتْهَا عَنْ يَدِكَ .

آخر
 أَبَى طَبَعُ الزَّمَانِ أَنْ يَسْمَحَ لَنَا بِكَ ، كَمَا أَبَى
 ذَلِكَ فِي مِثْلِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اعْتَرَضَ بِمَكْرُوهِهِ
 دُونَكَ ، وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ ذَهَلَتْ عَنْهَا النَّفْسُ حِينَ

أَذْبَرْتَ بِخَيْرِكَ ، فَإِنَّ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِكَ ، عَلَى قَدْرِكَ ،
فِي مَوَاهِبِ اللَّهِ وَقَدْرُهَا عِنْدَكَ .

☆

☆☆

وَلَمْ تَأْتِ فِي جَمِيعِ مَا عَدَدْتُ مِنْ أَيْدِيكَ شَيْئًا ، آخِر
وَإِنْ كَانَ مُتَنَاهِيًا إِلَى الْغَايَةِ ، مُخْتَارًا كَالْأُمْنِيَّةِ ،
مُتَجَاوِزًا لِلِاسْتِحْقَاقِ ، إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ ، وَالْمَأْمُولُ
لِلزِّيَادَةِ فِيهِ .

☆

☆☆

إِنْ كَانَ مَا خَبَّرَنِي بِهِ فُلَانٌ عَنْ هَزَلٍ ، فَقَدْ
أَحْوَجَنَا هَزْلُكَ إِلَى الْجِدِّ ، وَوَقَفْنَا مَوْقِفَ الْمُعْتَذِرِينَ
مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، وَإِنْ كَانَ عَنْ حَقِيقَةٍ ، فَقَدْ ظَهَرَ
لَنَا مِنْ ظُلْمِكَ وَتَحْرِيفِكَ ، مَا دَلَّ عَلَى زُهْدِكَ مِنَّا ،
فِي مِثْلِ الَّذِي رَغِبْنَا مِنْكَ فِيهِ .

كتاب
العید

كِتَابِي إِلَى الْأَمِيرِ يَوْمَ كَذَا بَعْدَ خُرُوجِي فِيهِ
 وَمَنْ قَبْلِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُصَلَّى ، وَقَضَائِنَا
 مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ صَلَاةِ الْعِيدِ ، وَنَحْنُ بِمَخِيرِ
 حَالٍ ، اجْتَمَعَ عَلَيْهَا فَرِيقٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي عِيدٍ مِنْ
 أَعْيَادِهِمْ ، وَجَمَعَ مِنْ مَجَامِعِهِمْ ، وَكَانَ مَخْرَجُنَا إِلَى
 الْمُصَلَّى أَفْضَلَ مَخْرَجٍ ، وَمُنْصَرَفُنَا عَنْهُ أَفْضَلَ مُنْصَرَفٍ ،
 بِمَا وَهَبَ اللَّهُ مِنْ سُكُونِ الْعَامَّةِ وَهُدُوءِهَا وَأُفْقَتِهَا ،
 وَاحْتِشَادِ الْجُنْدِ وَالشَّائِكِرِيَّةِ بِأَحْسَنِ الزَّيِّ وَالْهَيْئَةِ ،
 وَأَظْهَرَ السَّلَاحِ وَالْعُدَّةِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كَذَا وَهَذَا اللَّهُ
 الْأَمِيرَ كَذَا .

آخر

الْقَلْبُ قَرِينُ وَلَهٍ^(١) ، حَلِيفُ حَيْرَةٍ ، أَنْظَرُ بَعَيْنٍ

(١) الوله : الحب الشديد

☆
☆ ☆

کتاب
بیعت

مقرءاتنا
على الشيخ

(١) أى خالصة من الزيت ونية الغدر .

لِلْمَحَبَّةِ وَالْإِخَاءِ ، وَالْإِفَادَةِ وَالِاسْتِزَادَةِ ؛ وَمَهْمَا يَكُنْ
عَامُكَ بِحَدِيثِ مُحَدِّثِكَ ، فَأَنْصِتْ لَهُ ، وَاسْتَمِعْ لِمَا
يَقُولُ ، وَتَفَهَّمْ مَا يُدْلِي ، وَاذْكُرْ مَا تُورَ مَنْ يَقُولُ :
إِذَا مَا رَوَى الرَّاَوِي حَدِيثًا فَلَا تَقُلْ

سَمِعْنَا بِهَذَا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ مَا
وَلَكِنْ تَسْمَعُ لِلْحَدِيثِ مُوَهِّمًا
بِأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْهُ فِيمَا تَقْدَمُ

✱
✱ ✱

وَعَلَيْكَ بِالْأَدَبِ ، فَإِنَّهُ صَاحِبٌ فِي السَّفَرِ ، وَمُؤْنِسٌ
فِي الْحَضَرِ ، وَجَلِيسٌ فِي الْوَحْدَةِ ، وَجَمَالٌ فِي الْمَحَافِلِ ،
وَسَبَبٌ إِلَى طَلَبِ الرَّاحَةِ ؛ وَخُذْ مِنْهُ كَمَا يَقُولُ
ابْنُ السَّكَيْتِ : « مَا يَعْلُقُ بِالْقُلُوبِ ، وَتَشْتَهِيهِ الْأَذَانُ ،

الحث
على
الأدب

وَحُذِّ مِنْ النَّحْوِ : مَا تُقَوِّمُ بِهِ الْكَلَامَ ، وَدَعِ
 الْغَوَامِضَ ؛ وَحُذِّ مِنَ الشُّعْرِ : مَا يَشْتَمِلُ عَلَى لَطِيفِ
 الْمَعَانِي ؛ وَاسْتَكْثِرْ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَقَاوِيلِهِمْ
 وَأَحَادِيثِهِمْ ، وَلَا تُؤَلِّعَنَّ بِالغَثِّ مِنْهَا ؛ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو
 ابْنُ الْعَلَاءِ : قِيلَ لِمُنْذِرِ بْنِ وَاصِلٍ ، كَيْفَ شَهَوْتُكَ
 لِلْأَدَبِ ؟ فَقَالَ : أَسْتَمِعُ لِلْحَرْفِ مِنْهُ ، فَتَوَدُّ أَعْضَائِي
 أَنْ لَهَا أَسْمَاعًا تَتَنَعَّمُ بِهِ ، مِثْلَ مَا تَتَنَعَّمُ الْأَذَانُ ،
 قِيلَ : وَكَيْفَ طَلَبُكَ لَهُ ؟ قَالَ : طَلَبُ الْمَرْأَةِ الْمُضِلَّةِ
 وَلَدَهَا ، وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُهُ ؛ قِيلَ : وَكَيْفَ حِرْصُكَ
 عَلَيْهِ ؟ قَالَ : حِرْصُ الْمَجْجُوعِ الْمَمْنُوعِ عَلَى بُلُوغِ
 لَذَّتِهِ مِنَ الْمَالِ « ؛ وَاذْكُرْ قَوْلَ بُزْرِجَمَهْرَ : « مَنْ
 كَثُرَ أَدَبُهُ ، كَثُرَ شَرْفُهُ ، وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا ؛ وَبَعْدَ

صَوْتُهُ^(١) ، وَإِنْ كَانَ خَامِلًا ؛ وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا ،
وَكَثُرَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا « ؛ وَاذْكُرْ
مَا أَنْشَدَنَا أَبُو حَاتِمٍ سَهْلُ بْنُ يَحْيَى السَّجِسْتَانِيُّ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ :

إِنْ الْجَوَاهِرَ : دُرَّهَا وَلُضَارَهَا
هُنَّ الْفِدَاءُ لِجَوْهَرِ الْأَدَابِ
فَإِذَا اكْتَنَزْتَ ، أَوِ ادَّخَرْتَ ذَخِيرَةً
تَسْمُو بِزَيْنَتِهَا عَلَى الْأَصْحَابِ
فَعَلَيْكَ بِالْأَدَبِ الْمَزِينِ أَهْلُهُ
كَيْمَا تَقُوزَ بِمَهَجَةٍ وَثَوَابِ

(١) المراد بالصوت : الصيت

فَلَرُبَّ ذِي مَالٍ تَرَاهُ مُبْعَدًا
كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
وَتَرَى الْأَدِيبَ، وَإِنْ دَهَتْهُ خَصَاصَةٌ
لَا يُسْتَخَفُّ بِهِ لَدَى الْأَثَرَابِ



واستطرد هنا في إثبات استشهادات أخرى
للشعالي وابن عبد ربّه والوطواط وغيرهم، مئيناً شرف
الأدب، مُشيداً^(١) بمنافعه، قال: قال أكرم بن صيفي:
الرجل بلا أدب، شخصٌ بغير آلة، وجسدٌ بلا روح.
وقيل: الأدبُ أكرمُ الجواهر طبعاً، وأنفسها^(٢)
قيمة، فاطلبوه، فإنه زيادةٌ في الفضل والنباهة^(٣)

(١) منوها (٢) أغلاها (٣) النباهة: الصيت والشهرة
التذيل (١٢)

وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْمُرُوءَةِ ، وَمَنْبَهَةٌ لِلرَّأْيِ
وَاللِّصَّوَابِ ، وَصَاحِبٌ فِي الْغُرْبَةِ ، وَأُنَيْسٌ فِي الْوَحْدَةِ ،
وَجَمَالٌ فِي الْمَحَافِلِ ^(١) ، وَصِلَةٌ فِي الْمَجَالِسِ . وَإِذَا
أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ ، فَلَا يُعْجِبُكَ
ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْكَرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا ، وَلَيُعْجِبُكَ إِذَا
أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْفَتَى فَاتَهُ مَالٌ يُجَمِّلُهُ

فَفِي التَّادُّبِ مِمَّا فَاتَهُ خَلْفُ

هُوَ اللَّبَاسُ الَّذِي لَا شَيْءٌ يَعْدِلُهُ

وَالْمَفْخَرُ الدِّينُ فِيهِ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِبَنِيهِ : تَأَدَّبُوا ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا

بَرَزْتُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ أَوْسَاطًا^(١) فَفُتُّمُ ، وَإِنْ أَعْوَزَ كُمُ
 الْمَعَاشُ عِشْتُمْ . وَقِيلَ : إِنَّ الْأَدَبَ يُفِيدُ الرِّغَائِبَ
 الْجَلِيلَةَ ، وَيُعِزُّ بِلَا عَشِيرَةٍ^(٢) ، وَيُكْثِرُ الْأَنْصَارَ لِغَيْرِ
 ذُرِّيَّةٍ . وَقَالُوا : مَنْ دَابَّ فِي طَرِيقِ الْأَدَبِ ، أَدْرَكَ
 حَاجَتَهُ ، وَمَلَكَ نَاصِيَتَهُ ، وَنَبَلَ^(٣) قَدْرَهُ ، وَنَبَهَ ذِكْرُهُ ،
 يَنْوِبُ الْأَدَبُ عَنِ النَّسَبِ ، وَلَا يَنْفَعُ نَسَبٌ بِلَا أَدَبٍ ،
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِيعٍ الْقَدَرِ لَيْسَ لَهُ
 فِي الْعِزِّ يَتٌّ وَلَا يُنْمَى إِلَى نَسَبٍ
 قَدْ صَارَ بِالْأَدَبِ الْمَحْمُودِ ذَا شَرَفٍ
 عَالٍ وَذَا حَسَبٍ مُحْضٍ وَذَا نَسَبٍ

(١) أوساطا : لستم ملوكا ولا من الدهماء (٢) العشيرة : القبيل
 والأسرة (٣) نبَلَ : شرف

يُعْلِي التَّادُّبُ أَقْوَامًا وَيَرْفَعُهُمْ
حَتَّى يُسَاوُوا ذَوِي الْعَلِيَاءِ فِي الرُّتَبِ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ يَفْتَخِرُ وَيَعْتَزِرُ :

مَالِي عَقْلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي
مَا أَنَا مَوْلى^(١) وَلَا أَنَا عَرَبِي

وَإِذَا انْتَمَى^(٢) مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ
فَإِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

فَالْبَسُوا إِذَا الْأَدَبَ حُلَّةً ، وَتَرَيْنَاهُ حِلْيَةً ، فَإِنَّهُ
أَنْفَقَ مَعَاشٍ ، وَأَجْمَلَ رِيَاشٍ ، إِنْ اِحْتَجَّمْ إِلَى إِلَيْهِ كَانَ
لَكُمْ مَالًا ، وَإِنْ اسْتَعْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ جَمَالًا .

(١) المولى : العبد والسيد فهو من أسماء الاضداد

(٢) انتمى : انتسب

*
* *

أصول فن الأدب
 ثُمَّ انْتَقَلَ بِي رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى التَّحَدُّثِ عَنِ الْأَرْكَانِ
 الْأَرْبَعَةِ ، الَّتِي هِيَ أُصُولُ فَنِّ الْأَدَبِ ، فِي لُغَةِ
 الْعَرَبِ ، وَهِيَ : ^(١) أَدَبُ الْكَاتِبِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ،
 وَكِتَابُ الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ ، وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ
 لِلْجَاحِظِ ، وَكِتَابُ النَّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِيِّ الْبَغْدَادِيِّ ،
 وَاسْتَطَرَدَّ إِلَى ذِكْرِ كِتَابِي الْعِقْدِ الْفَرِيدِ ، وَنَفَعَ الطَّيِّبِ .
 ثُمَّ حَدَّثَنِي رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ أَذْكِيَاءِ الْعَرَبِ ، مِمَّا سَتَقَفُ
 عَلَيْهِ فِيمَا سَنَشُرُهُ لَكَ مِنْ كُتُبِ ابْنِ ظُفَرَ بِمَا يَنْقَعُ
 غُلَّتِكَ ، وَيُسْعِفُكَ بِطَلَبَتِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
 وَنَجْتَرِي لَكَ هُنَا بِمَا حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ . قَالَ :

(١) وفي بعض المظان الأدبية « العقد الفريد »

إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِصَبِيَّانِ يَلْعَبُونَ ، وَفِيهِمْ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ
لَهُ عُمَرُ : مَا لَكَ لَا تَهْرُبُ مَعَ أَصْحَابِكَ . فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ أَكُنْ عَلَى رِيَّةٍ فَأَخَافُكَ ، وَلَمْ
يَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا فَأَوْسَعَ لَكَ .



ثُمَّ اسْتَرْسَلَ أُسْتَاذِي الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ حَمْزَةُ ،
مُتَوَسِّعًا فِي إِثْبَاتِ فَضْلِ الْأَدَبِ ، مُسْتَفِيضًا فِي الْإِشَادَةِ
بِمَاثِرِ الْعَرَبِ ، وَمَا لِبَلَاغَتِهَا مِنْ سِحْرِ الْبَابِ ،
وَرَوْعَةِ مَأْخِذِ ، وَمَتَانَةِ أُسْرِ ، وَحِلَاوَةِ فَقَرٍ ، وَغُلُوِّ
مَهْرِ ، وَبَقَاءِ عَلَى مَدَى الدَّهْرِ ؛ مِمَّا يَطُولُ بَيَانُهُ ،
وَلَيْسَ هَذَا مَكَانُهُ ، مِمَّا لَا يَخْرُجُ عَمَّا جَاءَ فِي كِتَابِهِ

فضل
الأدب

المَوَاهِبِ الْفَتْحِيَّةِ ، مَعَ مِيزَةِ سَلَاسَةِ أُسْلُوبِ الْمُحَدَّثِ ،
وَتَعَاظُلِ اللُّغَوِيِّ الْكِتَابِيِّ ، وَهُوَ فِي هَذَا كُلِّهِ خَيْرٌ مُمَثِّلٌ
لِلْمَدْرَسَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَآرَاءِ الْمُحَافِظِينَ ، مِمَّا لَا نَرَى مَنْدُوحَةً
لَنَا مِنْ وَقْفِكَ عَلَى مَحَلِّهَا ، وَخَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَلَاغَةِ ،
مُعْتَمِدِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى كِتَابِي الصَّنَاعَتَيْنِ لِلْعَسْكَرِيِّ ،
وَزَهْرِ الْأَدَابِ لِلْحُصَرِيِّ ، مِمَّا فَحَصَهُ كُتَّابُ عِلْمِ
الْأَدَبِ . قَالَ : قَالَ أَغْرَابِي : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ
الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكُلْفَةِ ، وَالِدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى
كَثِيرٍ . قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى : الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ
الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وَجْهِهِ الْكَلَامِ .
قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْبَلَاغَةُ الْبُلُوغُ إِلَى الْمَعْنَى ، وَلَمْ
يَطُلْ سَفَرُ الْكَلَامِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : الْبَيَانُ

تَرْجُمَانُ الْعُقُولِ ، وَرَوْضُ الْقُلُوبِ ، وَقَالَ أَيْضًا :
 الْعَقْلُ رَائِدُ الرُّوحِ ، وَالْعِلْمُ رَائِدُ الْعَقْلِ ، وَالْبَيَانُ
 تَرْجُمَانُ الْعِلْمِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ : يَكْفِي مِنَ
 الْبَلَاغَةِ إِلَّا يُؤْتَى السَّامِعُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ النَّاطِقِ ،
 وَلَا يُؤْتَى النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ السَّامِعِ . قَالَ
 الْعَتَابِيُّ : الْبَلَاغَةُ مَدُّ الْكَلَامِ بِمَعَانِيهِ إِذَا قَصُرَ ،
 وَحُسْنُ التَّأْلِيفِ إِذَا طَالَ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ
 إِيْجَازٌ فِي غَيْرِ عَجْزٍ ، وَإِطْنَابٌ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَقَدْ
 قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ ،
 وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟
 قَالَ : حُسْنُ الْإِقْتِضَابِ عِنْدَ الْبِدَاهَةِ ، وَالْغَزَارَةِ
 يَوْمَ الْإِطَالَةِ . وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ :

وُضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ، وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ .
وَقِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ
مِنَ الْوَصْلِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ : الْبَلَاغَةُ
إِيصَالُ الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ فِي حُسْنِ صُورَةٍ مِنْ
الْلَفْظِ . وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْبَلَاغَةِ ، قَالَ :
أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حَسُنَ إِيجَازُهُ ، وَقَلَّ مَجَازُهُ ،
وَكَثُرَ إِعْجَازُهُ ، وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ .
وَقِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ خَالِدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ :
التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ ، وَالِدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ
عَلَى الْكَثِيرِ . وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ :
تَطْوِيلُ الْقَصِيرِ ، وَتَقْصِيرُ الطَّوِيلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيِّ :
مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ ، وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ ،

وَحُسْنُ الاسْتِعَارَةِ . وَقِيلَ لِجَالِيْنُوسَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟
 قَالَ : اِيضَاحُ الْمُعْضَلِ ، وَفَكَ الْمُسْكَلِ . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ
 ابْنِ أَحْمَدَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا قَرُبَ طَرَفَاهُ ،
 وَبَعْدَ مُنْتَهَاهُ . وَقِيلَ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟
 قَالَ : إِصَابَةُ الْمَعْنَى ، وَالْقَصْدُ إِلَى الْحُجَّةِ . وَقِيلَ
 لِآخَرَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ
 الْبَاطِلِ ، وَتَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ . وَقِيلَ
 لِإِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : الْجَزَالَةُ
 وَالْأَصَالَةُ . قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانٍ : لَمْ يُفَسِّرْ أَحَدٌ
 الْبَلَاغَةَ تَفْسِيرَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ إِذْ قَالَ : الْبَلَاغَةُ لِمَعَانٍ
 تَجْرِي فِي وُجُوهِ كَثِيرَةٍ : فَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِشَارَةِ .
 وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي

الإِسْتِمَاعُ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الإِخْتِجَاجِ . وَمِنْهَا
 مَا يَكُونُ شِعْرًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ ابْتِدَاءً . وَمِنْهَا
 مَا يَكُونُ جَوَابًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ سَجْعًا . وَمِنْهَا
 مَا يَكُونُ خُطْبًا . وَمِنْهَا رُبَّمَا كَانَتْ رَسَائِلَ . فَعَايَةُ
 هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْوَحْيُ فِيهَا ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى أُبْلَغُ .
 وَالْإِيحَازُ هُوَ الْبَلَاغَةُ . فَالْشُّكُوتُ يُسَمَّى بَلَاغَةً مَجَازًا ،
 وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا يَنْجَعُ فِيهَا الْقَوْلُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا
 إِقَامَةُ الْحُجَجِ . إِمَّا عِنْدَ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ الْخُطَابَ .
 أَوْ عِنْدَ وَضِيعٍ لَا يَرْهَبُ الْجَوَابَ . أَوْ ظَالِمٍ سَلِيطٍ
 يَحْكُمُ بِالْهَوَى ، وَلَا يَرْتَدِعُ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى . وَإِذَا
 كَانَ الْكَلَامُ يَعْرِى مِنَ الْخَيْرِ ، أَوْ يَحْلُبُ الشَّرَّ ،
 فَالْشُّكُوتُ أَوَّلَى . كَمَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَا كُلُّ نَاطِقٍ لَهُ جَوَابُ

جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ

وَرُبَّمَا كَانَ صَمْتُكَ فِي حَالٍ أَرْفَقَ مِنْ كَلَامِكَ ،

وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : كُلُّ صَامِتٍ نَاطِقٌ

مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ دَلَائِلَ الصَّنْعَةِ فِي جَمِيعِ

الْأَشْيَاءِ وَاضِحَةٌ . وَالْمَوْعِظَةُ فِيهَا قَائِمَةٌ . وَقَدْ قَالَ

الرَّقَاشِيُّ : سَلِ الْأَرْضَ ، مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ

أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثَمَارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا

أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا . وَقَوْلُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ : (رُبَّمَا كَانَتْ

الْبَلَاغَةُ بِالِاسْتِمَاعِ) . لِأَنَّ الْمُخَاطَبَ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ

الِاسْتِمَاعَ لَمْ يَقِفْ عَلَى الْمَعْنَى الْمُؤَدَّى إِلَى الْخُطَابِ .

فَالِاسْتِمَاعُ الْحَسَنُ ، عَوْنٌ لِلْبَلِيغِ عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى .

وَقَدْ جَاءَ لِلْبَلَاغَةِ تَعْرِيفَاتٌ أُخِرُ مِنْهَا ، قَوْلُ بَعْضِ
حُكَمَاءِ الْهِنْدِ : جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ
بِمَوَاقِعِ الْفُرْصَةِ ؛ وَمِنْ الْبَصَرِ بِالْحُجَّةِ ، أَنْ تَدَعَ الْإِفْصَاحَ
بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا ، إِذَا كَانَ طَرِيقُ الْإِفْصَاحِ
وَعَرًّا ، وَكَانَتِ الْكِنَايَةُ أَحْضَرَ نَفْعًا ، قَالَ آخَرُ :
أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا يُؤْنِسُ مَسْمَعَهُ ، وَيُؤْنِسُ مَصْنَعَهُ .
وَالْبَلِغُ مَنْ يَحْتَمِي مِنَ الْأَلْفَافِ أَنْوَارَهَا ، وَمِنْ
الْمَعَانِي ثَمَارَهَا . لَيْسَتْ الْبَلَاغَةُ أَنْ يُطَالَ عِنَانُ الْقَلَمِ
أَوْ سِنَانُهُ . أَوْ يُنْسَطَ رَهَانُ الْقَوْلِ وَمِيدَانُهُ . بَلْ
هِيَ أَنْ يَبْلُغَ أَمَدَ الْمُرَادِ بِالْأَلْفَافِ أَعْيَانٍ ، وَمَعَانٍ أَفْرَادٍ ،
مِنْ حَيْثُ لَا تَزِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ ، وَلَا إِخْلَالٍ يُفْضِي
إِلَى الْفَاقَةِ . وَصَفَ بَعْضُهُمُ الْبَلَاغَةَ قَالَ : هِيَ مِيدَانُ

لَا يَقْطَعُ إِلَّا بِسَوَابِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلِّكُ إِلَّا
 بِبَصَائِرِ الْبَيَانِ . يَبْعَثُ صَاحِبَهَا بِالْكَلامِ . وَيَقُودُهُ
 بِأَلَيْنِ زِمَامٍ . حَتَّى كَأَنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَحَاشَدُ فِي التَّسَابُقِ
 إِلَى خَوَاطِرِهِ ، وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْإِنْتِهَالِ عَلَى أَنْامِلِهِ ،
 كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي :

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ

حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتُلُ

وَقِيلَ فِي يَلِيغُ : فَلَانَ مَشْرِفِي الْمَشْرِقِ . وَصَيْرَفِي

الْمَنْطِقِ . الْبَيَانُ أَصْغَرُ صِفَاتِهِ ، وَالْبَلَاغَةُ عَفْوُ خَطَرَاتِهِ .

كَأَنَّهُ أُوحِيَ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى صَدْرِهِ ، وَحُسْنِ الصَّوَابِ

بَيْنَ طَبْعِهِ وَفِكْرِهِ . يَحْزُ مَفَاصِلَ الْكَلَامِ . وَيَسْبِقُ

فِيهَا إِلَى دَرْكِ الْمَرَامِ . كَأَنَّمَا جَمَعَ الْكَلَامَ حَوْلَهُ ،

حَتَّى انْتَقَى مِنْهُ وَانْتَخَبَ ، وَتَنَاوَلَ مِنْهُ مَا طَلَبَ ،
 وَتَرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْنَابًا لَا رُؤُوسًا ، وَأَجْسَادًا لَا نُفُوسًا ،
 وَقِيلَ فِي آخِرِ : يَرْضَى بِعَفْوِ الطَّيْعِ ، وَيَقْنَعُ بِمَا
 خَفَّ عَلَى السَّمْعِ ، وَيُوجِزُ فَلَا يُخِلُّ ، وَيُطْنِبُ فَلَا
 يُعِلُّ ، فَلِلَّهِ فَلَانٌ أَخَذَ بِأَزِمَّةِ الْقَوْلِ ، يَقُودُهَا كَيْفَ
 أَرَادَ ، وَيَجْذِبُهَا أَنَّى شَاءَ ، فَلَا تَعْصِيهِ بَيْنَ الصَّعْبِ
 وَالذَّلُولِ ، وَلَا تَسْلِمُهُ عِنْدَ الْحَزُونِ وَالشُّهُولِ ، كَلَامُهُ
 يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ : الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ ، وَيَلِينُ
 تَارَةً حَتَّى تَقُولَ : الْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ . يَقُولُ : فِيصُولُ ،
 وَيُجِيبُ فَيَصِيبُ ، وَيَكْتُبُ فَيُطَبِّقُ الْمَفْصِلَ ،
 وَيُنْسِقُ الدَّرَّ الْمَفْصَلَ ، وَيَرِدُ مَشَارِعَ الْكَلَامِ
 وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ ، وَجَامَّةٌ لَمْ تُرْتَقْ ، خَاطِرُهُ

الْبَرْقُ أَوْ أَسْرَعُ لَمَعًا ، وَالسَّيْفُ أَوْ أَحَدُ قَطْعًا ،
وَالْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرِيًّا ، وَالْفَلَكَ أَوْ أَقْوَمُ هَدْيًا ،
يَسْهَلُ الْكَلَامُ عَلَى لَفْظِهِ ، وَتَتَزَاوَمُ الْمَعَانِي عَلَى
طَبِيعِهِ ، فَيَتَنَاوَلُ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ بِقَرِيبِ سَعْيِهِ ، وَيَسْتَنْبِطُ
الْمَشْرَعَ الْعَمِيقَ بِبَسِيرِ جَرِيهِ ، لِسَانُهُ يَفْلِقُ الصُّخُورَ ،
وَيُفِيضُ الْبُحُورَ ، خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ ، وَلَا تَرْتَهِنُهُ
لُكْنَةٌ ، وَلَا تَتَحَيَّفُ بَيَانُهُ عُجْمَةٌ ، وَلَا تَعْتَزُّ
لِسَانُهُ عُقْدَةٌ ، يُحْسِنُ السَّفَارَةَ ، وَيَسْتَوْفِي الْعِبَارَةَ ،
وَيُؤَدِّي الْأَلْفَاظَ ، وَيَسْتَغْرِقُ الْأَغْرَاضَ ، قَالَ حَتَّى قَالَ
الْكَلَامُ : لَوْ أَعْفَيْتَ ، وَكَتَبَ حَتَّى قَالَتِ الْأَقْلَامُ :
قَدْ أَحْفَيْتَ

ثُمَّ حَدَّثَنِي حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ الْأَهْتَمِ ، وَالزُّبْرَقَانَ

ابنِ بَدْرٍ ، وَقَدْ وَفَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
 فَسَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِ عَنِ الزَّبْرِقَانِ ، فَقَالَ :
 « مُطَاعٌ فِي أَذْنِيهِ ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِمَا
 وَرَاءَ ظَهْرِهِ » ، فَقَالَ الزَّبْرِقَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي ؛
 فَقَالَ عَمْرُو : أَمَّا وَاللَّهِ ، إِنَّهُ لَزَمِرُ الْمُرُوءَةِ ، ضَيْقُ
 الْعَطَنِ ، أَتَمُّ الْوَالِدِ ، أَلِيمُ الْخَالِ ؛ وَاللَّهِ ،
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ
 صَدَقْتُ فِي الْأُخْرَى ؛ وَلَكِنِّي رَجُلٌ رَضِيتُ ،
 فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ؛ وَسَخِطْتُ ، فَقُلْتُ
 أَقْبَحَ مَا وَجَدْتُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » .

ثُمَّ اسْتَطَرَدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، إِلَى ذِكْرِ فَقْهِ اللُّغَةِ ،
وَضَرُورَةِ تَعَلُّمِ النَّحْوِ ، وَالتَّعَمُّقِ فِيهِ ، وَالتَّفْهَمِ لَهُ ،
وَحُسْنِ التَّبَصُّرِ فِي فُنُونِهِ ، وَأَنَّهُ لِلْكَلامِ كَمَلِجِ
الطَّعَامِ ، وَلِلْكِتَابَةِ عِمَادٌ ، وَلِلتَّحْرِيرِ رِشَادٌ ،
وَاللِّشْعْرِ مُفَسِّرٌ ، وَلِلنَّثْرِ مَقْوَمٌ ، وَلِلرِّجَالِ مُرُوءَةٌ
وَمَهَابَةٌ ، وَلِلْكِتَابِ جَاهٌ وَزُلْفَى ، وَلِلْخُطْبَاءِ رَوْعَةٌ
وَاسْتِلابٌ نُهَى ؛ رَاوِيًا قَوْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ : « مَا النَّاسُ
إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ ، أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى إِقَامَةِ
السِّنَتِهِمْ ، الَّتِي بِهَا يَتَحَاوَرُونَ الْكَلَامَ ، وَيَتَهَادَوْنَ
الْحُكْمَ ، وَيَسْتَخْرِجُونَ غَوَامِضَ الْعِلْمِ مِنْ نَحَابِئِهَا ،
وَيَجْمَعُونَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا ؛ أَلَا إِنَّ الْكَلَامَ قَاضٍ
يَجْمَعُ بَيْنَ الْخُصُومِ ، وَضِيَاءٌ يَجْلُو الظَّلَامَ ؛ وَحَاجَةٌ

النَّاسِ إِلَى مَوَادِّهِ ، كَحَاجَّتِهِمْ إِلَى مَوَادِّ الْأَغْذِيَةِ ؛
 مُسْتَشْهِدًا بِالْكَثِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ ، مِنْ مَنْظُومِ
 الشُّعْرَاءِ وَمَنْشُورِ الْكُتَّابِ ، وَمُشِيرًا إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ :
 اقْتَبَسِ النَّحْوُ ، وَلِنَعْمَ الْمُقْتَبَسُ ،

وَالنَّحْوُ زَيْنٌ ، وَجَمَالٌ مُلْتَمَسٌ
 صَاحِبُهُ مُكْرَمٌ ، حَيْثُ جَلَسَ ،
 مَنْ فَاتَهُ ، فَقَدْ تَعَمَّى وَانْتَكَسَ
 كَأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْعِيِّ : خَرَسَ ،

شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْفَرَسِ
 وَقَدْ أَتَاكَ اللَّهُ لِشَيْخِنَا أَحْسَنَ اللَّهُ مَشْوَاهُ ،
 فُرْصَةً ذَهَبِيَّةً لَمْ تُفْلِتْ مِنْ يَدِهِ الصَّنَاعِ ، وَحِكْمَتِهِ
 الْأَصِيلَةِ ، وَنَظَرَاتِهِ الْفَاحِصَةِ ، فَاَنْتَهَزَهَا أَبْدَعَ انْتِهَازِ ،

وَاتَّخَذَ مِنْهَا أَحْسَنَ أَدَاةٍ لِإِقْنَاعِ أَمْثَالِي مِنَ الشَّادِينَ
 بِالْأَدَبِ ، بِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي بِلَاغَتِهَا وَسِحْرِهَا ،
 وَفُنُونِهَا ، وَطَلَاوَتِهَا وَفَرَاهَتِهَا ، تَرْجُحُ اللُّغَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ
 فِي تِلْكَ الْأَبْوَابِ جَمْعَاءَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكَرَ شَيْئًا
 عَنْ ذَلِكَ ، مِنْ حُجَجِ نَفْسِهِ ، وَبَرَاهِينِ عِلْمِهِ ،
 — سِوَى التَّقْدِيمَةِ — فِي صَمْتٍ وَسُكُونٍ ، وَهَوَادَةٍ
 وَاتِّثَادٍ ، فِي رِسَالَةِ أَبِي أَحْمَدَ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيِّ ، فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَدَبِ
 الْعَرَبِيِّ ، وَالْأَدَبِ الْأَعْجَمِيِّ قَالَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : كُنْتُ ذَكَرْتُ لَكَ
 — أَسْعَدَكَ اللَّهُ — إِكْثَارَ النَّاسِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ،
 فِي وَصْفِ الْبِلَاغَةِ ، وَتَضْرِيْفِهِمُ الْقَوْلَ فِي أَقْسَامِهَا

وَأَنوَاعِهَا ، وَأَنَّهَا أَلْفَاظٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعَانِي « فَمِنْهَا »
 مَا يَكُونُ فِي النَّظْمِ « وَمِنْهَا » مَا يَكُونُ فِي النَّثْرِ
 وَيَكُونُ فِي الْمُكَاتَبَةِ وَالرَّسَائِلِ وَالْخُطَبِ وَالتَّشْبِيهَاتِ
 وَالْأَوْصَافِ ، وَفِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ،
 فَأَمَّا بِلَاغَةُ الشَّعْرِ ؛ فَعُدُوبَةُ الْأَلْفَاظِ ، وَتَقْرِيبُ
 الْمَعَانِي ، وَاتِّسَاقُ النَّظْمِ ، وَرَشَاقَةُ الْمَعْرِضِ .
 كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي
 وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُشْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ
 وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي وَصْفِ فَرَسِهِ وَالتَّشْبِيهِ
 بِقَيْدِ الْأَوَابِدِ . وَقَوْلِ الْأَعْشَى :
 فَهُمْ سَاكِتُونَ وَالْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ

« وَمِنْهَا » مَا يَكُونُ بِإِصَابَةِ الْمَعْنَى وَقَرَعِ الْحُجَّةِ
وَكَشَفِ الْغَزْلِ ، وَالْأَصْلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا أَنَّهَا الْفَاطُ
يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى ، فَأَحْسَنُهَا مَا يَزِيدُ فِي
كَشَفِ الْمَعْنَى مَعَ اخْتِصَارِهِ بِأَقْلٍ مَا يُمَكِّنُ
مِنَ الْعِبَارَةِ ، بِأَعْذَبِ الْأَلْفَافِ وَأَخَفِّهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ ،
وَأَقْرَبَهَا إِلَى الْقُلُوبِ الْفُصُولُ الْكِتَابِيَّةُ . ثُمَّ ذَكَرْتُ
لَكَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ ،
وَلَا عَلَى مَلِكٍ دُونَ سُوقَةٍ ، وَلَا عَلَى لِسَانٍ دُونَ لِسَانٍ ،
بَلْ هِيَ مَقْسُومَةٌ عَلَى أَكْثَرِ الْأَلْسِنَةِ ، فَهُمْ فِيهَا
مُشْتَرِكُونَ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَكَلَامِ
الْعَجَمِ ، وَكَلَامِ الْهِنْدِ وَغَيْرِهِمْ ، وَلَكِنَّهَا فِي الْعَرَبِ
أَكْثَرُ ، لِكثَرَةِ تَصَرُّفِهَا فِي النَّثْرِ وَالنَّظْمِ ، وَالْخُطْبِ

وَالْكِتَابِ وَالسَّجْعِ ، وَالْمُزْدَوِجِ وَالرَّجَزِ . وَهُمْ أَيْضًا
مُتَفَاوِتُونَ فِيهَا ، فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ بَلِيغًا وَلَا يَكُونُ
سَيِّدُهُ ، وَتَكُونُ الْأَمَّةُ بَلِيغَةً وَلَا تَكُونُ رَبَّتُهَا .
فَالْبَلَاغَةُ قَدْ تَكُونُ فِي أَغْرَابِ الْبَادِيَةِ دُونَ مُلُوكِهَا ،
وَقَدْ يُحْسِنُهَا الصَّبِيُّ وَالْمَرْأَةُ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْبَلَاغَةَ مُشْتَرَكَةٌ : مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ ،
قَالَ : قِيلَ لِيُونَانِيٍّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : تَصْحِيحُ
الْأَقْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْفُرْسِ :
مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ .
وَقِيلَ لِهِنْدِيٍّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ ،
وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ، وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقِيلَ لِرُومِيٍّ :
مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا فَهِمَتْهُ الْعَامَّةُ ، وَرَضِيَتْهُ

الْخَاصَّةُ . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ : وَمِنْ عَجِيبِ مَا فِيهِ ،
وَبُعْدِ تَنَافِيهِ ، أَنَّ يَأْتِي بِدَوِيٍّ أُمِّيٍّ جِلْفٍ جَافٍ ،
فَيَتَدَعِ بِفِكْرِهِ وَقَرِيحَتِهِ الْمَعْنَى الْبَدِيعَ ، وَالتَّشْبِيهَ
الْمُصِيبَ ، وَالسُّؤَالَ اللَّطِيفَ ، وَالْمَدْحَ الشَّرِيفَ ،
وَالْعَزَلَ الرَّقِيقَ ، وَالْهَجَاءَ الْمُوجِعَ ، وَالذَّمَّ الْمُفْلِقَ
بِنَظْمٍ عَجِيبٍ ، وَقَوَافٍ مُنْتَظِمَةٍ ، وَأَوْزَانٍ تَامَّةٍ ،
وَأَقْسَامٍ مُعْتَدِلَةٍ ، وَالْفَاطِ ظُفْيَ فَصِيحَةٍ عَذْبَةٍ ، يَشْتَهِي
سَامِعُهَا أَنْ يَحْفَظَهَا ، ثُمَّ يَشْتَهِي أَنْ يُحَاضِرَ أَهْلَ
الْمُرُوءَاتِ بِهَا ، مُتَمَثِّلًا أَوْ شَاكِرًا أَوْ عَاتِبًا ، أَوْ
مُهَنِّئًا أَوْ مُعْزِيًا ، فَلَا يَزْدَادُ عَلَى الدُّهُورِ إِلَّا نَضَارَةً
وَجِدَّةً ، وَيَكُونُ مَنْ خَلَا مِنْهَا نَاقِصَ الْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ .
كَقَوْلِ إِمْرِيٍّ الْقَيْسِ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا
لَدَى وَكَرِهًا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

وَكَقَوْلِ الحُطَيْئَةِ :

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

ثُمَّ يَجْتَهِدُ الْعَارِفُ الْمُصِيبُ ، وَالْعَالِمُ الْأَدِيبُ ،
وَالرَّيِّضُ الْحَازِقُ ، أَنْ يُدْرِكَ شَأْؤُهُ ، فَلَا يَشُقُّ غُبَارُهُ

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي

أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعُثْبِيِّ . قَالَ : سُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ حَدِّ

الْبَلَاغَةِ فَقَالَ : التَّقَرُّبُ مِنْ مَعْنَى الْبُعْثَةِ ، وَالتَّبَاعُدُ

مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ ، وَالذَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ .

قَالَ الشَّيْخُ : وَأَكْثَرُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْبَلَاغَةِ ،
 أَنَّهَا الْإِخْتِصَارُ ، وَتَقْرِيبُ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْقِصَارِ ،
 وَالِإِقْتِصَارُ عَلَى الْإِشَارَةِ إِلَى مَعَانِيهَا ، وَالِدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ
 عَلَى الْكَثِيرِ ، وَقَدْ سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :
 لَمَحَّةٌ دَالَّةٌ . وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ فِي الْحَذْفِ
 وَالِإِخْتِصَارِ ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ امْرِئُ الْقَيْسِ ، إِحْضَارَ
 فَرَسِهِ ، وَسُرْعَةَ لِحَاقِهِ لِلصَّيْدِ ، وَأَنَّ الْأَوَابِدَ
 لَا تَطْمَعُ فِي التَّخْلُصِ مِنْهُ فَجَمَعَ هَذَا فِي قَوْلِهِ :
 قَيْدِ الْأَوَابِدِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

إِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمَ

فِي قَوْلِهِ عَلَى عِلَاتِهِ : مَا يَنْبُو عَنْ كُلِّ مَانِعٍ
 وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْأَعَشَى :

فَهُمْ سَاكِتُونَ وَالْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ
وَهَذَا يَكْثُرُ ، وَفِي مَا أوردناه بَلَاغٌ .
وَمِنْ ذَلِكَ ، أَيْضًا ، قَوْلُ الْحَجَّاجِ لِابْنِ الْقُرَيْبِ
وَكَانَ أَبْلَغَ النَّاسِ وَأَنْطَقَهُمْ فِي زَمَانِهِ ، فَأَرْسَلَهُ
الْحَجَّاجُ إِلَى هِنْدِ بِنْتِ الْمُهَلَّبِ وَقَالَ أَبْلِغْهَا طَلَاقَهَا
بِكَلِمَتَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا :
كُنْتُ فَبِنْتُ ، فَعَرَفْتُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَأَجَابَتْ
بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَقَالَتْ : مَا فَرِحْنَا بِهِ إِذْ كَانَ ،
وَلَا حَزَنًا عَلَيْهِ إِذْ بَانَ ، وَهَذِهِ وَإِنْ زَادَتْ فِي
الْأَلْفَافِ ، فَقَدْ اسْتَوْفَتْ الْمَعْنَى ، وَقَرَعَتْ الْمُرَادَ
وَلِهَذَا وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى كِتَابِهِ ، لِيَكُنْ
كَلَامُكُمْ فِي كُتُبِكُمْ ، مِثْلَ التَّوْقِيعِ ، يَحْضُ بِذَلِكَ

عَلَى غَايَةِ الْحَذْفِ وَالِاخْتِصَارِ « وَمِنْ هَذَا » أَنَّ الْمَأْمُونَ
أَمَرَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبَ ، أَنْ يَكْتُبَ لِرَجُلٍ
لَهُ بِهِ عِنَايَةٌ إِلَى بَعْضِ الْعُمَالِ بِقَضَاءِ حَقِّهِ ، وَأَنْ
يَخْتَصِرَ كِتَابَهُ مَا أَمْكَنَهُ ، حَتَّى تَكُونَ كِتَابَتُهُ
فِي سَطْرِ وَاحِدٍ بِلَا زِيَادَةٍ ، فَكُتِبَ عَمْرُو : كِتَابِي
إِلَيْكَ ، كِتَابٌ وَاثِقٌ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ ، مَعْنِي بِمَنْ
كُتِبَ لَهُ ، وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ .
« وَمِنْ هَذَا » مَا كُتِبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابْنِ مَرْوَانَ ، إِلَى الْحَجَّاجِ وَقَدْ تَلَكَّأَ عَنْ بَيْعَتِهِ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَرَاكَ تَقْدِّمُ رَجُلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ،
فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي ، فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيَّتِهِمَا شِئْتَ وَالسَّلَامُ .
وَسَأَذْكُرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، صَدْرًا مِنَ الْفُصُولِ

الْمُخْتَارَةِ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، ثُمَّ أَذْكَرُ بَعْدَهُ
 صَدْرًا مِنَ الْفُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ ، ثُمَّ يَصْلُحُ لِلْمُذَاكِرَةِ ،
 وَيَبْعَثُ عَلَى النَّشَاطِ ، فَإِذَا قَرَأَهَا قَارِيٌّ ، دَلَّتْ
 عَلَى أَنْفُسِهَا فِي الْإِيْجَازِ وَالْحَذْفِ ، وَالْجَمْعِ لِلْمَعَانِي
 الْكَثِيرَةِ ، بِالْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سُقْرَاطَ : دَلَّ الْجِسْمُ عَلَى صَانِعِهِ ،
 فَجَمَعَ بِثَلَاثِ لَفْظَاتٍ خِفَافٍ ، مَعَانِي كَثِيرَةٍ جَلِيلَةٍ
 الْقَدْرِ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ نَفْسَهُ ،
 وَأَنَّ لَهُ صَانِعًا حَكِيمًا ، كَمَا يَدُلُّ الْبِنَاءُ عَلَى الْبَانِي ،
 وَالْكِتَابُ عَلَى الْكَاتِبِ ، فَانْظُرْ كَمْ يَبَيِّنُ هَذَا وَيَبَيِّنُ
 مَا يُحْكِي عَنْ بَعْضِ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ سُئِلَ : مَا الَّذِي
 يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ ، وَيُثَبِّتُ الْعِلْمَ بِالْغَيْبِ ؟ فَقَالَ :

إِنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ عِلْمًا ، فَهُوَ
 يُصَرِّفُهُ وَيَحْوَطُهُ ، فَمَنْ كَانَ مُعْتَبَرًا بِالْجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ ،
 فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا بَارِئًا يُجْرِي فَلَكَهَا ،
 وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا ، وَمَنْ اعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى
 حَبَّةِ الْخَرْدَلِ ، فَيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا يُنْشِئُهَا وَيُرَكِّبُهَا ،
 وَيُقَدِّرُ لَهَا أَقْوَاتًا مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ ، وَيُوقِتُ
 لَهَا زَمَانًا لِهَشَمِهَا ، وَأَمْرَ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ وَمَا
 يَحْدُثُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ،
 ثُمَّ اجْتِمَاعِ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَّالِ ، وَالْمُهْتَدِينَ وَالضَّالِّينَ ،
 عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ ، وَاجْتِمَاعِ مَنْ شَكَّ
 فِي اللَّهِ وَكَذَّبَ بِهِ ، عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُحْدِثُوا أَنْفُسَهُمْ ،
 فَكُلُّ ذَلِكَ يَهْدِيكَ إِلَى اللَّهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَنْشَأَ

الْخَلْقَ وَدَبَّرَ هَذِهِ الْأُمُورَ . قَالَ الشَّيْخُ : وَهَذَا الْكَلَامُ
عَلَى طَوِيلٍ ، قَدْ انْتَضَمَ أَكْثَرُ مَعَانِيهِ ، فِي قَوْلِ
سُقْرَاطَ : دَلَّ الْجِسْمُ عَلَى صَانِعِهِ .

وَقَالَ الْإِسْكَندَرُ : وَعَظَمَكَ فِكْرُكَ ، وَأَرْشَدَكَ
عَقْلُكَ ، حِينَ حَيَّرَكَ سَمْعُكَ ، وَغَشَّكَ مَخْبَرُكَ ،
وَإِنَّ الْإِنْسَانَ بِاخْتِلَافِ الْمَسْمُوعِ يَتَحَيَّرُ ، وَيَضِلُّ
بِغِشِّ الْمُخْبِرِينَ ، وَيَسُومُهُمْ فِي مَا يُخْبِرُونَ بِهِ ،
فَيَمِيزُ لَهُ عَقْلُهُ الصَّوَابَ مِنَ الْخَطِإِ ، وَيُرْشِدُهُ
إِلَى الْحَقَائِقِ ، وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْحَيْرَةِ . وَقَالَ مُطَلَّبُ
الْعَرَانِيِّ لِلْإِسْكَانْدَرِ : أَخْلَاقُكَ تَجْعَلُ الْعَدُوَّ صَدِيقًا ،
وَأَحْكَامُكَ تَجْعَلُ الصَّدِيقَ عَدُوًّا ، وَيَشْهَدُ لَكَ
عَدَمُ مِثْلِكَ فِي مَا كَانَ ، بِعَدَمِ مِثْلِكَ فِي مَا يَكُونُ .

قَالَ الشَّيْخُ : فَانْظُرِ الْآنَ ، كَمْ مَعْنَى حَسَنٍ ، تَحْتَ
 هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ ، يَعْنِي أَنَّ حُسْنَ خُلُقِهِ ،
 يَرُدُّ عَدُوَّهُ إِلَى صَدَاقَتِهِ ، وَأَنَّ عَدْلَ حُكْمِهِ ،
 لَا يَفْرِقُ بَيْنَ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ ، وَأَنَّ عَدَمَ مِثْلِهِ فِي
 مَاضِي الدُّهُورِ ، قَدْ شَهِدَ بِأَنَّ مِثْلَهُ ، لَا يَكُونُ فِي
 مُسْتَقْبَلِ الْعُصُورِ ، وَهَذَا كَلَامٌ مَنْقُولٌ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ،
 وَلَعَلَّهُ بَلَغَتْهُ كَانَ أَفْصَحَ وَأَحْسَنَ . وَلَمَّا شَاوَرَ أَبُو مُسْلِمٍ
 بَعْضَ الْفُرْسِ فِي أَمْرِهِ ، قَالَ لَهُ : قُلْ مَا يُقْبَلُ ،
 وَخُذْ مَا يَسْهَلُ ، وَاعْمَلْ مَا يَجْمَلُ ، فَجَمَعَ لَهُ بِهَذِهِ
 الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ، أَكْثَرَ مَعَانِي السِّيَاسَةِ . وَفِي
 مَا يُرْوَى : أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى شَابًّا لَا أَدَبَ لَهُ ،
 وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : حِمَارٌ عَلَيْهِ لِحَامٌ ذَهَبٍ

وَنَظَرَ إِلَى شَابٍّ أَتَمَّقَ ، قَاعِدٍ عَلَى حَجَرٍ ، فَقَالَ :
 هَذَا حَجَرٌ ، قَاعِدٌ عَلَى حَجَرٍ . وَقَالَ أَرِسْ طَائِلِسُ :
 الْحَاجَةُ إِلَى الْعَقْلِ ، أَقْبَحُ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَالِ .
 وَقَالَ غَيْرُهُ : مُحِبُّ الشَّرَفِ ، هُوَ الَّذِي يُتَعَبُ نَفْسُهُ ،
 بِالنَّظَرِ فِي الْعِلْمِ . وَقَالَ سُقْرَاطُ : اللَّذَّةُ خُنَاقٌ مِنْ
 عَسَلٍ ، وَرَأَى سُقْرَاطُ طَبِيبًا جَاهِلًا فَقَالَ : هَذَا
 مُسْتَحْتٌ يَعْنِي يَعَجَلُ بِمَنْ يُعَالِجُ إِلَى الْمَوْتِ . وَقِيلَ
 لِبَعْضِ تَلَامِيذَتِهِ : قَدْ مَاتَ أُسْتَاذُكَ ، فَقَالَ : الْوَيْحُ
 لِي ، لَقَدْ ضَاعَ مِسْنُ عَقْلِي .

قَالَ الشَّيْخُ : وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى فِي
 كَلَامِ الْعَجَمِ ، وَلَا سِيَّامَا عُلَمَائِهِمْ وَوُزَرَائِهِمْ ، الَّذِينَ
 أَخْرَجُوا كَلَامَهُمْ مَخْرَجَ التَّوْقِيعِ ^(١) . فَمِنْ ذَلِكَ

(١) التوقيع: الإيجاز. ومنها توقعات الخلفاء والأمراء ممن أوتوا حظاً من البلاغة

مَا يُحْكِي أَنَّ أَنْوَشَرُونَ ، وَقَعَ إِلَى وُلَاةِ الْخُرَاجِ ،
 الْخُرَاجُ عَمُودُ الْمُلْكِ ، وَمَا اسْتُنْزَرَ بِمِثْلِ الْجَوْرِ ،
 وَلَا اسْتُنْزَرَ بِمِثْلِ الْعَدْلِ . وَقَعَ أَيْضًا فِي رُقْعَةٍ رَجُلٍ
 وَكِيلٍ لَهُ ، أَمْرُهُ بَيْنَاءُ قَصْرِهِ فَأَخَّرَهُ ، أَنْتَ مَا شِ
 وَالْأَيَّامُ رَاكِضَةٌ ، وَالْعَمَلُ بَاعٌ وَالْعِنَايَةُ فِثْرٌ .
 وَقَعَ أَيْضًا فِي رُقْعَةٍ قَهْرِمَانٍ لَهُ ، أَمْرُهُ بِتَقْدِيرِ بِنَاءِ
 بِالْفَارِسِيَّةِ ، دُورُوزْ مَذُودْ ، وَقَدْ اسْتَوْفَى هَذَا الْمَعْنَى ،
 مَا قِيلَ فِي الْعَرَبِيَّةِ فِي أَمْثَالِهَا ، مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ .
 قَالَ الشَّيْخُ : وَأَيَّاتُ الشَّعْرِ كَثُرَتْ أَمْثَالُ الْعَرَبِ ،
 وَزَادَتْ عَلَى أَمْثَالِ سَائِرِ الْأُمَمِ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ
 الْعَرَبِ الشَّعْرُ أَيْضًا عَلَى قَدِيمِ الْوَقْتِ ، فَلِلْفَرَسِ
 أَشْعَارٌ لَا تُضْبَطُ كَثَرَةً ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ أَشْعَارٌ دُونَ

الْفُرْسِ . وَكَانَ أَفْلَاطُونُ بَعْضَ مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ
 وَيَقُولُ فِي ذِمَّةِ : إِنَّ الشَّاعِرَ مُصَوِّرٌ لِلسَّمْعِ ،
 وَالْمَزُوقُ مُصَوِّرٌ لِلْبَصَرِ ، فَأَمَّا الْفُرْسُ ، فَبِ
 مَنْشُورِ أَخْبَارِهِمْ ، وَذِكْرِ حُرُوبِهِمْ ، أَشْعَارُ كَانَتْ تُدَوَّنُ
 وَتُخَلَّدُ فِي الْخَزَائِنِ ، الَّتِي كَانَتْ يُبَوِّتُ الْحِكْمَةُ ،
 ثُمَّ دَرَسَ أَكْثَرُهَا ، مَعَ دَرَسِ كَلَامِهِمْ ، وَبَقِيَ مِنْ
 أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، السَّوَائِرُ مِنَ الْأَمْثَالِ ، تَجَرِي عَلَى
 أَفْوَاهِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ . وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي مَا حَكَى
 عَنْهُ أَبُو حَاتِمٍ : أَنَّهُ أَوْصَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ
 ابْنِ سَهْلٍ الْبَاهِلِيِّ ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْلِ عَرَبِيٍّ ،
 بَعْضُهَا فِي الْجُلُودِ ، وَبَعْضُهَا فِي الْقُطْنِيِّ ، وَبَعْضُهَا
 فِي الْقِرْطَاسِ ، فَتَفَرَّدَتْ الْعَرَبُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ

بِكثرة الأمثال . وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ دُرَيْدٍ يَقُولُ :
اجْتَمَعَ فِي دِيْوَانِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، وَهُوَ
رَجُلٌ مِنْ شُعَرَاءِهِمْ ، أَلْفٌ مِثْلٌ لِلْعَرَبِ ، وَأَلْفٌ
مِثْلٌ لِلْعَجَمِ . فَمِنْ تَوْقِيعَاتِ الْعَجَمِ : تَوْقِيعُ
أَرْدَشِيرَ بْنِ بَابِكَ ، وَكَانَ أَهْلُ زَمَانِهِ قُحِطُوا ،
فَرَفَعُوا إِلَيْهِ قِصَّةً يَشْكُونَ ذَلِكَ ، فَوَقَّعَ إِلَى صَاحِبِ
بَيْتِ الْمَالِ ، إِذَا قَحِطَ الْمَطَرُ ، جَادَتْ سَحَابُ الْمَلِكِ ،
فَفَرَّقَ فِيهِمْ مَا قَاتَهُمْ وَمَانَهُمْ . وَشَكِيَ مِثْلُ ذَلِكَ
إِلَى قُبَادَ بْنِ كَسْرَى ، فَوَقَّعَ ، لِيَكُنْ مِنِّي الْبُرْ
لِلرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، فَإِنِّي وَإِيَّاهُمْ فِي نَفْعِ ذَلِكَ
مُسْتَوُونَ . وَمَدَحَ رَجُلٌ مِنْ الْخَاصَّةِ ، كَسْرَى بْنَ قُبَادَ ،
بِمَدْحِ أَطْنَبَ فِيهِ وَأَسْهَبَ ، وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ ،

وَكَانَ الْمَدْحُ فِي رُقْعَةٍ ، فَوَقَعَ فِيهَا كِسْرَى :
 إِنِّي الْمَدْحُ مُسْتَصْغَرٌ ، لِعِلْمِي بِأَشْيَاءَ قَدْ مُدِحَتْ ،
 وَكَانَتْ بَأَنُ تَذَمٍّ مُحْقُوقَةً . وَوَقَعَ أَنْوَشَرَوَانُ فِي رُقْعَةٍ
 مُتَنَصِّحٍ . ثَمَرَاتُ النَّصَائِحِ ، شُكْرُ الْجَوَارِحِ ،
 وَخَرَجَ التَّوَقُّيعُ إِلَى وَزِيرٍ لَهُ ، فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ
 وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : قَدْ جَمَعْنَا إِلَى شُكْرِ اللِّسَانِ ،
 شُكْرَ الْيَدِ ، وَهُوَ الْبَذْلُ ، وَوَقَعَ كِسْرَى فِي رُقْعَةٍ
 رَجُلٍ ، سَأَلَهُ فِيهَا الثَّقَلَاءُ عَنْ صِنَاعَةٍ إِلَى صِنَاعَةٍ
 غَيْرِهَا ، وَكَانَتْ صِنَاعَتُهُ خَسِيسَةً . فَاخْتَارَ صِنَاعَةً
 رَفِيعَةً ، فَوَقَعَ فِي رُقْعَتِهِ : أَنَا حَامِلٌ لِلرَّعِيَّةِ ، عَلَى
 لُزُومِ مَنَزِلَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ ، وَلِنَفْسِي عَلَى مَا يَحْمِلُ
 عَلَى اللُّزُومِ لَهَا ، وَرَفَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ خَدَمِهِ رُقْعَةً ،

فِيهَا أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْعَامَّةِ ، دَعَاهُ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ،
وَأَنَّهُ أَطْعَمَهُ طَعَامَ الْخَاصَّةِ ، وَسَقَاهُ شَرَابَهَا ، قَالَ :
فَرَأَيْتُ إِلَّا أُسْتُرَ هَذَا عَنْ الْمَلِكِ ، لِأَنَّهُ خَلَّ فِي
الْمَمْلَكَةِ ، فَوَقَعَ فِي رُقْعَتِهِ ، قَدْ حَمَدْنَاكَ عَلَى نَصِيحَتِكَ ،
وَذَمَّمْنَا صَاحِبَكَ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ الْإِخْوَانَ .

وَمِنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ ، جَمْعُ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ ، فِي
الْأَلْفَافِ الْيَسِيرَةِ ، فَقَدْ سُئِلَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ ، فَقِيلَ
لَهُ : مَا لَنَا نَرَى فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ عِدَّةَ مَعَانٍ ،
فَقَالَ : إِنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَوْعِيَّةٌ ، وَالْمَعَانِي أُمْتَعَةٌ ،
فَرُبَّمَا جُعِلَتْ ضُرُوبٌ مِنَ الْأُمْتَعَةِ فِي وِعَاءٍ وَاحِدٍ .
وَقَالَ أَبُو الْهَذِيلِ الْعَلَّافُ لِبَعْضِ مَنْ نَظَرَهُ : هَذَا
كَلَامٌ فَارِغٌ . وَأَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ ، قَالَ :

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ حَصْرٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ ،
عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ لِصُحَّارِ الْعَبْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟
قَالَ : أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئَ ، وَتُصِيبَ فَلَا تُخْطِئَ ،
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كَذَا قُلْتَ يَا صُحَّارُ وَقَالَ : أَقْلَنِي
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْبَلَاغَةُ إِلَّا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ .
وَحَكِي عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، وَكَانَ قَرِيعَ دَهْرِهِ
بَلَاغَةً فِي الْمُسَاوَاةِ ، وَجُودَةً لِسَانٍ فِي الْمُخَاطَبَةِ ،
أَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ الْإِيحَازُ كَافِيًا ، كَانَ التَّطْوِيلُ
عِيًّا ، وَإِنْ كَانَ التَّطْوِيلُ وَاجِبًا ، كَانَ التَّقْصِيرُ
عَجْزًا . وَحَكِي الْمُفَضَّلُ قَالَ : قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ :
مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ الْإِيحَازُ مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ ، وَالْإِطْنَابُ
فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَوَصَفَ الْجَالِحِظُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ

فَقَالَ : كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ ، وَلَا يَسْتَدْعِي مَعْنَى مِنْ
يُعَدِّ . قَالُوا : وَالْبَلِيغُ الْكَامِلُ ، هُوَ الَّذِي تَكُونُ
الْأَلْفَاظُ عِنْدَهُ عَزِيزَةً ، وَالْمَعَانِي فِي نَفْسِهِ جَمَّةً كَثِيرَةً .
قَالُوا : وَمَحْصُورُ الْبَلَاغَةِ أَنَّ لَهَا ثَلَاثَ حَالَاتٍ ،
حَالًا يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْمَعَانِي مِنْ أَجْلِهَا ، وَحَالًا
يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْأَلْفَاظِ ، وَحَالًا مُرَكَّبَةً مِنَ الْأَلْفَاظِ
وَالْمَعَانِي ، وَهِيَ ذَاتُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي تُخْتَصُّ بِاسْمِهَا ،
وَالْبَلَاغَةُ ثَلَاثَةٌ مَذَاهِبَ ، تُقْصَدُ فِي اسْتِعْمَالِهَا ، أَحَدُهَا
الْمُسَاوَاةُ ، وَهِيَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ كَالْقَالِبِ لِلْمَعْنَى ،
لَا يَفْضُلُ عَنْهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ ،
وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُشَارًا بِهِ إِلَى الْمَعْنَى بِاللَّمْحَةِ
الدَّالَّةِ ، وَالثَّالِثُ التَّبْدِيلُ ، وَهُوَ إِعَادَةُ الْأَلْفَاظِ

الْمُتَرَادِفَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِعَيْنِهِ ، حَتَّى يَظْهَرَ لِمَنْ
لَمْ يَفْهَمْهُ ، وَيَتَوَكَّدَ عِنْدَ مَنْ فَهَمَهُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ ، مَوْطِنٌ يَلِيقُ بِهِ ، وَوَقْتُ
لَا يَصْلُحُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَسَاءُ ذِكْرُ هَهُنَا صَدْرًا مِنْ
الْفُصُولِ الْقِصَارِ ، مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، مِمَّا
يَتَضَمَّنُ الْفِقْرَ الْمُخْتَارَةَ ، وَالْمَعَانِيَ الْمُجْمُوعَةَ ، بِاللَّفْظِ
الْقَلِيلِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ
مَا يُحْسِنُهُ . وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلَارِيُّ
قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي أَحْمَدَ ، يَخْكِي عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ بَحْرٍ الْجَاحِظَ يَقُولُ : إِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ
قَالَ : سِتُّ كَلِمَاتٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، تُوزَنُ

كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا بِأَلْفِ كَلِمَةٍ ، قَالَ : فَكُنْتُ أَسْأَلُهُ
 عَنْهَا كَثِيرًا ، فَقَالَ لِي بَعْدَ مُدَّةٍ : الْأُولَى قَوْلُهُ :
 قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ . الثَّانِيَةُ : النَّاسُ
 أَعْدَائِي لِمَا جَهِلُوا . الثَّالِثَةُ : لِسَانُكَ يَقْتَضِيكَ
 مَا عَوَّدْتَهُ . الرَّابِعَةُ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَهُ .
 الْخَامِسَةُ : لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ . السَّادِسَةُ : الْمَرْءُ
 مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ : السَّفَرُ مِيزَانُ
 الْقَوْمِ ، وَالْعَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ . وَقَوْلُ عُمَرَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَاجِرُوا وَلَا تَهْجُرُوا ، وَالسَّعِيدُ
 مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ . وَقَوْلُهُمْ : السَّعِيدُ مَنْ كَفَى .
 وَقَوْلُهُمْ : إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ . وَقَوْلُهُمْ رَبِّ سَاعِ
 لِقَاعِدٍ . رَبِّ مَلُومٍ غَيْرُ مُلِيمٍ . رَبِّمَا قَتَلَ الْبَلِيعَ

لِسَانُهُ . الْعُيُونُ عُنْوَانُ الْقُلُوبِ . الْقُلُوبُ أَبْصَرُ
 مِنَ الْعُيُونِ . مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ . وَقَوْلُ
 الْأَعْرَابِيِّ : وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ حَضَرٍ ^(١) فَرَسِهِ
 فَقَالَ : يَحْضُرُ مَا وَجَدَ أَرْضًا . وَقَالَ آخَرُ : يَسْبِقُ
 الطَّرْفَ ، وَيَسْتَعْرِقُ الوَصْفَ . أُعْوجُ اللَّبَانِ ^(٢) ، طَوْعُ
 الْعِنَانِ . كَأَنَّهُ مَوْجٌ يَمُورُ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُورٍ .
 وَقَوْلُهُمْ : الْفِكْرَةُ مُحٌ ^(٣) الْعَمَلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ :
 إِنَّكَ لَمُحْسِنُ الْكُذْبَةِ فَقَالَ : ذَاكَ عُنْوَانُ نِعْمَةٍ
 اللَّهُ عِنْدِي . وَقَوْلُهُمْ : حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ اسْتِمَاعِهِ .
 دَلَّ الشَّرُّ عَلَى نَفْسِهِ . الْبَادِي أَظْلَمُ . حِفْظُ الْمَوْجُودِ ،
 أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ الْمَفْقُودِ . مَنْ عَزَّ بَزَّ . سِرُّكَ مِنْ
 دَمِكَ غَنَمٌ سَالِمٌ . سُئِلَ رَجُلٌ رَكِبَ الْبَحْرَ عَنْ أَعْجَبِ

(١) الحضر : سرعة العدو (٢) اللبان : صدر الجواد .

(٣) مح العمل : روحه وخلاصته

مَا رَأَى ، فَقَالَ : سَلَامَتِي . بِشْرُ وَامِقٍ . لَا كُنْزُ
مُنَافِقٍ . الْمَلَقُ شُكْرُ الضَّعِيفِ . الصَّدِيقُ يَصْدُقُ ،
وَالْعَدُوُّ يَتَمَلَّقُ . اقْضِ دُيُونَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ بِاللِّسَانِ
قَبْلَ فَقْدِ الْإِمْكَانِ . مَنْ وَاعَلَكَ فِي الرَّخَاءِ ،
خَذَلَكَ فِي الْبَلَاءِ . عَجَبًا لِلْخَيْرِ الْمَمْدُوحِ الْمُتْرُوكِ ،
وَالشَّرِّ الْمَذْمُومِ الْمَفْعُولِ . مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ ، نَمَّ عَلَيْكَ ،
مَنْ أَسَاءَ اسْتَوْحَشَ . سَاعَاتُ اللَّذَّةِ ، هِيَ سَاعَاتُ
الْغَفْلَةِ . قَالَ الشَّيْخُ : هَذَا مِثْلُ قَوْلِ سُقْرَاطَ :
اللَّذَّةُ خُنَاقٌ مِنْ عَسَلٍ ، عِنْدَ صَفْوِ الْعَيْشِ يَكْدُرُ .
الْمُرِيبُ مُخِيفٌ . الْمَحْبُوبُ مَذْكُورٌ . مَنْ لَكَ
بِأَخِيكَ كُلَّهُ . صَدِيقُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ
قَالَ الشَّيْخُ : وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ أَرِسْطَاطَالِسَ : فِي

مَا يَرُدُّ عَلَى أَفْلَاطُونٍ ، إِنْ كَانَ أَفْلَاطُونُ لَنَا صَدِيقًا ،
فَالْحَقُّ أَصْدَقُ لَنَا مِنْهُ .



فصول
كتابية
كَتَبَ بَعْضُهُمْ : قَلْبِي نَجِيٌّ ذِكْرِكَ ، وَلِسَانِي
خَادِمُ شُكْرِكَ . وَكَتَبَ آخَرُ : فَلَانٌ أَذَلُّ مِنْ
شَاهِدِ زُورٍ عِنْدَ مَنْ شَهِدَ لَهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ :
الْعَقْلُ خَادِمُ الْجَهْلِ . وَقَالَ آخَرُ : الْإِسْتِطَالَةُ لِسَانُ
الْجَهَالَةِ ، وَكَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ فِي اسْتِزَادَةِ
الْعِمَارَاتِ ، خَرِيرُ الْمَاءِ ، لَحْنُ الْعِمَارَةِ . كَتَبَ
بَعْضُهُمْ إِلَى عَامِلٍ : اعْلَمْ أَنَّ النَّظَرَ إِذَا أَخْلَفَ لَكَ
أَخْلَفَ مِنْكَ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
وَقَدْ كَانَ جَرَى ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ ، وَأَنَّ بَعْضَ وَلَدِهِ بَلِيغٌ ،

إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يَطُولَ لِسَانُهُ ، فَاضِلًا عَنْ مِقْدَارِ
 عِلْمِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ عِلْمِهِ ، فَاضِلًا
 عَنْ مِقْدَارِ لِسَانِهِ . وَقَالَ آخَرُ : فَضْلُ الْفِعَالِ عَلَى
 الْمَقَالِ مَكْرُمَةٌ ، وَفَضْلُ الْمَقَالِ عَلَى الْفِعَالِ خَدِيعَةٌ .
 وَقِيلَ لِأَبِي دَاوُدَ الْإِيَادِيُّ فِي بَنْتِيهِ : أَهْنَيْتَهَا
 يَا أَبَا دَاوُدَ فَقَالَ : أَهْنَيْتَهَا بِكَرَامَتِي ، كَمَا أَكْرَمْتُهَا
 بِهَوَانِي . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : تَرَكْتُ الشُّكْرَ ،
 كَفَرْتُ النِّعْمَةَ . وَقَالَ آخَرُ : الشُّكْرُ نَسِيمُ النِّعْمَةِ .
 الْهَيْبَةُ خَيْبَةٌ ، وَالْحَيَاءُ حِرْمَانٌ . الْحِكْمَةُ ضَالَةٌ
 الْمُؤْمِنِ . وَقَالَ إِسْحَاقُ يَوْمًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ :
 إِنِّي لِأَحِبُّكَ . فَقَالَ رَائِدٌ ذَاكَ مَعِيَ .

قَرَأْتُ فِي فَصْلِ إِسْعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ ، نَحْنُ فِي

زَمَانٍ ، الْمَعْرُوفُ فِيهِ زَلَلٌ ، وَالصَّوَابُ فِيهِ خَطَلٌ ،
وَالْإِنْعَامُ مَثَلٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : قَدْ رَخَّصَتْ
الضَّرُورَةُ فِي الْإِلْحَاحِ ، أَرْجُو أَنْ تُحَسِّنَ النَّظَرَ ،
كَمَا أَحْسَنْتُ الْإِنْتِظَارَ . وَكَتَبَ آخَرُ : الْعُذْرُ
وَاجِبٌ فَرَأَيْكَ فِيهِ . الْإِعْتَذَارُ خَيْرٌ مِنَ الْإِغْتِرَارِ .

حَكَى الصُّوْلِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْغَلَابِيُّ قَالَ :
سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ : لِسَانُ الْحَالِ ، أَفْصَحُ
مِنْ لِسَانِ الشُّكْوَى .

وَكَتَبَ آخَرُ : اشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْعِمْ
عَلَى مَنْ شَكَرَكَ .

وَكَتَبَ آخَرُ : إِذَا كُنْتَ لَا تُؤْتِي مِنْ نَقْصِ
كَرَمٍ ، وَكُنْتَ لَا أُوتَى مِنْ ضَعْفِ سَبَبٍ ، فَكَيْفَ

أَخَافُ مِنْكَ خَيْبَةً أَمَلٍ ، أَوْ عُدُولًا عَنِ اغْتِفَارِ
 زَلَلٍ ، أَوْ فُتُورًا عَنْ لَمٍّ شَعَتْ ، وَإِصْلَاحِ خَلَلٍ .
 كَتَبَ آخِرُ : أَنَا أَسْأَلُ الَّذِي رَحِمَ الْعِبَادَ بِكَ ،
 عَلَى حِينِ افْتِقَارِهِمْ إِلَيْكَ ، أَنْ يَرْحَمَهُمْ مِنْ بَعْدِكَ ،
 فَلَا يُعِيدَهُمْ إِلَى الْمَكَارِهِ الَّتِي اسْتَنْقَذْتَهُمْ مِنْهَا
 بِيَدِكَ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ لِلْمَأْمُونِ فِي
 رَجُلٍ مُذْنِبٍ : هَبْهُ لِي . فَقَالَ : كَيْفَ لَا أَهْبُهُ
 لِمَنْ بِهِ قَدَرْتُ عَلَيْهِ . وَسَمِعْتُ جَحْظَةَ يَقُولُ :
 سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ يَقُولُ : الْقَلَمُ يَحْكُ
 وَشَى الْمَمْلَكَةَ . وَنَظَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى
 خَطِّ بَعْضِ كُتَّابِهِ ، فَلَمْ يَرْضَهُ . فَقَالَ : نَحْوًا
 هَذَا عَنْ مَرْتَبَةِ الدِّيَّانِ ، فَإِنَّهُ عَلِيلُ الْخَطِّ ،

لَا نَأْمَنُ أَنْ يُعْدِيَ غَيْرَهُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
 بْنُ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيُّ : الْخَطُّ لِسَانُ الْيَدِ . وَقَالَ
 يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَظْلُ الْغَرِيمِ ، أَحْسَنُ مِنْ مَظْلِ
 لِكَرِيمٍ ، وَكَانَ يَحْيَى يَقُولُ : مِنْ حُقُوقِ الثُّبُلِ ،
 أَنْ تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَتَتَصَدَّقَ عَلَى ضَعِيفِكَ ،
 وَتُنْصِفَ مَنْ هُوَ مِثْلُكَ ، وَتَتَذَبَّلَ عَلَى مَنْ هُوَ
 قُوَّةُكَ ، وَكَانَ يَحْيَى إِذَا أَكَلَ وَقَدْ لَعِقَ يَدَهُ قَالَ :
 يَا غُلَامَانُ رُدُّوَا عَلَيْنَا أَيْدِينَا . تَمَّتِ الرِّسَالَةُ .

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَةُ وَالْفَضْلُ ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ
 الْجَمِيلُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ ، وَالسَّلَامُ .

وَلَمَّا كُنْتُ لَا أَشْكُ فِي مُتَقَدِّمِيكَ ، وَصَادِقِ

رَغْبَتِكَ ، وَخَالِصِ حُبِّكَ ، فِي الْوُقُوفِ عَلَى تِلْكَ
 النَّاحِيَةِ الْهَامَّةِ ، فِي الْأَدَبِ عَامَّةً ، الْمُتَمِّمَةِ لِصَرْحِهِ
 وَبَنَائِهِ ، وَالَّتِي لَا أَكْتُمُكَ الْقَوْلَ بِأَنَّهَا بِمَثَابَةِ
 الْمَشْكَاةِ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهَا ، وَالْمَنَارَةِ يُهْتَدَى بِضَوْئِهَا ،
 وَيُسْتَرْشَدُ بِسَنَى نُورِهَا ، — تِلْكَ هِيَ عُلُومُ النَّقْدِ ،
 وَمَعْرِفَةُ نُجُورِ الْكَلَامِ . وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ صَحِيحِهِ وَزَيْفِهِ ،
 وَخَالِصِهِ وَكَاذِبِهِ ، وَغَنِّهِ وَسَمِينِهِ ، لِتَخْرُجَ مِنْهَا إِنْ
 مَلَكَتْ أَرْزَمَتَهَا ، وَتَبَصَّرْتَ فِي مَنَاحِيهَا ، وَأَنْتَ
 الصَّيْقَلُ الْمَاهِرُ ، وَالسَّمِيدْعُ ^(١) الْقَادِرُ ، فَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ
 نُشِيرَ لَكَ فِي مُطَالَعَةِ رِسَالَةِ النَّقْدِ وَمُخْتَارَاتٍ مِنْ
 الْخُطَبِ ، لَتُمْسِكَ مِنْهُمَا بِطَرَفٍ غَيْرِ قَلِيلٍ ، مِنْ

(١) السَّمِيدْعُ : السيد الكريم السخي الموطأ الأكناف

عُلُومِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الْبَابِ ، الَّذِي تَطَوَّرَ آخِرًا
 فِي الْعُلُومِ الْأُورُوبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ، إِلَى أَنْ أَصْبَحَ لُبَابُ
 الْآدَابِ وَقَائِدُهَا ، وَحَامِيهَا ، وَشَادِيهَا ، وَمُحَرِّكُهَا
 وَمُعْزِزُهَا ، بِمَنْهَ وَقُوَّتِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : رَبِّ أَعِنِّ بِرَحْمَتِكَ
 قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرْفٍ الْقَيَّرَوَانِيُّ (١) :
 هَذِهِ أَحَادِيثُ — صَنَعْتُهَا — مُخْتَلِفَةُ الْأَنْوَاعِ . مُؤْتَلَفَةٌ
 فِي الْأَسْمَاعِ . عَرَبِيَّاتُ الْمَوَاشِمِ . غَرِيبَاتُ التَّرَاجِمِ .
 وَاخْتَلَقْتُ (٢) فِيهَا أَخْبَارًا فَصِيحَاتِ (٣) الْكَلَامِ .

(١) راجع رسائل البلاء صفحة ٢٤١ (٢) اختلقت : ابتدعت
 وابتكرت . (٣) فصيحات : جمع الفصيحة . وهي مؤنث الفصح وتجمع
 على فصاح وفصائح . والفصيحة : يجمع على فصحاء . وفصاح . وفصح :
 والفصح ذو العصاحة . والفصاحة مصدر . بمعنى الظهور والبيان

بَدِيعَاتٍ^(١) النَّظَامِ . لَهَا مَقَاصِدُ ظِرَافٍ^(٢) . وَأَسَانِيدُ
 طِرَافٍ^(٣) . يَرُوقُ الصَّغِيرَ مَعْنَاهَا . وَالْكَبِيرَ مَعْزَاهَا .
 وَعَزَوْتُهَا^(٤) إِلَى أَبِي الرَّيَّانِ الصَّلْتِ بْنِ السَّكَنِ مِنْ
 سَلَامَانَ^(٥) . وَكَانَ شَيْخًا هَمًّا فِي اللِّسَانِ . وَبَدْرًا تَمًّا
 فِي الْبَيَانِ . قَدْ بَقِيَ أَحْقَابًا^(٦) . وَلَقِيَ أَعْقَابًا^(٧) .
 ثُمَّ أَلْقَتْهُ إِلَيْنَا مِنْ بَادِيَتِهِ الْأَزْمَاتِ^(٨) . وَأَوْرَدَتْهُ
 عَلَيْنَا الْعَزَمَاتِ^(٩) . فَاْمْتَحَنَّا مِنْ غَلْمِهِ بَحْرًا جَارِيًا .
 وَقَدَحْنَا مِنْ فَهْمِهِ زَنْدًا وَارِيًا . وَأَدْرَنَّا^(١٠) مِنْ بَرِّهِ

(١) بديعات : عجيبات (٢) ظراف : حسنة . (٣) طراف :
 جمع طريف . وهو الغريب النادر (٤) عزوتها : نسبتها (٥) سلامان :
 ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق . وبه مات نوفل بن عبد مناف
 (٦) أحقاباً جمع حقب : وهو الدهر أو السنة (٧) أعقاباً : عقبات
 (٨) الأزمات : جمع أزمة . وهي الشدة والقحط (٩) العزمات جمع عزمة .
 والعزمة : الهمة والنشاط (١٠) أدرنا : أمطرنا

طَرَفًا^(١) . وَاجْتَنَيْنَا مِنْ ثَمَرِهِ طَرَفًا . وَنَحْنُ إِذْ
 ذَاكَ وَالشَّبَابُ مُقْتَبِلُ^(٢) . وَغَفَلَةُ الزَّمَانِ تَهْتَبِلُ^(٣) .
 وَاحْتَدَيْتُ فِيمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ . وَوَقَعَ تَعْرِضِي
 عَلَيْهِ . مِنْ بَثِّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَا رَأَيْتُ الْأَوَائِلَ
 قَدْ وَضَعَتْهُ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِئْمَةٍ ، فَأَضَافُوا
 حِكْمَهُ إِلَى الطَّيْرِ الْخَوَائِمِ^(٤) . وَنَطَقُوا بِهِ عَلَى
 أَلْسِنَةِ الْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ . لِتَتَعَلَّقَ بِهِ شَهَوَاتُ
 الْأَحْدَاثِ^(٥) . وَتُسْتَعَذَّبَ بِسَمَرِهِ^(٦) أَلْفَاظُ الْحَدَاثِ^(٧) .

(١) طرفاً : قسماً (٢) مقتبل : لم يظهر فيه أثر الكبر أى في
 غضارته (٣) تهتلل : تقتنم (٤) الخوائم : جمع حائمة : والحائمة
 مؤنث الحائم : وهو العطشان . والجمع حوم (٥) الأحداث : جمع
 حدث . وهو الفتى (٦) السمر الحديث في الليل (٧) الحداث :
 الجديد . وهو ضد القديم

وَقَدْ نَحَا^(١) بِذَا النَّحْوِ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ الْكَاتِبُ
 فِي تَأْلِيْفِهِ كِتَابَ النَّمْرِ وَالشَّعْلَبِ . وَهُوَ مَشْهُورٌ
 الْحِكَايَاتِ . بَدِيعُ الْمُرَاسَلَاتِ . مَلِيحُ الْمَكَاتِبَاتِ .
 وَزَوَّرَ أَيْضًا بَدِيعُ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيُّ ، وَهُوَ الْأُسْتَاذُ
 أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، مَقَامَاتٍ كَانَ يُنْشِئُهَا
 بَدِيهًا^(٢) فِي أَوَاخِرِ مَجَالِسِهِ ، وَيُنْشِئُهَا إِلَى رَاوِيَةٍ^(٣)
 رَوَاهَا لَهُ يُسَمِّيهِ « عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ » . وَزَعَمَ
 أَنَّهُ حَدَّثَهُ بِهَا عَنْ بَلِيغٍ يُسَمِّيهِ « أَبَا الْفَتْحِ
 الْإِسْكَنْدَرِيِّ » ، وَعَدَّدَهَا فِيمَا يَزْعُمُ رَوَاتِهَا ،
 عِشْرُونَ مَقَامَةً ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَصِلْ هَذِهِ الْعِدَّةُ

(١) نحا : قصد (٢) بديها : أى من دون توقف ولا تفكر

(٣) راوية : كثير الرواية

إِلَيْنَا ، وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ مَعَانِيَ مُخْتَلِفَةً . وَمُبْنِيَةٌ عَلَى
 مَعَانِيَ شَتَّى غَيْرِ مُؤْتَلِفَةٍ ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا مِنَ الْكِتَابِ
 وَالْمُحَاضِرِينَ ، مَنْ صَرَفَهَا مِنْ هَزَلٍ إِلَى جِدِّ .
 وَمَنْ نَدَّى إِلَى ضِدِّ . فَأَقَمْتُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ ،
 عِشْرِينَ حَدِيثًا ، أَرْجُو أَنْ يُتَبَيَّنَ فَضْلُهَا . وَلَا
 تَقْصُرَ عَمَّا قَبْلَهَا . وَلَعَمْرِي مَا أَشْكُرُ مِنْ نَفْسِي .
 وَلَا أَثْنِي عَلَى شَيْءٍ مِنْ حِسِّي . إِلَّا ظَفَرِي بِالْأَقْلِّ
 مِمَّا حَاوَلْتُهُ ، عَلَى مَا أَضْرَمْتُهُ^(١) نِيرَانُ الْغُرْبَةِ مِنْ
 قَلْبِي . وَثَلَمْتُهُ^(٢) صَعَقَاتُ الْفِتْنَةِ مِنْ لُبِّي . وَقَطَعْتُ
 أَهْوَالَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ خَوَاطِرِي . وَأَضْعَفْتُ
 الْوَحْشَةَ وَالْوَحْدَةَ مِنْ غَرَائِزِي وَبَصَائِرِي . لَكِنَّ

(١) أضرمته : أشعلته (٢) ثلمته : كسرتة وخذشته

نِيَّةَ الْقَاصِدِ وَسَعَةَ الْمُقْصُودِ . أَعَانَا ذَا الْوُدِّ عَلَى
 إِتْحَافِ الْمُؤَدُّودِ . وَاللَّهُ أَسْأَلُ تَوْفِيقًا يَنْهَجُ^(١) لَنَا
 إِلَى الرُّشْدِ طَرِيقًا .
 فَمِنْهَا :

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَجَارَيْتُ أَبَا الرِّيَّانِ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ
 وَمَنَازِلِهِمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ . وَاسْتَكْشَفْتُهِ
 عَنْ مَذْهَبِهِ فِيهِمْ ، وَمَذَاهِبِ طَبَقَتِهِ ، فِي قَدِيمِهِمْ
 وَحَدِيثِهِمْ ، فَقَالَ : الشُّعْرَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الْإِخْصَاءِ ،
 وَأَشْعَارُهُمْ أَبْعَدُ مِنْ شُقَّةٍ^(٢) الْإِسْتِقْصَاءِ^(٣) . فَقُلْتُ :
 لَا أُعْتَبِكَ^(٤) بِأَكْثَرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ . وَلَا أَذَاكَ^(٥)

(١) ينهج : يوضح ويبين . (٢) شقة : ناحية

(٣) الاستقصاء : التتبع والاستقراء (٤) لا اعتبك : استرضاه

وفي النسخة التونسية لا اعتتك وهو الأظهر والأولى . والاعتات : الانعاب

(٥) أذاكرك : أخوض معك في الحديث

إِلَّا فِي الْمَذْكُورِينَ مِثْلَ الضَّلِيلِ^(١) . وَالْقَتِيلِ .
وَلَبِيدِ^(٢) وَعَبِيدِ^(٣) . وَالنَّوَابِغِ^(٤) وَالْعُشْوَى^(٥) وَالْأَسْوَدِ
ابْنِ يَعْفُرٍ . وَصَخْرِ النُّعَيِّ وَابْنِ الصَّمَّةِ دُرَيْدٍ . وَالرَّاعِي
عُمَيْدٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ . وَعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ . وَالْفَرَزْدَقِ
وَجَرِيرٍ . وَجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ وَكَثِيرٍ . وَابْنِ جَنْدَلٍ .
وَابْنِ مُقْبِلٍ . وَجَرَوَلٍ . وَالْأَخْطَلِ . وَحَسَّانَ فِي
هَجَائِهِ وَمَدْحِهِ . وَغَيَّلَانَ فِي مِيتِهِ^(٦) وَصَيْدَحِهِ^(٧) .
وَالْهُذَلِيَّ أَبِي ذُوَيْبٍ وَسُحَيْمٍ وَلُصَيْبٍ . وَابْنَ حِلْزَةَ
الْوَائِلِيَّ . وَابْنَ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيَّ . وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيَّ .

(١) الضليل امرؤ القيس (٢) لسد العامري عاش ستين سنة في الجاهلية
ومثلها في الاسلام (٣) وعبيد بن الأبرص شاعر جاهلي (٤) النوابع
جمع نابغة يريد النابغة الذبياني والجدى (٥) العشوى جمع أعشى : وهو
الذي لا يبصر ليلا . ويريد الأعشى الصغير والأعشى الكبير (٦) ميته :
سكونه (٧) صيدحه : صياحه

وَزُهَيْرِ الْمُزْنِيِّ . وَشُعْرَاءِ فَزَارَةَ . وَمُفْلِقِ بَنِي زُرَّارَةَ
 وَشُعْرَاءِ تَغْلِبَ ، وَيَثْرِبَ . وَأَمْثَالِ هَذَا النَّمَطِ
 الْأَوْسَطِ كَالرَّمَّاحِ . وَالطَّرِمَّاحِ . وَالطَّيْرِيِّ وَالذَّمِينِيِّ .
 وَالْكُمَيْتِ الْأَسَدِيِّ . وَحُمَيْدِ الْهَلَالِيِّ . وَبَشَّارِ
 الْعَقِيلِيِّ . وَابْنِ أَبِي حَفْصَةَ الْأُمَوِيِّ . وَوَالِيبَةَ الْأَسَدِيِّ .
 وَابْنِ جَبَلَةَ الْحَلَمِيِّ . وَأَبِي نُوَّاسٍ الْحَكَمِيِّ . وَصَرِيحِ
 الْأَنْصَارِيِّ . وَدَعْبِلِ الْخَزَاعِيِّ . وَابْنِ الْجَهْمِ الْقُرَشِيِّ .
 وَحَبِيبِ الطَّائِيِّ . وَالْوَلِيدِ الْبُحْتَرِيِّ . وَابْنِ الْمُعْتَزِّ
 الْعَبَّاسِيِّ . وَعَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ الرُّومِيِّ . وَابْنِ رَغْبَانَ
 الْحِمَصِيِّ . وَمِنْ الطَّبَقَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ فِي الزَّمَانِ .
 الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الْإِحْسَانِ . كَأَبِي فِرَاسٍ بْنِ حَمْدَانَ .
 وَالْمُتَنَبِّئِيِّ بْنِ عَبْدِانَ . وَابْنِ جِدَارِ الْمِصْرِيِّ . وَابْنِ

الْأُخْنَفُ الْحَنْفِيُّ . وَكُشَاجِمُ الْفَارِسِيِّ . وَالصَّنَوْبَرِيُّ
 الْحَلِيُّ . وَنَصْرُ الْخُبَزَرِيِّ ^(١) . وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ .
 وَابْنُ هَانِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ . وَعَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ الْإِيَادِيُّ
 التُّونِسِيُّ . وَالْقَسْطَلِيُّ . قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : لَقَدْ سَمِيتَ
 مَشَاهِيرَ . وَأَبْقَيْتَ الْكَثِيرَ . قُلْتُ بَلَى : وَلَكِنْ
 مَا عِنْدَكَ فِيمَنْ ذَكَرْتُ ؟ قَالَ : أَمَّا الضَّئِيلُ ،
 فَهَوَسُّ الْأَسَاسِ ، وَبُنْيَانُهُ عَلَيْهِ النَّاسُ . كَانُوا
 يَقُولُونَ : أُسَيْلَةٌ ^(٢) أَخَذْتُ حَتَّى قَالَ أُسَيْلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ .
 وَكَانُوا يَقُولُونَ : تَامَّةُ الْقَامَةِ ، وَطَوِيلَةُ الْقَامَةِ ،
 وَجَيْدَاءُ ^(٣) ، وَتَامَّةُ الْعُنُقِ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا ، حَتَّى قَالَ :

(١) في بعض النسخ الخبزي . ويروى أيضاً الخبز أزرى وهو أبو
 القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن ميمون الشاعر البصري المتوفى سنة ٣١٠ هـ

(٢) أُسَيْلَةُ الْخُدَّ : نَاعَمَتُهُ (٣) جِيدَاءُ : طَوِيلَةُ الْجِيدِ أَيْ الْعُنُقِ

بَعِيدُهُ مَهْوَى الْقُرْطِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الْفَرَسِ السَّابِقِ :
يَلْحَقُ الْغَزَالَ وَالظَّلِيمَ ^(١) وَشِبْهَهُ ، حَتَّى قَالَ : قَيْدُ
الْأَوَابِدِ ^(٢) ، وَمِثْلُ هَذَا لَهُ كَثِيرٌ . وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ
مَنْ فَطِنَ لِهَذِهِ الْإِشَارَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ غَيْرُهُ ،
فَامْتَثَلُوهُ بَعْدَهُ . وَكَانَتْ الْأَشْعَارُ قَبْلُ سَوَاجِحَ ^(٣) ،
فَبَقِيَتْ هَذِهِ جُدَدًا وَتِلْكَ نَوَاهِجَ ^(٤) ، وَكُلُّ شِعْرِ بَعْدُ
مَا خَلَاهَا فَغَيْرُ رَائِقِ النَّسِجِ . وَإِنْ كَانَ صَحِيحَ النَّهْجِ ،
وَأَمَّا طَرَفُهُ ، فَلَوْ طَالَ عُمُرُهُ . لَطَالَ شِعْرُهُ ، وَعَلَا
ذِكْرُهُ ، وَلَقَدْ خُصَّ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ مِنَ الشَّعْرِ . عَلَى
أَيْسَرِ نَصِيبٍ مِنَ الْعُمُرِ . فَمَلَأَ أَرْجَاءَ ^(٥) ذَلِكَ النَّصِيبِ

(١) الظليم : ذكر النعام (٢) الاوابد : الشوارد من الوحش

(٣) سواذج : على الفطرة . (٤) نواهج : بالية .

(٥) الارحاء : النواحي

بِصُنُوفٍ مِنَ الْحِكْمَةِ . وَأَوْصَافٍ مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ،
وَالطَّبَعِ مُعَلِّمٌ حَازِقٌ^(١) وَجَوَادٌ سَابِقٌ .

وَأَمَّا الشَّيْخُ أَبُو عَقِيلٍ : فَشِعْرُهُ يَنْطِقُ بِلِسَانِ
الْجَزَالَةِ^(٢) . عَنْ جَنَانِ الْأَصَالَةِ^(٣) فَلَا تَسْمَعُ لَهُ
إِلَّا كَلَامًا فَصِيحًا . وَمَعْنَى مُبِينًا صَرِيحًا . وَإِنْ كَانَ
شَيْخَ الْوَقَارِ . وَالشَّرَفِ وَالْفَخَارِ لِبَادِيَاتٍ فِي شِعْرِهِ
وَهِيَ دَلَالُهُ ، قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ قَائِلُهُ . وَأَمَّا الْعَبْسِيُّ^(٤) :
فمُجِيدٌ فِي أَشْعَارِهِ . وَلَا كَمُعَلَّقَتِهِ ، فَقَدْ انْفَرَدَ بِهَا
انْفِرَادَ سُهَيْلٍ^(٥) وَغَبَرٍ^(٦) فِي وُجُوهِ الْخَيْلِ وَجَمَعَ فِيهَا
بَيْنَ الْحَلَاوَةِ وَالْجَزَالَةِ . وَرَقَّةَ الْفَزْلِ وَغِلَظَةَ الْبَسَالَةِ .

(١) حاذق : ماهر متقن (٢) الجزالة : الفصاحة (٣) الاصاله :

جودة الرأي والاثبات (٤) العبسي : هو عنتره بن شداد وله معلقة مشهورة

(٥) سهيل : اسم نجم (٦) غبر : أثار الغبار

وَأَطَالَ وَاسْتَطَالَ . وَأَمِنَ السَّامَةَ^(١) وَالْكَلالَ^(٢) .
وَأَمَّا زُهَيْرٌ : فَأَيْ زُهَيْرٍ . يَنْ لَهَوَاتِ زُهَيْرٍ .
حِكْمُ فَارِسٍ^(٣) . وَمَقَامَاتُ الْفَوَارِسِ . وَمَوَاعِظُ
الزُّهَادِ ، وَمُعْتَبَرَاتُ الْعِبَادِ . وَمَذْحُ يُكْسِبُ الْفَخَارَ .
وَيَبْقَى بَقَاءَ الْأَعْصَارِ^(٤) . وَمُعَاتِبَاتٌ ، مَرَّةً تَحْسُنُ .
وَمَرَّةً تَخْسُنُ . وَتَارَةً تَكُونُ هَجْوًا^(٥) . وَطَوْرًا
تَكَادُ تَعُودُ شُكْرًا . وَأَمَّا ابْنُ حِلْزَةَ : فَسَهْلُ
الْحُزُونِ^(٦) . قَامَ خَطِيبًا بِالْمَوْزُونِ . وَالْعَادَةُ أَنَّ

(١) السَّامَةُ : الملل والضجر (٢) الكلال العي والتعب

(٣) مثل قوله :

ومن هاب أسباب المنايا ينلته وإن يرق أسباب السماء بسلم

(٤) مثل قوله في هرم بن سنان :

إن تلق يوماً على علاته هرمًا تلقى السباحة فيه والندى خلقاً

(٥) الهجو : الذم (٦) الحزون : جمع حزن . وهو ما غلظ

يَسْهَلُ شَرْحُ الشَّعْرِ بِالنَّثْرِ . وَهَذَا أَسْهَلُ السَّهْلِ
بِالْوَعْرِ^(١) . وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ :

أَبْرَمُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا

أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ^(٢)

مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُحِيبٍ وَمِنْ تَصَّ

هَالٍ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءٍ^(٣)

فَلَوْ اجْتَمَعَ كُلُّ خَطِيبٍ نَاثِرٍ . مِنْ أَوَّلٍ

وَأَخِيرٍ . يَصِفُونَ سَفْرًا^(٤) نَهَضُوا بِالْأَسْحَارِ^(٥) .

وَعَسْكَرًا تُنَادِي بِالنُّهْوضِ إِلَى طَلَبِ الثَّارِ : مَا زَادُوا

(١) الوعر : الصعب (٢) الضوضاء : الحلبة . واختلاط الاصوات

(٣) الرغاء : صوت البعير وضجيجيه . (٤) السفر : القوم

المسافرون . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « أنا قوم سفر »

(٥) الاسحار جمع سحر : وهو آخر الليل . ومنه قوله تعالى

« وبالاسحار هم يستغفرون » .

عَلَى هَذَا ، إِنْ لَمْ يَنْقُصُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُقَصِّرُوا عَنْهُ ،
وَسَائِرُ قَصِيدَتِهِ فِي هَذَا السَّلَكِ ، شِكَايَةُ وَطِلَابُ
نَصْفَةِ^(١) : وَعِتَابُ فِي عِزَّةٍ وَأَنْفَةٍ^(٢) : وَهُوَ مِنْ
شُعْرَاءِ وَائِلٍ ، وَأَحَدُ أَسِنَّةٍ^(٣) هَاتِيكَ الْقَبَائِلِ .
وَأَمَّا ابْنُ كُلْثُومٍ : فَصَاحِبُ وَاحِدَةٍ بِلَا زِيَادَةٍ ،
أَنْطَقَهُ بِهَا عِزُّ الظَّفَرِ ؛ وَهَزَّهُ فِيهَا جِنٌّ^(٤) الْأَشْرِ ،
فَقَعَقَعَتْ^(٥) وَغُودُهُ فِي أَرْجَائِهَا : وَجَعَجَعَتْ^(٦) رَحَاهُ
فِي أَثْنَائِهَا ، وَجَعَلَتْهَا تَغْلِبُ قِبَلَتَهَا الَّتِي تُصَلِّي إِلَيْهَا :
وَمِلَّتْهَا الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَتْرُكُوا إِعَادَتَهَا ،
وَلَا خَلَعُوا عِبَادَتَهَا ، إِلَّا بَعْدَ قَوْلِ الْقَائِلِ :

(١) نصفه اسم من الانصاف : وهو العدل واستبقاء الحقوق

(٢) الانفة : الترفع . (٣) أسنة : جمع سنان وهو الرمح .

(٤) جن الاشر : حدته وقوته وشدته . (٥) القعقة : صوت السلاح

(٦) الجعجة صوت الرحي

أَهْلَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ

قَصِيدَةً قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ

عَلَى أَنَّهَا مِنْ الْقَصَائِدِ الْمُحَقَّقَاتِ ، وَإِخْدَى الْمُعْلَقَاتِ :

وَأَمَّا النَّابِغَةُ زِيَادٌ ، فَأَشْعَارُهُ الْجِيَادُ ، لَمْ تَخْرُجْ

عَنْ نَارِ جَوَانِحِهِ ، حَتَّى تَنَاهَى نَضْجُهَا ، وَلَا قُطِعَتْ

مِنْ مَنَوَالِ خَاطِرِهِ ، حَتَّى تَكَاثَفَ ^(١) نَسْجُهَا : لَمْ

تُهْلَهْلِهَا ^(٢) مِيعَةُ الشَّبَابِ ^(٣) ، وَلَا وَهَاءُ ^(٤) الْأَسْبَابِ ،

وَلَا لَوْمُ الْإِكْتِسَابِ ^(٥) ، فَشِعْرُهُ وَسَائِطُ سُلُوكٍ ،

وَتِيْجَانُ مُلُوكٍ .

وَأَمَّا النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ : فَتَقِيُّ الْكَلَامِ ، شَاعِرُ

(١) تكاثف : تراكم وصفق (٢) تهلهلها : تسهلها (٣) مِيعَةُ

الشباب : شرخه وعنفوانه (٤) وهاء الأسباب : ضعفها

(٥) الاكتساب : التكسب بالشعر .

الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَاسْتَحْسَنَ شِعْرَهُ أَفْصَحُ
النَّاطِقِينَ ، وَدَعَا^(١) لَهُ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ ، وَكَانَ شَاعِرًا
فِي الْإِفْتِخَارِ وَالثَّنَاءِ ، قَصِيرَ الْبَاعِ لَشَرَفِهِ عَنْ تَنَاوُلِ
الْهَجَاءِ ، وَكَانَ مَغْلُوبًا فِيهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَطَرِيدَ
لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ .

وَأَمَّا الْعُشَى بِأَجْمَعِهِمْ ، فَكُلُّهُمْ شَاعِرٌ ، وَلَا
كَمِيمُونَ بِنِ قَيْسٍ ، شَاعِرِ الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ ،
وَالْبَاسِ^(٢) وَالرَّخَاءِ^(٣) ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْفُنُونِ ، وَالسَّعْيِ
فِي السُّهُولِ وَالْحَزُونِ ، نَفَقَ^(٤) مَدْحُهُ بَنَاتِ الْمُحَلَّقِ ،

(١) قال له عليه الصلاة والسلام « لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ » فلم تسقط له

سن على طول عمره (٢) البأس : الشدة والفقر (٣) الرخاء : سعة

العيش (٤) نفق : روج

وَكَانَ فِي فَقْرٍ بَنِ الْمَذَلِّ ، وَأَبْكَى هَجْوُهُ عُلُقَمَةَ^(١) ،
كَمَا تَبْكِي الْأَمَّةُ .

وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرٍ : فَأَشْعَرُ النَّاسِ إِذَا نَدَبَ^(٢)
دَوْلَةً زَالَتْ ، أَوْ بَكَى حَالَةً حَالَتْ ، أَوْ وَصَفَ
رَبْعًا خَلَا بَعْدَ عُثْمَانَ ، أَوْ دَارًا دَرَسَتْ^(٣) بَعْدَ
سُكَّانٍ ، فَإِذَا سَلَكَ هَذَا السَّبِيلَ فَهُوَ مِنْ حَشْوِ
هَذَا الْقَبِيلِ ، كَعُمُرٍ وَزَيْدٍ ، وَسَعْدٍ وَسَعِيدٍ .

وَأَمَّا حَسَّانُ : فَقَدْ اجْتَثَ^(٤) بَوَاكِرَ^(٥) غَسَّانٍ ،
ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ ، وَانْكَشَفَ الْإِظْلَامُ ،
فَجَاحَشَ عَنِ الدِّينِ ، وَنَاضَلَ عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ،

(١) علقمة : يريد علقمة بن علاثة سيد من سادات العرب صاحب
المنافرة بينه وبين عامر بن الطفيل (٢) ندب : نعى (٣) درست :
تهدمت وتخربت (٤) اجتث : قطع واستأصل . ومنه قوله تعالى
« اجتثت من فوق الأرض » (٥) بواكر : أوائل غسان

فَشَعَرَ وَذَادَ ، وَحَسَّنَ وَأَجَادَ ، إِلَّا أَنَّ الْفَضْلَ فِي
ذَلِكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَتَسْدِيدِ^(١) الرُّوحِ الْأَمِينِ .

وَأَمَّا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ : فَصِمَّةٌ صِمَمَ ، وَشَاعِرُ
جُشَمٍ ، وَغَزَلَ هَرِمَ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَغَزَّلَ فِي رِثَاءٍ ،
وَهَزَلَ فِي حُزْنٍ وَبُكَاءٍ ، فَقَالَ فِي مَعْبَدِ أَخِيهِ ،
قَصِيدَتُهُ الْمَشْهُورَةُ يَرْتِيهِ :

أَرَتِ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ

بِعَافِيَةٍ قَدْ أَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ

وَهِيَ مِنْ شَاجِيَاتِ النَّوَائِحِ وَبَاقِيَاتِ الْمَدَائِحِ .

وَأَمَّا الرَّاعِي عَيْدُ : فَقَدْ جُبِلَ عَلَى وَصْفِ الْإِبِلِ

فَصَارَ بِالرَّاعِي يُعْرِفُ ، وَلُسِيَ مَا لَهُ مِنَ الشَّرَفِ .

(١) يريد قول النبي عليه الصلاة والسلام له « قل وروح القدس معك والله إن كلامك عليهم أشد من وقع السهام ، في غسق الظلام » .

وَأَمَّا زَيْدُ الْخَيْلِ ^(١) : فَخَطِيبٌ سَجَّاعَةٌ ^(٢) وَفَارِسٌ
 سَجَّاعَةٌ ^(٣) مَشْغُولٌ بِذَلِكَ ، عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَالِكِ .
 وَأَمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : فَشَاعِرُهُمْ فِي الْفَخَارِ ،
 وَفِي حِمَايَةِ الْجَارِ ، وَأَوْصَفَهُمْ إِكْرِيمَةً ، وَأَبْعَثَهُمْ
 لِحَمِيدِ شَيْمَةٍ .

وَأَمَّا ابْنُ مُقْبِلٍ : فَقَدِيمٌ شِعْرُهُ ، وَصَلِيبٌ نَجْرُهُ ^(٤)
 وَمُعَلًى مَدْحُهُ ، وَمُعَلًى ^(٥) قِدْحُهُ .

وَأَمَّا جَرُولُ ^(٦) : فَخَبِيثٌ هِجَاؤُهُ شَرِيفٌ ثَنَاؤُهُ ،

(١) زيد الخيل : صنيدي من صناديد العرب وقد سماه النبي يزيد الخير
 (٢) سجاعة : ينطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر ، والتاء للمبالغة
 (٣) شجاعة : قوى القلب . والتاء أيضاً للمبالغة . (٤) نجره : أصله
 وحسبه وهو النجار أيضاً (٥) المعلى : أول سهام الميسر . وأكبرها
 نصيباً . ويليها المصلى (٦) جرول : لقب الحطيئة الشاعر المشهور
 الذي قال في بني أنف الناقة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
 ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

صَحِيحٌ بِنَاوُهُ رَفَعَ شِعْرُهُ مِنَ الثَّرَى ، وَحَطَّ مِنَ الثَّرِيَّا ،
وَأَعَادَ بِلَطَافَةِ فِكْرِهِ ، وَمَتَانَةِ شِعْرِهِ ، قَبِيحَ الْأَقَابِ ،
فَخَرًّا يَبْقَى عَلَى الْأَحْقَابِ ، وَيُتَوَارَثُ فِي الْأَعْقَابِ .
وَأَمَّا أَبُو ذُوَيْبٍ : فَشَدِيدٌ ، أَمِيرُ الشَّعْرِ حَكِيمُهُ :
شَغْلُهُ فِيهِ التَّجْرِبُ ، حَدِيثُهُ وَقْدِيمُهُ ، وَلَهُ الْمُرَثِيَّةُ
النَّقِيَّةُ السَّبْكُ^(١) ، الْمُسْتِينَةُ الْحَبْكُ^(٢) ، بَكَى فِيهَا بَنِيهِ
السَّبْعَةَ ، وَوَصَفَ الْحِمَارَ فَطَوَّلَ ، وَهِيَ الَّتِي أَوَّلَهَا :
أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ
وَأَمَّا الْأَخْطَلُ^(٣) فَسَعْدٌ مِنْ سَعُودِ بَنِي مَرْوَانَ .
صَفَتْ لَهُمْ مِرْآةُ فِكْرِهِ . وَظَفَرُوا بِالْبَدِيعِ مِنْ شِعْرِهِ .

(١) السبك : الصوغ (٢) الحبك : الاحكام والتحسين

(٣) شاعر أموى نصرانى خلد بشعره مآثر بنى أمية

وَكَانَ بَاقِعَةً^(١) مَنْ حَاجَاهُ . وَصَاعِقَةٌ مَنْ هَاجَاهُ .
 وَأَمَّا الدَّارِمِيُّ هَمَّامٌ^(٢) : فَجَوْهَرُ كَلَامِهِ . وَأَغْرَاضُ
 سِهَامِهِ . إِذَا افْتَخَرَ بِمَالِكِ ابْنِ حَنْظَلَةَ . وَبِدَارِمٍ^(٣)
 فِي شَرَفِ الْمَنْزِلَةِ . وَأَطْوَلُ مَا يَكُونُ مَدًى ، إِذَا
 تَطَاوَلَ اخْتِيَارُ جَرِيرٍ بِقَلِيلِهِ عَلَى كَثِيرِهِ . وَبِصَغِيرِهِ
 عَلَى كَبِيرِهِ . فَإِنَّهُ يُصَادِمُهُ حِينَئِذٍ بِبَحْرِ مَادٍ^(٤) .
 وَيُقَاوِمُهُ بِسَيْفٍ حَادٍ .

وَأَمَّا ابْنُ الْخَطَطِيِّ : فَرُحْدٌ فِي غَزَلٍ . وَحَجَرٌ
 فِي جَنْدَلٍ . يَسْبَحُ أَوَّلًا فِي مَاءٍ عَذْبٍ . وَيَطْمَحُ
 آخِرًا فِي صَخَرٍ صُلْبٍ . كَلْبٌ مَنَابِحَةٌ . وَكَبْشٌ

(١) الباقعة : الذكي العارف الذي لا يفوته شيء ولا يدهي . والناء للمبالغة

(٢) هو الفرزدق الشاعر المشهور وهو وجريز والأخطل ثلاثهم أشعر

شعراء عصر بني أمية (٣) دارم ومالك : أجداده (٤) ماد : زائد ماؤه

مَنَاطِحَةٍ . لَا تَقْلُ^(١) غَرْبَ^(٢) لِسَانِهِ ، مُطَاوَلَةٌ
 الْكِفَاجِ . وَلَا تُدْمِي هَامَتَهُ^(٣) مُدَاوِمَةُ النَّطَاجِ .
 جَارَى السَّوَابِقِ بِمَطِيَّةٍ . وَفَاخَرَ غَالِبًا بِعَطِيَّةٍ .
 وَبَلَغَتْهُ بَلَاغَتُهُ إِلَى الْمُسَاوَاةِ . وَحَمَلَتْهُ جُرْأَتُهُ عَلَى
 الْمُجَارَاةِ . وَالنَّاسُ فِيهِمَا فَرِيقَانِ . وَبَيْنَهُمَا عِنْدَ
 قَوْمٍ فَرْقَانِ .

وَأَمَّا الْبَقِيسَانِ^(٤) : وَطَبَقْتُهُمَا ، فَطَبَقَةُ عَشَقَةٍ .
 تَوَقَّةٍ^(٥) . اسْتَحْوَذَتِ الصَّبَابَةُ عَلَى أَفْكَارِهِمْ .
 وَاسْتَفْرَغَتْ دَوَاعِيَ الْحُبِّ مَعَانِيَ أَشْعَارِهِمْ ، فَكَلَّمَتْهُمْ
 مَشْغُولٌ بِهَوَاهُ ، لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهُ .

(١) تفل : تقطع (٢) غرب : حدة لسانه (٣) الهامة : مقدم الرأس
 (٤) البقيسان : هما قيس بن الملوح المشهور بمجنون ليلى وقيس بن ذريح
 الكنانى . ومعشوقته لبنى بنت الحباب . وهو رضيع الحسن بن على رضى الله عنهما
 (٥) التوقة : جمع تائق . وهو الحب

وَأَمَّا كَثِيرٌ^(١) : فَحَسَنُ النَّسِيبِ^(٢) فَصِيحُهُ ، لَطِيفُ
 الْعِتَابِ مَلِيحُهُ ، شَجِيءُ الْإِغْتِرَابِ قَرِيحُهُ ، جَامِعُ
 إِلَى ذَلِكَ رَقَائِقَ الظُّرْفَاءِ ، وَجَزَالَ مَدْحِ الْخُلَفَاءِ .
 وَأَمَّا الْكُمَيْتُ وَالرَّمَّاحُ ، وَنُصَيْبُ وَالطَّرِمَّاحُ ،
 فَشُعْرَاءُ مُعَاَصِرَةٍ وَمُنَاقِضَاتٍ وَمُفَاخِرَةٍ ، فَنُصَيْبُ
 أَمْدَحُ الْقَوْمِ ، وَالطَّرِمَّاحُ أَهْجَاهُمْ ، وَالرَّمَّاحُ أَنْسَبُهُمْ
 نَسِيبًا ، وَالْكُمَيْتُ^(٣) أَشْبَهُهُمْ تَشْبِيهًا^(٤) .
 وَأَمَّا بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ : فَأَوَّلُ الْمُحَدِّثِينَ ، وَآخِرُ
 الْمُخَضَّرِمِينَ^(٥) ، وَمِنْ لَحَقَ الدَّوْلَتَيْنِ ، عَاشِقُ سَمْعِ

(١) هو كثير عزة محبوبته التي يقول فيها :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

(٢) النسيب عند الشعراء : وصف محاسن المرأة والتعريض بهواها

(٣) الكميت شاعر مشهور يتشيع لآل البيت ويدافع عنهم بغير مبالاة

ولا رهبة من بني أمية وله ديوان مشهور (٤) التشبيب : مثل النسيب

وقد تقدم (٥) المخضرم : من أدرك الجاهلية والاسلام . وليس منهم بشار

وإنما هو من مخضرمي الدولتين .

وَشَاعِرُ جَمْعٍ . شِعْرُهُ يَنْفَقُ^(١) عِنْدَ رَبَّاتٍ^(٢) الْحِجَالِ ،
وَعِنْدَ مُخَوِّلِ الرِّجَالِ . فَيَمُوتُ يَلِينَ^(٣) حَتَّى يَسْتَعْطِفَ ،
وَيَقْوَى حَتَّى يَسْتَنْكِفَ ، وَقَدْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَكَثُرَ
شِعْرُهُ ، وَطَمَأَ بَحْرُهُ ، وَنَقَّبَ فِي الْبِلَادِ ذِكْرُهُ .

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ : فَمِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ ،
وَمِمَّنْ حَظَى بِالنَّعْمَتَيْنِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْغِنَى بِالصَّلَتَيْنِ ،
وَكَانَ دَرَبَ^(٤) الْمَعُولِ^(٥) ذَرَبَ^(٦) الْمِقُولِ^(٧) ، وَالِدَ
شُعَرَاءِ ، وَمُنْجِبَ فُصَحَاءِ .

(١) ينفق : يروج (٢) ربات : صاحبات

(٣) وذلك كقوله « وهو مما يتغنى به »

خفنى يا عبد عنى واعلمى أننى يا عبد من لحم ودم
إن فى بردى جسماً ناحلاً لو توكأت عليه لانهدم

(٤) درب : لسن (٥) المعول : آلة الهدم (٦) ذرب : حاد

(٧) المقول : آلة القول : أعنى اللسان

وَأَمَّا أَبُو نُوَّاسٍ . فَأَوَّلُ النَّاسِ فِي خَرَمِ الْقِيَّاسِ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَ السَّيْرَةَ الْأُولَى . وَنَكَبَ ^(١) عَنْ
الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ، وَجَعَلَ الْجَدَّ هَزْلًا ، وَالصَّعْبَ سَهْلًا ،
فَهَلَّلَ ^(٢) الْمُسَرَّدَ ^(٣) ، وَبَلَّلَ ^(٤) الْمُنْضَدَ ^(٥) ، وَخَلَخَلَ ^(٦)
الْمُنْجَدَ ^(٧) ، وَتَرَكَ الدَّعَائِمَ ، وَبَنَى عَلَى الطَّامِي ^(٨)
وَالْعَائِمَ ^(٩) ، وَصَادَفَ الْأَفْهَامَ قَدْ نَكَتَ ^(١٠) ، وَأَسْبَابَ
الْعَرَبِيَّةِ قَدْ تَخَلَخَلَتْ ^(١١) ، وَانْحَلَّتْ ، وَالْفَصَاحَاتِ الصَّحِيحَةِ
قَدْ سُمِّتْ وَمُلَّتْ . فَتَالَ النَّاسُ إِلَى مَا عَرَفُوهُ ،
وَعَلِقَتْ نَفُوسُهُمْ بِمَا أَلْفُوهُ ، فَتَهَادَوْا ^(١٢) شِعْرَهُ ،

(١) نكب : حاد (٢) هلل : سهل (٣) المسرد : الصعب

(٤) بلل : خلط (٥) المنضد : المنظوم (٦) خلخل : نقض

(٧) المنجد : المحيط المهيأ (٨) الطامي : البحر الممتلئ (٩) العائم :

الساج (١٠) نكت : جبت ونكصت (١١) تخلخلت : ضعفت ووهت

(١٢) تهادوا : أهدي بعضهم إلى بعض من شعره

وَأَغْلَوْا سِعْرَهُ ، وَشَغِفُوا ^(١) بِأَسْخَفِهِ ^(٢) ، وَكَلَفُوا بِأَضْعَفِهِ ،
وَكَانَ سَاعِدُهُ أَقْوَى ، وَسِرَاجُهُ أَضْوَا ^(٣) ، لَكِنَّهُ
عَرَضَ الْأَنْفَقَ ^(٤) ، وَأَهْدَى الْأَوْفَقَ ، وَخَالَفَ فَشْهْرَ
وَعُرْفَ ، وَأَغْرَبَ فَذُكْرَ وَاسْتُظْرَفَ ، وَالْعَوَامُّ تَخْتَارُ
هَذِهِ الْأَعْلَاقَ ^(٥) ، وَأَسْوَاقُهُمْ أَوْسَعُ الْأَسْوَاقِ ،
فَشِعْرُ أَبِي نُوَّاسٍ ، نَافِقٌ ^(٦) عِنْدَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ،
كَاسِدٌ عِنْدَ أَنْقَدِ النَّاسِ ، وَقَدْ فَطِنَ إِلَى اسْتِضْعَافِهِ
وَخَافَ مِنْ اسْتِخْفَافِهِ ، فَاسْتَدْرَكَ ^(٧) بِفَصِيحِ طَرْدِهِ ،
طَرَفِي حَدَّ اللِّسَانِ وَحُدُودِهِ ، وَهُوَ مَجْدُودٌ ^(٨) فِي كَثْرَةِ

(١) شغفوا : أولعوا وتعلقوا (٢) بأسخفه : بأضعفه وأرذله يريد
الغزل في المذكر فانه أول من فتح هذا الباب (٣) أضوا : أشد ضوءاً
(٤) الأنفق : الرائج (٥) الأعلاق : النفائس (٦) نافق : رائج
(٧) يريد أراجيز أبي نواس وطردياته . وهي من أمتن الشعر .
(٨) مجدود : ذو حظ وبخت

التَّظَاهِرُ ، عَلَى مَنْ غَضَّ مِنْهُ بِالْحَقِّ الظَّاهِرِ ، لَيْسَ
 إِلَّا لِيَخْفَةَ رُوحَ الْمُجُونِ ^(١) ، وَسُهُوْلَةَ الْكَلَامِ الضَّعِيفِ
 الْمَلْحُونِ ^(٢) عَلَى جُمْهُورِ الْعَوَامِّ ، لَا عَلَى خَوَاصِّ الْأَنَامِ ^(٣)
 وَأَمَّا صَرِيحٌ : فَكَلَامُهُ مُرْصَعٌ ^(٤) ، وَنِظَامُهُ
 مُصَنَّعٌ ^(٥) ، وَجُمْلَةُ شِعْرِهِ صَحِيحَةُ الْأُصُولِ ، مُصَنَّعَةٌ
 الْفُصُولِ ، قَلِيلَةُ الْفُضُولِ ^(٦) .

وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ ، فَمُعْتَزِلٌ بِهَوَاهُ ،
 وَبِمُعْزِلٍ عَمَّا سِوَاهُ ، رَفَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ ،
 وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ هَوَاهُ مِنَ النَّسَاءِ ، قَدْ رَقَّقَ
 الشَّغْفُ كَلَامَهُ ، وَثَقَّفَتْ قُوَّةُ الطَّبْعِ نِظَامَهُ ،
 فَلَهُ رِقَّةُ الْعُشَّاقِ ، وَجَوْدَةُ الْخُذَّاقِ .

(١) المجنون : الدعاية والفكاهة والنزح (٢) الملحون : الخارج على
 قوانين العربية (٣) الأنام : الجن والانس (٤) مرصع : منظم منسق
 (٥) مصنع : محسن فيه دقة (٦) الفضول : الزيادة

وَأَمَّا دِعْبِلٌ : فَدِيدٌ^(١) مُقْبِلٌ^(٢) ، الْيَوْمَ مَدَحٌ ،
وَعَدًا قَدَحٌ ، يُجِيدُ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ ، وَيُسِيءُ فِي
الْخَلِيقَتَيْنِ^(٣) ، وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي الْعَصَبِيَّةِ ، وَكَانَ شَاعِرَ
عُلَمَاءَ ، وَعَالِمَ شُعَرَاءَ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : فَرَشِيقٌ^(٤) الْفَهْمِ ، رَاشِقٌ^(٥)
السَّهْمِ ، اسْتَوْصَلَ^(٦) شِعْرَهُ الشُّرَفَاءَ ، وَنَادَمَ^(٧) الْخُلَفَاءَ
وَلَهُ فِي الْغَزَلِ الرَّصَافِيَّةُ^(٨) ، وَفِي الْعِتَابِ الدَّالِيَّةُ ،
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ سِوَاهُمَا ، لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ بِهِمَا .

(١) مديد : طويل (٢) مقبل : بأحدى عينيه قبل . وهو ميل
حدقة العين على الأخرى (٣) الخليقتين : يريد المدح والذم
(٤) رشيق : حسن (٥) راشق السهم : مصيبه (٦) استوصل :
طلب الصلات والجوائز بشعره فنالها (٧) نادى الرجل صاحبه : جالسه على
الشراب وسامره (٨) الرصافية التي مطلعها
عيون المها بين الرصافة والجسر
جلين الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وَأَمَّا الطَّائِيُّ حَيِّبٌ ، فَمَتَكَلَّفٌ ^(١) إِلَّا أَنَّهُ
يُصِيبُ ، وَمُتَعَبٌ لَكِنْ لَهُ مِنَ الرَّاحَةِ نَصِيبٌ ^(٢) ،
وَشُغْلُهُ الْمُطَابَقَةُ ^(٣) وَالتَّجْنِيسُ ، حَبْذٌ ^(٤) ذَلِكَ أَوْ
يُسُّ ^(٥) ، جَزَلٌ ^(٦) الْمَعَانِي ، مَرْصُوصٌ الْمَعَانِي ^(٧) ،
مَدْحُهُ وَرِثَاؤُهُ ، لَا غَزْلُهُ وَهَجَاؤُهُ ، طَرَفًا تَقْيِيزٌ ،
وَخَطْبًا سَمَاءٌ وَحَضِيضٌ ، وَفِي شِعْرِهِ عِلْمٌ جَمٌّ ^(٨)
مِنَ النَّسَبِ ، وَجُمْلَةٌ وَافِرَةٌ مِنْ أَيَّامٍ ^(٩) الْعَرَبِ ،
وَطَارَتْ لَهُ أَمْثَالٌ ، وَحُفِظَتْ لَهُ أَقْوَالٌ ، وَدِيَوَانُهُ

(١) متكلف : متجشم ومتحمل له على مشقة (٢) النصيب : الحظ

(٣) المطابقة والتجنيس : نوعان من المحسنات البديعية

(٤) حبذ : مدح . من قولهم حبذا (٥) يس : ذم . من

قولهم بئس (٦) جزل المعاني : فصيحها ومتينها (٧) المعاني :

جمع مغنى . وهو المنزل . أو ما يتغنى به من الكلام .

(٨) جم : كثير (٩) أيام : وقائع العرب مجاز من إطلاق الزمان

وارادة الحال فيه

مَقْرُوءٌ ، وَشِعْرُهُ مَثْلُوهٌ ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : أَمَّا
صِفَتُهُ هَذِهِ لِأَبِي تَمَّامٍ . فَنَصَفَهُ ^(١) لَمْ يَشْنِ ^(٢) عِظْفَهَا
حِمِيَةً ^(٣) ، وَلَا تَعَلَّقَتْ بِذَيْلِهَا عَصَبِيَّةً ، حَتَّى لَوْ
سَمِعَهَا حَبِيبٌ لَاتَّخَذَهَا قِبَلَةً ^(٤) ، وَاعْتَمَدَهَا مِلَّةً ^(٥) ،
فَمَا لَامَ ^(٦) مِنْ أَدَبٍ وَإِنْ أَوْجَعَ ^(٧) ، وَلَا سَبَّ ^(٨)
مِنْ صِدْقٍ وَإِنْ أَقْدَعَ ^(٩) . وَأَمَّا الْبُحْثَرِيُّ : فَلَفَظُهُ
مَاءٌ ثَجَّاجٌ ^(١٠) ، وَدُرٌّ رَجْرَاجٌ ، وَمَعْنَاهُ سِرَاجٌ وَهَّاجٌ
عَلَى أَهْدَى مِنْهَاجٍ ، يَسْبِقُهُ شِعْرُهُ ، إِلَى مَا يَحِيشُ بِهِ
صَدْرُهُ ، يُسَرُّ مُرَادٍ : وَلَيْنُ قِيَادٍ ، إِنْ شَرِبْتَهُ

(١) فنصفه : إنصاف وعدل (٢) يشن : يضعف (٣) حمية :

قوة وشجاعة (٤) القبلة ما يستقبل من كل شيء (٥) الملة : الشريعة
أو الدين (٦) لام : وبخ . والمراد فما لومه أى وبخه أحد

(٧) أوجع : آلم (٨) سب : شتم . وانفراد ما شتمه أحد على صدق

(٩) القذع : الفحش والتجريح (١٠) الثجاج : شديد الانصباب

أَرْوَاكَ ، وَإِنْ قَدَحْتَهُ^(١) أَوْرَاكَ^(٢) ، طَبَعٌ لَا تَكَفُّ
يُعِيهِ^(٣) ، وَلَا الْعِنَادُ يَثْنِيهِ^(٤) ، لَا يُمَلُّ كَثِيرُهُ ،
وَلَا يُسْتَكْفُ^(٥) غَزِيرُهُ ، لَمْ يَهْفُ^(٦) أَيَّامَ الْحَلَمِ^(٧)
وَلَمْ يَصِفْ^(٨) زَمَنَ الْهَرَمِ .

وَأَمَّا ابْنُ الْمُعْتَزِّ : فَمَلِكُ النَّظَامِ ، كَمَا هُوَ مَلِكُ
الْأَنَامِ ، لَهُ التَّشْبِيهَاتُ الْمُثَلِّيَّةُ ، وَالِإِسْتِعَارَاتُ
الشَّكْلِيَّةُ ، وَالِإِشَارَاتُ السَّحَرِيَّةُ ، وَالْعِبَارَاتُ

(١) قدح بالزند على القداح : ضرب به على القداح (٢) أوراك :
أضواء لك (٣) يعيه : أعياه التكلف والمشى أتعبه . وعي عن الكلام حصر
لقى الأمير احمد بن سهل أبا زيد البلخي في طريق وقد أجهد السبر فقال له
الأمير « عيت » أيها الشيخ فقال أبو زيد نعم « أعيت أيها الأمير » فنبهه
أنه لحن في قوله عيت إذ المي في الكلام والامعاء في المشى ونحوه مما
يكسب نصباً (٤) يثنيه : يضعفه (٥) يستكف : يشق ويمج

(٦) يهف : يزل قدمه (٧) الحلم : الصبا والشباب

(٨) لم يصف : لم يخل من شائبة

الْمَجْرِيَّةُ^(١) ، وَالتَّصَارِيفُ الصُّنُوفِيَّةُ ، وَالطَّرَائِقُ^(٢)
 الْفُنُونِيَّةُ ، وَالِافْتِخَارَاتُ الْمُلُوكِيَّةُ ، وَالْهِمَمَاتُ الْعُلُويَّةُ ،
 وَالْغَزَلُ^(٣) الرَّائِقُ^(٤) ، وَالْعِتَابُ الشَّائِقُ^(٥) ، وَوَصْفُ
 الْحُسْنِ الْفَائِقِ^(٦) .

وَحَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا

وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

وَأَمَّا ابْنُ الرُّومِيِّ : فَشَجَرَةُ الْإِخْتِرَاعِ ، وَثَمَرَةُ
 الْإِبْتِدَاعِ ، وَلَهُ فِي الْهِجَاءِ ، مَا لَيْسَ لَهُ فِي الْأِطْرَاءِ^(٧) ،
 فَتَحَ فِيهِ أَبْوَابًا ، وَوَصَلَ مِنْهُ أَسْبَابًا ، وَخَلَعَ مِنْهُ

(١) المجرية : كثيرة الجرى على الألسن (٢) الطرائق : جمع طريقة

وهي الحالة والمسلك والمذهب (٣) الغزل : محادثة النساء واللهو معهن

(٤) الرائق : الصافي الذي لا يشوبه دنس (٥) الشائق : اسم فاعل

من شاق يقال : شاق الحب زيداً إلى فلان حاج شوقه . فهو شائق ومشوق

(٦) الفائق : الجيد الخالص في نوعه (٧) الاطراء : المدح

أَثْوَابًا ، وَطَوَّقَ فِيهِ رِقَابًا يَبْقَيْنَ أَعْمَارًا وَأَحْقَابًا ،
يَطُولُ عَلَيْهَا حِسَابُهُ ، وَيُمَحِّقُ بِهَا ثَوَابَهُ ، وَاقْدَرُ كَانَ
وَاسِعَ الْعَطَنِ ^(١) ، لَطِيفَ الْفِطَنِ ^(٢) ، إِلَّا أَنَّ الْغَالِبَ
عَلَيْهِ ضَعْفُ الْمَرِيرَةِ ^(٣) ، وَقُوَّةُ الْمَرَةِ ^(٤) .

وَأَمَّا كُشَاجِمُ : فَحَكِيمٌ شَاعِرٌ ، وَكَاتِبٌ مَاهِرٌ
لَهُ فِي التَّشْبِيهَاتِ غَرَائِبُ ، وَفِي التَّأْلِيفَاتِ عَجَائِبُ ،
يُجِيدُ الْوَصْفَ وَيُحَقِّقُهُ ، وَيَسْبُكُ الْمَعْنَى فَيَرْقِّقُهُ
وَيَرْوِّقُهُ ^(٥) .

وَأَمَّا الصَّنَوْبَرِيُّ : فَفَصِيحُ الْكَلَامِ غَرِيبُهُ ،

(١) العطن : مصدر . وهو مبرك الأبل حول الخوض . ومريض الغنم
حول الماء . والجمع أعطان (٢) الفطن جمع فطنة : وهى الذكاء وسرعة
الفهم (٣) المريرة : الحبل الشد القتل (٤) المرة : مزاج من أمزجة
البدن إذا مرض به امرؤ كان غير متزن الفكر (٥) يروقه : يصفيه

مَلِيحُ التَّشْبِيهِ عَجِيبُهُ . مُسْتَعْمِلٌ لِسَوَاذِ الْقَوَافِي ،
يَغْسِلُ كُدْرَتَهَا بِمِيَاهِ فَهْمِهِ الصَّوَافِي . فَتَجَلُّوْ^(١)
وَتَدِقْ^(٢) ، وَتَعَذُّبُ وَتَرْقُ ، وَهُوَ وَحِيدُ جِنْسِهِ ،
فِي صِفَةِ الْأَزْهَارِ ، وَأَنْوَاعِ الْأَنْوَارِ ، وَكَانَ فِي بَعْضِ
أَشْعَارِهِ يَتَخَالَعُ^(٣) ، وَفِي بَعْضِهَا يَتَشَاجَعُ ، وَقَدْ مَدَحَ
وَهَجًا ، وَنَثَرَ وَشَجَا ، وَأَعْجَبَ شِعْرُهُ وَأَطْرَبَ ،
وَشَرَّقَ وَغَرَّبَ ، وَمَدَحَ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ أَمِيرَ الزَّابِ ،
جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ مُنْفِقَ^(٤) سُوْقِ الْأَدَابِ ، فَوَصَّلَهُ
بِأَلْفِ دِينَارٍ ، بَعَثَهَا إِلَيْهِ مَعَ ثِقَاتِ التُّجَّارِ .
وَأَمَّا الْخُبْرُ أَرْزَى : فَخَلِيعُ الشَّعْرِ مَا جَنَّهُ^(٥) ، رَائِقُ

(١) فتجلو : تصفو وتتضح (٢) تدق : تزداد جلاء

(٣) فيه مجون . وهو الهزل (٤) منفق : مروج (٥) الما جن :

المازح والهازل ومن لا يبالي ما صنع وما قيل له . والجمع مجان

اللفظ بآئنه كثيرة محاسنه ، صحيحة أصوله ومعادنه ،
رائقة البرة^(١) ، مائلة إلى العزة^(٢) ، تسليه^(٣)
عن الحب الخيانة ، ويروقه^(٤) الوفاء^(٥) والصيانة^(٦) ،
وله على خشونة خلقه ، وصعوبة خلقه ، اختراعات
لطيفة ، وابتداعات ظريفة ، في الفاظ كثيفة ،
وفصول قليلة الفضول نظيفة ، حتى إن بعض كبراء
الشعراء ، اهتمم أشياء من مبانیه ، واهتضم^(٧)
طرفاً من معانيه ، وهو من معاصريه ، فقل من
فطن لمراميه^(٨) .

(١) البرة : الهيئة والشارة واللبسة (٢) العزة : مصدر . واسم
بمعنى القوة والغلبة في المعازة (٣) تسليه : تنسيه (٤) يروقه : يعجبه
(٥) الوفاء : عدم الأخلاف (٦) الصيانة : الحفظ (٧) اهتمم :
انتقص وحذف (٨) المرامي : جمع رمى . وهو المقصد

وَأَمَّا أَبُو فِرَاسِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَفَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ ،
 إِنَّ شِدَّتَ ضَرْبًا وَطَعْنًا ، أَوْ لَفْظًا وَمَعْنَى ، مَلَكَ زَمَانًا ،
 وَمَلَكَ أَوَانًا ، وَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ فِي الْمَمْلَكَةِ ،
 وَأَشْعَرَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَمْلَكَةِ ^(١) ، وَلَهُ الْفَخْرِيَّاتُ ^(٢)
 الَّتِي لَا تُعَارِضُ ، وَالْأَسْرِيَّاتُ ^(٣) الَّتِي لَا تُنَاقِضُ .

وَأَمَّا الْمُتَنَبِّي : فَقَدْ شَغِلَتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، وَسَهَرَتْ
 فِي أَشْعَارِهِ الْعُيُونُ الْأَعْيُنُ ^(٤) ، وَكَثُرَ النَّاسُ لِشِعْرِهِ ،
 وَالْآخِذُ لِذِكْرِهِ ، وَالْغَائِصُ فِي بَحْرِهِ ، وَالْمُفْتَشُّ فِي
 قَعْرِهِ عَنْ جَمَانِهِ ^(٥) وَدُرِّهِ ، وَقَدْ طَالَ فِيهِ الْخُلْفُ ،

(١) الْمَمْلَكَةُ بكسر الميم : الملك (٢) الْفَخْرِيَّاتُ : القصائد التي

قَالَهَا فِي الْفَخْرِ (٣) الْأَسْرِيَّاتُ : أَيْ الْقَصَائِدُ الَّتِي قِيلَتْ فِي الْأَسْرِ

(٤) الْأَعْيُنُ : الْوَاسِعَةُ (٥) الْجَمَانُ : الدَّرُّ وَهُوَ اسْمُ جَنْسٍ

وَاحِدُهُ جَمَانَةٌ

وَكَثُرَ عَنْهُ الْكَشْفُ ، وَلَهُ شِيعَةٌ تَغْلُو^(١) فِي مَدْحِهِ ،
وَعَلَيْهِ خَوَارِجُ تَتَعَايَا^(٢) فِي حَرْحِهِ ، وَالَّذِي أَقُولُ :
إِنَّ لَهُ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ، وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ عَدَدًا ،
وَأَقْوَى مَدَدًا^(٣) ، وَغَرَائِبُهُ طَائِرَةٌ ، وَأَمْثَالُهُ سَائِرَةٌ^(٤) ،
وَعِلْمُهُ فَسِيحٌ^(٥) ، وَمِيزُهُ^(٦) صَحِيحٌ ، يَرُومُ^(٧) فَيَقْدِرُ ،
وَيَذَرِي مَا يُورِدُ^(٨) وَيُصْدِرُ^(٩) .

قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : هَذَا مَا عِنْدِي فِي شُعْرَاءِ
الْمَشْرِقِ ، وَقَدْ سَمَّيْتُ لِي مِنْ مُتَأَخَّرِي شُعْرَاءِ الْمَغْرِبِ ،
مَنْ لَعَمْرِي لَا يَبْعُدُ عَنْ مُعَاصِرِهِمْ ، وَلَا يَقْصُرُ
عَنْ سَابِقِهِمْ .

(١) تغلو : تسرف (٢) تتعايا : تعجز (٣) اندد : الزيادة

(٤) سائرة : من سار المثل : إذا انتشر وداع في مختلف الأقطار .

ويقال : أسير من مثل . (٥) فسيح : واسع (٦) الميز : اسم بمعنى

التمييز : وهو قوة في الدماغ يستنبط بها المعاني (٧) يروم : يريد

(٨) يورد : يرد عليه (٩) يصدر : يخرج منه

فَأَمَّا ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ : وَإِنْ بَعُدَتْ عَنْكَ
 دِيَارُهُ ، فَقَدْ صَاقَبْتَنَا ^(١) أَشْعَارُهُ ، وَوَقَفْنَا عَلَى أَشْعَارِ
 صَبُوتِهِ ^(٢) الْأَنْيَقَةِ ^(٣) ، وَتَكْفِيرَاتِ تَوْبَتِهِ الصَّدُوقَةِ ،
 وَمَدَائِحِ الْمَرْوَانِيَّةِ ، وَمَطَاعِنِهِ فِي الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَهُوَ
 فِي كُلِّ ذَلِكَ فَارِسٌ مُمَارِسٌ ^(٤) ، وَطَاعِنٌ مُدَاعِسٌ ^(٥) ،
 وَأُطْلَعْنَا فِي شِعْرِهِ عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ ، وَمَادَّةٍ فَهْمٌ مُضِيءٌ
 نَاصِعٌ ^(٦) ، وَمِنْ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ نَظَمَ عِقْدَهُ ، وَتَرَكَهُ
 لِمَنْ يَتَجَمَّلُ بِهِ بَعْدَهُ .

(١) صاقبتنا : قاربتنا وواجهتنا (٢) الصبوة : جهلة الفتوة
 يريد : ما قاله في ميعة صباه من غزل ونسيج . ويريد بقوله من تكفيرات
 توبته الخ ما عارض به من قصائده الأولى من ندم وتوبة . ويقال لها المحصنات
 (٣) الأنيقة مؤنث الأنيق : وهو الحسن المعجب (٤) الممارس :
 الشديد المحرب للأمر (٥) مداعس : قوى شديد (٦) الناصع :
 الخالص الصافي من الألوان . وأكثر ما يقال في الأبيض

وَأَمَّا ابْنُ هَانِيٍّ مُحَمَّدٌ : الْأَنْدَلُسِيُّ وَلَادَةً ،
 الْقَيْرَوَانِيُّ وَفَادَةً وَإِفَادَةً ، فَرَعْدِيٌّ ^(١) الْكَلَامِ ،
 سَرْدِيٌّ ^(٢) النَّظَامِ ^(٣) ، مَتِينٌ ^(٤) الْمَبَانِي ^(٥) ، غَيْرُ
 مَكِينٍ ^(٦) الْمَعَانِي ، يَجْفُو ^(٧) بِعَطْنِهَا ^(٨) عَنِ الْأَوْهَامِ ^(٩) ،
 حَتَّى تَسْكُونَ كَنْقُطَةً ^(١٠) النَّظَامِ ^(١١) ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا
 ظَهَرَتْ مَعَانِيهِ ، فِي جَزَالَةِ مَبَانِيهِ ، رَمَى عَنْ
 مَنْجَنِيْقٍ ^(١٢) ، يُؤَثِّرُ فِي النِّيْقِ ^(١٣) ، وَلَهُ غَزَلٌ

(١) رعدى الكلام : كثيره (٢) سردى : متتابع (٣) النظام
 الكثير النظم (٤) متين قوى (٥) المبانى : التراكيب (٦) المكين :
 المتين والقوى الراسخ . والجمع مكناء (٧) يجفو : يبعد (٨) العطن :
 مبرك الأبل حول الحوض . ومريض الغنم حول الماء (٩) الأوهام جمع
 وهم : وهو ما يقع فى الذهن من الخواطر . ويجمع كذلك على وهوم وهوم
 (١٠) الذمطة : علامة شبه كرة صغيرة توضع تمييزاً للحرف والجمع
 نقط وتقاط (١١) النظام : ملاك الامر وقوامه ويجمع على نظم وأنظمة .
 وأنابيب (١٢) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة (١٣) النيق : الطويل
 من الجبل . ويجمع على أنياق . ونيوق . ونياق

قَفَرِي^(١) ، لَا عُذْرِي ، لَا يَقْنَعُ فِيهِ بِالطَّيْفِ^(٢) ،
وَلَا يَشْفَعُ فِيهِ بِغَيْرِ السَّيْفِ ، وَقَدْ نَوَّهَ بِهِ مَلِكُ
الزَّابِ^(٣) ، وَعَظَّمَ شَانَهُ بِأَجْزَلِ الثَّوَابِ ، وَكَانَ
سَيْفَ دَوْلَتِهِ ، فِي إِعْلَاءِ مَنْزِلَتِهِ ، مِنْ رَجُلٍ
يَسْتَعِينُ عَلَى صَلَاحِ دُنْيَاهُ ، بِفَسَادِ أُخْرَاهُ ، لِرَدَاءَةِ
عَقْلِهِ وَرِقَّةِ دِينِهِ ، وَضَعْفِ يَقِينِهِ^(٤) ، وَلَوْ عَقَلَ لَمْ
تَضِقْ عَلَيْهِ مَعَانِي الشَّعْرِ ، حَتَّى يَسْتَعِينَ عَلَيْهَا
بِالْكَفْرِ^(٥) .

وَأَمَّا الْقَسْطَلِيُّ : فَشَاعِرٌ مَاهِرٌ ، عَالِمٌ بِمَا يَقُولُ ،

(١) القفر : المكان الخالي من الناس (٢) الطيف : الخيال

(٣) هو أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان أمير الزاب قتل سنة

٣٦٤ هـ قتله الأمير الصنهاجي صاحب القيروان (٤) اليقين : الأيمان

(٥) كقوله في مطلع قصيدة يمدح فيها المعز الفاطمي :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

تَشْهَدُ لَهُ الْعُقُولُ ، بِأَنَّهُ الْمُؤَخَّرُ بِالْعَصْرِ ، الْمُقَدَّمُ
فِي الشَّعْرِ ، حَازِقٌ^(١) بَوَضِعِ الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ ،
لَا سِيَّامًا إِذَا ذَكَرَ مَا أَصَابَهُ فِي الْفِتْنَةِ ، وَشَكَا
مَا دَهَاهُ فِي أَيَّامِ الْمِحْنَةِ^(٢) ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَشْعَرُ
أَهْلِ مَغْرِبِهِ ، فِي أَبْعَدِ الزَّمَانِ وَأَقْرَبِهِ .

وَأَمَّا عَلَى التُّونِسِيِّ : فَشِعْرُهُ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ ،
وَلَفْظُهُ اللَّوْلُو الرُّطْبُ^(٣) ، وَهُوَ بِحَثَرِي الْغَرْبِ ،
يَصِفُ الْحَمَامَ ، فَيَرُوقُ الْأَنَامَ ، وَيُشَبِّبُ^(٤) ، فَيُعْشِقُ
وَيُحِبُّ ، وَيَمْدَحُ فَيَمْنَحُ^(٥) ، أَكْثَرُ مَا يُمْنَحُ^(٦) .

هَذَا مَا عِنْدِي فِي الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، عَلَى

(١) الحاذق : الماهر (٢) المحنة : الشدة

(٣) الرطب : الذي (٤) يشبب : يذكر محاسن النساء

(٥) يمنح : يعطي (٦) يمنح : يأخذ

اِحْتِقَارِ الْمُعَاَصِرِ ، وَاسْتِصْغَارِ الْمُجَاوِرِ . فَحَاشَ لِلَّهِ
 مِنَ الْأَوْصَافِ بِقِلَّةِ الْإِنْصَافِ ، لِلْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ،
 وَالْعَدُوِّ وَالْحَبِيبِ ، قُلْتُ : يَا أَبَا الرَّيَّانِ ، أَكْثَرَ
 اللَّهُ مِثْلَكَ فِي الْإِخْوَانِ ، وَوَقَّاكَ مَحْذُورَ^(١) الزَّمَانِ ،
 وَمُرُورَ الْحَدَثَانِ^(٢) ، فَلَقَدْ سُبِكَتَ^(٣) فَهْمًا ،
 وَحُشِيتَ^(٤) عِلْمًا .

قَالَ مُحَمَّدٌ : قُلْتُ لِأَبِي الرَّيَّانِ فِي مَجْلِسٍ
 عَقِيبَ هَذَا الْمَجْلِسِ : يَا أَبَا الرَّيَّانِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ
 لَكَ تَقْدًا مُصِيبًا ، وَمَرَمًى عَجِيبًا ، وَلَقَدْ أَرُغِبُ فِي
 أَنْ أُنَالَ مِنْهُ نَصِيبًا قَالَ : النِّقْدُ هِبَةُ الْمَوَالِدِ ، وَفِيهِ

(١) المحذور : ما يحترز منه . والمكروه (٢) الحدَثَانِ من
 الدهر : نوبته . والحدَثَانِ من الدهر : نوابه (٣) سبكت : بلغت
 مكانًا عاليًا في الفهم حتى صرت كالسبيكة (٤) حشيت : ملئت

زِيَادَةُ طَارِفٍ^(١) إِلَى تَالِدٍ^(٢) ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُلَمَاءَ
 بِالشُّعْرِ ، وَرُؤَاةَ لَهُ ، لَيْسَ لَهُمْ نَفَادٌ فِي تَقْدِهِ ،
 وَلَا جَوْدَةٌ فِيهِمْ فِي رَدِّيهِ وَجَيِّدِهِ ، وَكَثِيرًا مِمَّنْ لَا عِلْمَ
 لَهُ ، يَفْطِنُ إِلَى غَوَامِضِهِ ، وَإِلَى مُسْتَقِيمِهِ وَمُتَنَاقِضِهِ
 قُلْتُ : أَنَا شَدِيدُ الرَّغْبَةِ إِلَى فَضْلِكَ فِي أَنْ تُسَهِّمَنِي^(٣)
 مِنْ مِّزْرِكَ وَعَقْلِكَ ، مَا أَسْتَهْدِي بِسِرَاجِهِ ، عَلَى
 مُسْتَقِيمٍ مِنْهَاجِهِ ، فَأَقِفَ مِنْ سَرَائِرِهِ^(٤) عَلَى بَعْضِ
 مَا وَقَفْتَ ، وَأَعْرِفَ مِنْ مَفَاخِرِهِ وَمَعَانِيهِ جُزْءًا مِمَّا
 عَرَفْتُ . قَالَ : نَعَمْ . أَوَّلُ مَا عَلَيْهِ تَعْتَمِدُ ، وَإِيَّاهُ

(١) الطارف : الحديث المستفاد (٢) التاليد والتلاد : المال

القديم الأصلي الذي ولد عندك . وهو تقيض الطارف

(٣) تسهمني : تعطيني سهماً (٤) السرائر : جمع سريرة . وهي

ما يكتُم في النفس كالسر . وسريرة الانسان ما أسره أي ما كتمه من أمره

تَعْتَقِدُ ، أَلَّا تَسْتَعَجِلَ بِاسْتِحْسَانٍ^(١) وَلَا بِاسْتِقْبَاحٍ^(٢)
وَلَا بِاسْتِبْرَادٍ^(٣) ، وَلَا بِاسْتِمْلَاحٍ^(٤) ، حَتَّى تُنْعِمَ^(٥)
النَّظَرَ وَتَسْتَخْدِمَ الْفِكَرَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجَلَةَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ مَوْطِئٌ^(٦) زَلُوقٌ^(٧) ، وَمَرْكَبٌ زَهُوقٌ^(٨) ،
فَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ مَا يَمْلَأُ لَفْظُهُ الْمَسَامِعَ ، وَيَرِدُ عَلَى
السَّمَاعِ مِنْهُ قَعَاقِعٌ^(٩) ، فَلَا يَرُعُكَ شِمَاخَةٌ^(١٠) مَبْنَاهُ ،
وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي سُكْنَاهُ مِنْ مَعْنَاهُ ، فَإِنْ كَانَ فِي
الْبَيْتِ سَاكِنٌ ، فَتِلْكَ الْمَحَاسِنُ ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا ،
فَاعْدُدْهُ جِسْمًا بَالِيًا ، وَكَذَلِكَ إِذَا سَمِعْتَ أَلْفَاظًا

-
- (١) باستحسان : ما تعده حسناً (٢) باستقباح : ما تعده قبيحاً
(٣) باستبراد : ما تعده بارداً (٤) باستملاح : ما تعده مليحاً مستظرفاً
(٥) تنعم : تتأمل (٦) موطئ : اسم مكان : جعله وطيئاً
(٧) زلوق : لا يثبت عليه قدم (٨) زهوق : مضمحل
(٩) قعاقع : صوت ليس وراءه فائدة (١٠) شমাخة : علوه

مُسْتَعْمَلَةً ، وَكَلِمَاتٍ مُبْتَدَلَةً ، فَلَا تَعْجَلْ بِاسْتِضَاعِهَا^(١) حَتَّى تَرَى مَا فِي أَضْعَافِهَا^(٢) ، فَكَمْ مِنْ مَعْنَى عَجِيبٍ فِي لَفْظٍ غَيْرِ غَرِيبٍ ، وَالْمَعَانِي هِيَ الْأَرْوَاحُ ، وَالْأَلْفَافُ هِيَ الْأَشْبَاحُ ، فَإِنْ حَسْنَا فَذَلِكَ الْحُظُّ الْمَمْدُوحُ ، وَإِنْ قَبَحَ أَحَدُهُمَا فَلَا يَسْكُنُ الرُّوحُ .

قَالَ : وَتَحْفَظُ^(٣) عَنْ شَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَحْمِلَكَ إِجْلَالُ الْقَدِيمِ الْمَذْكُورِ عَلَى الْعَجَلَةِ ، بِاسْتِحْسَانِ مَا تَسْمَعُ لَهُ ، وَالثَّانِي أَنْ يَحْمِلَكَ إِصْغَارُكَ الْمُعَاصِرَ الْمَشْهُودَ عَلَى التَّهَؤُنِ بِمَا أَنْشَدْتَ لَهُ . فَإِنَّ ذَلِكَ جَوْرٌ^(٤) فِي الْأَحْكَامِ ، وَظُلْمٌ مِنَ الْحُكَامِ ، حَتَّى

(١) باستضاعافها . أي بعدها ضعيفة (٢) أضعافها : أثناء سطورها

(٣) تحفظ : احترز وتصور (٤) الجور : الظلم

تُحَصَّصُ^(١) قَوْلُهُمَا ، فَيُنَيَّدُ تَحْكُمُ لَهَا أَوْ عَلَيْهَا ،
وَهَذَا بَابٌ فِي اغْتِلَاقِهِ اسْتِصْعَابٌ ، وَفِي صَرْفِ
الْعَامَّةِ وَبَعْضِ الْخَاصَّةِ عَنْهُ إِتْعَابٌ ، وَقَدْ وَصَفَ
تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ تَشَبُّثُ^(٢) الْقُلُوبِ بِسِيرَةِ
الْقَدِيمِ ، وَنِفَارَهَا مِنْ الْمُحَدَّثِ الْجَدِيدِ ، فَقَالَ
حَاكِيًا لِقَوْلِهِمْ : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ » .
وَقَالَ : « لَنْ نَعْبُدَ إِلَّا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا » ،
وَقَدْ قُلْتَ أَنْتَ :

أُغْرِيَ^(٣) النَّاسُ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ
وَبِذَمِّ الْجَدِيدِ غَيْرَ ذَمِيمِ

(١) تمحص: تختبر (٢) تشبث: تمسك (٣) أغرى: أولع

لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ حَسَدُوا الْحَىَّ وَرَقُّوا^(١) عَلَى الْعِظَامِ الرَّمِيمِ-

وَقُلْتَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قُلْ لِمَنْ لَا يَرَى الْمُعَاصِرَ شَيْئًا
وَيَرَى لِلْأَوَائِلِ التَّقْدِيمَ
إِنَّ ذَاكَ الْقَدِيمَ كَانَ جَدِيدًا

وَسَيَعْدُو^(٢) هَذَا الْجَدِيدُ قَدِيمًا
فَلَا يَرُعُكَ^(٣) أَنْ تَجْرِيَ عَلَى مِنْهَاجٍ^(٤) الْحَقُّ ،
فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فِيهِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ،
وَبِهِ أَحْكَمَ الْإِبْرَامُ^(٥) وَالنَّقْضُ ، وَسَامَثُ لَكَ

(١) رَقُوا : عطفوا (٢) سيعدو : سيصبح . والغدوة :

أول النهار (٣) يرُعُكَ : يفزعُكَ . فالروعُ : الفزع

(٤) المنهاج : الطريق المستقيم الواضح . ومنه قوله تعالى « لكل جعلنا

منكم شرعة ومنهاجا » (٥) الابرام : الاحكام والتدبير والنقض ضده

التذيل (١٨)

فِي ذَلِكَ مِثَالًا ، وَأَمَلًا أَسْمَاعَكَ مَقَالًا . وَفَهَمَكَ
عَدَلًا وَاعْتِدَالًا .

هَذَا امْرُؤُ الْقَيْسِ أَقْدَمُ الشُّعْرَاءِ عَصْرًا . وَمُقَدِّمُهُمْ
شِعْرًا وَذِكْرًا . وَقَدْ اتَّسَعَتِ الْأَقْوَالُ فِي فَضْلِهِ ،
اتِّسَاعًا لَمْ يَفُزْ غَيْرُهُ بِمِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّ الْعَامَّةَ تَظُنُّ
بَلَّ تَوْقِنُ أَنْ جَوَادَ شِعْرِهِ لَا يَكْبُو^(١) ، وَحُسَامَ نَظْمِهِ
لَا يَنْبُو^(٢) وَهَيْهَاتَ مِنَ الْبَشَرِ الْكَمَالُ . وَمِنْ
الْأَدَمِيِّينَ الْإِسْتِوَاءُ^(٣) وَالِاسْتِدْلَالُ^(٤) . يَقُولُ فِي
قَصِيدَتِهِ الْمَقْدَمَةِ . وَمَعْلَقَتِهِ الْمُفَخَّمَةِ .

(١) لَا يَكْبُو : لَا يَعْثُرُ أَوْ يَسْقُطُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَخْطِئُ

(٢) لَا يَنْبُو : لَا يَنْبُو . (٣) الْإِسْتِوَاءُ : الْإِعْتِدَالُ

(٤) الْإِسْتِدْلَالُ : الْإِسْتِرْشَادُ

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْحُدْرَ ^(١) خِذَرَ عُنَيْرَةٍ

فَقَالَتْ : لَكَ الْوَيْلَاتُ ^(٢) إِنَّكَ مُرْجَلِي ^(٣)

فَمَا كَانَ أَغْنَاهُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهَذَا ، وَمَا أَشَدَّ
غَفْلَتَهُ عَمَّا أَذْرَكَهُ مِنَ الْوَصْمَةِ ^(٤) بِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ
فِيهِ أَعْدَادًا كَثِيرَةً النَّقْصِ وَالْبَخْسِ ^(٥) ، مِنْهَا دُخُولُهُ
مُتَطَفِّلًا عَلَى مَنْ كَرِهَ دُخُولَهُ عَلَيْهِ . وَمِنْهَا قَوْلُ
عُنَيْرَةٍ لَهُ : لَكَ الْوَيْلَاتُ ، وَهِيَ قَوْلَةٌ لَا تُقَالُ
إِلَّا لِحَسِيسٍ ^(٦) ، وَلَا يُقَابَلُ بِهَا رَئِيسٌ . فَإِنْ
اُخْتَجَّ مُخْتَجٌّ بِأَنَّهَا كَانَتْ أَرَأْسَ مِنْهُ . قِيلَ لَهُ :

(١) الحُدْرُ : سترٌ يُمدُّ للجارية في ناحية البيت . وكل ما وارك من
بيت ونحوه . والمراد به الهودَج المعروف (٢) الويلات : جمع ويلة .
وهي الفضيحة وهي جملة دعائية تقال في الدلال للمدعوله لا عليه
(٣) مرجلي : مهلكي (٤) الوصمة : المرة من الوصم . وهي العار
والعيب (٥) البخس : النقص . ومنه قوله تعالى « وشروه بثمن بخس »
أي ناقص (٦) الحسيس : الحفير

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الرَّئِيسَةَ لَا تَرْكَبُ بَعِيرًا
يَدْرُجُ^(١) أَوْ يَمُوتُ ، إِذَا أزدَادَ عَلَيْهِ رُكُوبُ
رَاكِبٍ ، بَلْ هُوَ بَعِيرٌ فَقِيرٌ حَقِيرٌ ، فَإِنْ احْتَجَّ
لَهُ بِأَنَّهُ صَبَرَ عَلَى الْقَوْلِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا مَعْشُوقَةٌ ،
قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ يَكُونُ عَاشِقًا لَهَا ، مَنْ يَقُولُ لَهَا :
فَمَثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ

فَأَلْهَيْتَهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مُحُولٍ
وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ لِلْعَاشِقِ ، الْإِثْرَادُ بِمَعْشُوقَتِهِ ،
وَاطْرَاحُ سِوَاهَا ، كَالْقَيْسَيْنِ فِي لَيْلَى وَلُبْنَى ، وَغَيْلَانَ
بِمَيْةَ ، وَجَمِيلٍ بِبُثَيْنَةَ ، وَسِوَاهُمْ كَثِيرٌ . فَلَمْ يَكُنْ
لَهَا عَاشِقًا ، بَلْ كَانَ فَاسِقًا . ثُمَّ أَهْجَنَ^(٢) هُجْنَةً^(٣)

(١) يدرج : يمشى الهوينى (٢) أهجن : أعيب

(٣) الهجنة : القبح والعيب في الكلام

عَلَيْهِ ، وَأَسْخَنَ^(١) سَخْنَةً^(٢) لِعَيْنَيْهِ ، إِفْرَارُهُ بِإِثْيَانِ
 الْحَبْلِ وَالْمُرْضِيعِ ، فَأَمَّا الْحَبْلُ : فَقَدْ جَبَلَ^(٣) اللَّهُ
 النُّفُوسَ عَلَى الزُّهْدِ^(٤) فِيهَا وَالْإِعْرَاضِ عَنْ شَأْنِهَا .
 مِنْهَا أَنَّ الْحَبْلَ عِلَّةٌ ، وَأَشْبَهُ الْعِلَلِ بِالِاسْتِسْقَاءِ^(٥) ،
 وَمَعَ الْحَبْلِ كَمُودُ^(٦) اللَّوْنِ ، وَسُوءُ الْغِذَاءِ ، وَفَسَادُ
 النَّكْهَةِ^(٧) ، وَسُوءُ الْخُلُقِ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلَا يَمِيلُ
 إِلَى هَذَا مَنْ لَهُ نَفْسُ سَوْقٍ^(٨) دَغَ نَفْسَ مَلِكِيٍّ .
 وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْبَهَائِمَ كُلَّهَا ، لَا تَنْظُرُ
 إِلَى ذَوَاتِ الْحَمْلِ مِنْ أَجْناسِهَا . وَلَا تَقْرُبُ مِنْهَا

(١) أسخن : أحمى (٢) السخنة . والسخنة . والسخنة .
 والسخونة . الحر والحمى . والمراد وأحر دمع لعينه .
 (٣) جبل : طبع (٤) الزهد : الرغبة عن الشيء
 (٥) الاستسقاء : طلب الماء (٦) كمود اللون : تغيره وعدم صفائه
 (٧) فساد النكهة : تغير رائحة الفم (٨) السوقي : أحد الرعية

حَتَّى تَضَعَ أَثْمَالَهَا . أَوْ تَفَارِقَ فُضْلَانَهَا ^(١) . ثُمَّ لَمْ
يَكْفِهِ أَنْ يَذْكُرَ الْحَبْلَى ، حَتَّى افْتَحَرَ بِالْمُرْضِعِ ،
وَفِيهَا مِنَ التَّلْوِثِ بِأَوْضَارٍ ^(٢) رَضِيعَهَا . وَمِنْ
اهْتِرَالِهَا ^(٣) وَاشْتِغَالِهَا ، عَنْ إِحْكَامِ اغْتِسَالِهَا . وَقَدْ
أَخْبَرَ أَنَّ ذَا التَّمَائِمِ الْمُحَوَّلَ ، مُتَعَلِّقٌ بِهَا بِقَوْلِهِ :
فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمِ مُحَوَّلٍ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا ظَنُّ ^(٤)
وَلَدِهَا ، لَا ظَنُّ لَهُ وَلَا مُرْضِعَ سِوَاهَا ، فَدَلَّ بِذَلِكَ ،
عَلَى أَنَّهَا حَقِيرَةٌ وَقِيرَةٌ ^(٥) . وَمِثْلُ هَذِهِ لَا يَصْبُو ^(٦)
إِلَيْهَا مَنْ لَهُ هِمَّةٌ ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا ، تَسْتَقْذِرُهَا

(١) الفصلان : جمع فصيل . وهو ولد الناقة

(٢) أَوْضَار : جمع وضر . والوضر : وسخ اللبن (٣) اهترالها :

ضعفها (٤) الظئر : المرأة المرضعة (٥) الوقيرة : المصابة في عظمها

(٦) لا يصبو : لا يحسن ولا يعيل

نَفْسُ الصُّعْلُوكِ^(١) وَالْمَمْلُوكِ ، وَقَدْ قَالَ أَيْضًا فِي
 مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْبَابِ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى :
 سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
 سُمُوَّ حَبَابٍ^(٢) الْمَاءُ حَالًا عَلَى حَالٍ
 فَقَالَتْ لِحَاكِ^(٣) اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي
 أَلَسْتَ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أُخْوَالِي
 حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حِلْفَةً^(٤) فَاجِرٍ^(٥)
 لَنَأْمُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي^(٦)
 فَأَخْبَرَ هَهُنَا أَنَّهُ هَيِّنُ الْقَدْرِ عِنْدَ النِّسَاءِ ، وَعِنْدَ

(١) الصُّعْلُوكِ : الفقير . والجمع . صعاليك وصعالك

(٢) حباب الماء : نفاخته التي تعلوه . والطل (٣) لحاك الله : قبحك

الله ولعنك (٤) الحلفة : واحدة الحلف . والحلف : القسم واليمين

(٥) الفاجر : المنبعث في المعاصي . ويجمع على فجار وفجرة

(٦) صالى : اسم فاعل من صلا بمعنى اصطلى

نَفْسِهِ بِرِضَاهُ ، قَوْلَهَا : لَحَاكَ اللَّهُ ، فَحَصَلَ عَلَى
لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ ، وَلَكَ الْوَيَلَاتُ مِنْ تِلْكَ ،
فَشَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ ، أَنَّهُ مَكْرُوهٌ مَطْرُودٌ ، غَيْرُ مَرْغُوبٍ
فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَلَا مَحْرُوصٍ عَلَى مُعَاشَرَتِهِ ، وَلَا
مَرْضِيٍّ بِمُشَاكَلَتِهِ . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ رَضِيَ
بِالْحَنْثِ ^(١) وَالْفُجُورِ ^(٢) ، وَهَذِهِ أَخْلَاقُ لَا خَلَاقَ لَهَا .
ثُمَّ أَقَرَّ فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ شِعْرِهِ ، بِمَا يَكْتُمُهُ
الْأَحْرَارُ . وَلَا يَنِمُّ ^(٣) بِفَتْحِهِ إِلَّا الْأَوْضَاعُ ^(٤)
الْأَشْرَارُ فَقَالَ :

(١) الحنث : الائم والذنب . والحلف في اليمين (٢) الفجور :

الانبعاث في المعاصي (٣) نم الحدث منه نماً : سعى به ليوقع فتنة أو

وحشة وبين الناس : ورش وأغرى (٤) الاوضاع : المنحطون .

وَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا^(١) فَثَوْبًا نَسَيْتُ وَثَوْبًا أَجْرُ
 وَأَيُّ فَخْرٍ فِي الْإِقْرَارِ بِالْفَضِيحَةِ عَلَى نَفْسِهِ ،
 وَعَلَى حُبِّهِ ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ يَعْقُوبَ الْخَزِيمِيِّ :
 وَلَا أَسْأَلُ الْوَلَدَانِ عَنْ وَجْهِ جَارَتِي
 بَعِيدًا وَلَا أَرْعَاهُ وَهُوَ قَرِيبُ
 وَإِنَّمَا سَهَّلَ عَلَيْهِ كُلَّ هَذَا ، حِرْصُهُ عَلَى مَا كَانَ
 مَمْنُوعًا مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُبْغِضًا إِلَى النِّسَاءِ جَدًّا
 مَفْرُوكًا^(٢) مِمَّنْ مَلَكَ عُصْبَتَهَا لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ ذِكْرَتْ
 وَكُلُّ مَنْ حَرَصَ عَلَى نَيْلِ شَيْءٍ فَنُفِعَ مِنْهُ فِعْلًا .
 أَدْعَاهُ قَوْلًا . وَلَهُ أَشْبَاهُ فِيمَا أَتَاهُ . يَدْعُونَ مَا أَدْعَاهُ

(١) تسديتها : أقمها . يقال تسدى الثوب : أقام سداً

(٢) المفروك : المكروه الذى أبغضته النساء فهو مكروه ومغضوب عليه

إِفْكَاً^(١) وَزُوراً^(٢) ، وَكَذِباً وَفُجُوراً . مِنْهُمْ الْفَرَزْدَقُ
وَهُوَ الْقَائِلُ :

هَما دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً

كَمَا انْقَضَ بَازُ أَقْتَمِ^(٣) الرِّيشِ كَاسِرُهُ

فَهَذَا أَوَّلُ كِذْبَةٍ ، وَلَوْ قَالَ : مِنْ ثَلَاثِينَ قَامَةً ،
لَكَانَ كَازِباً لِنَقْصِرِ الْأَرْشِيَّةِ^(٤) عَنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ
قَرَّعَهُ^(٥) جَرِيرٌ هَذَا فِي قَوْلِهِ :

تَدَلَّيْتُ تَرْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً

وَقَصَّرْتَ عَنْ بَاعِ الْعَمَلِ وَالْمَكَارِمِ

(١) الإِفْكَ والأفِيكة : الكذب (٢) الزور : الكذب . والباطل .
والشرك بالله . يقال ما له زور ولا صبور : أى لا قوة له ولا مرجع إليه
(٣) أَقْتَم : أسود (٤) الأَرْشِيَّة : جمع رشاء . والرشاء :
حبل الدلو (٥) قَرَّعَهُ : وبخه . فالتقرع : التوبيخ

وَكَانَ مُغْرَمًا بِالزَّيْنَةِ مُدْعِيًا فِيهِ ، وَقَدْ مَلَى بِمَوَانِعَ
تَصَدِّفُهُ^(١) عَنْهُ . مِنْهَا مَا شُهِرَ بِهِ مِنَ النَّيْمَةِ^(٢)
بِمَنْ سَاعَدَهُ . وَالْإِدْعَاءَ عَلَى مَنْ بَاعَدَهُ ، وَمِنْهَا دِمَامَتُهُ^(٣)
وَمِنْهَا اشْتِهَارُهُ . وَالْمَشْهُورُ يَصِلُ إِلَى شَهْوَةٍ تَتَّبِعُهَا
رِيبةٌ^(٤) فَكَانَ يُكْثِرُ فِي شِعْرِهِ مِنْ ادْعَاءِ الزَّيْنَةِ .
وَاسْتِدْعَاءِ النِّسَاءِ وَهُنَّ أَغْلَظُ عَلَيْهِ مِنْ كَبَدٍ بَعِيرٍ .
وَأَبْغَضُ فِيهِ وَأَهْجَى^(٥) لَهُ مِنْ جَرِيرٍ . وَخَذَ اطَّرَفَ
هُوَ لَاءِ الْأَجْنَاسِ . وَهُوَ سَحِيمٌ عَبْدُ بَنِي الْحُسَحَاسِ
أَسْوَدٌ^(٦) فِي شَمَلَةٍ^(٧) . دَلِيسَةٌ^(٨) قِمْلَةٌ^(٩) لَا يُوَاكِلُهُ

- (١) تصدفيه : تصرفه (٢) النيمة : السعي بين الناس بالفساد
(٣) الدمامة : قبح الحلقة (٤) الريبة : الشك (٥) الهجاء :
الوقوع بالشخص وتعدد معاييه شعراً (٦) يريد محقر الاسود اللون
(٧) الشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به (٨) دنسة : وسخة
(٩) القمل : ضرب من الحشرات يعيش على جسم الانسان ويتغذى
بدمه . والواحدة قملة .

الْغَرَثَانُ^(١) ، وَلَا يُصَالِيهِ^(٢) الصَّرْدُ^(٣) الْعُرْيَانُ . وَهُوَ
مَعَ ذَلِكَ يَقُولُ :

وَأَقْبَلَنَ مِنْ أَقْصَى^(٤) الْبُيُوتِ يَعِدُنِي

نَوَاهِدُ^(٥) لَا يَعْرِفَنَّ خَلْقًا سِوَايَا

يَعِدُنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ مَا بِهِ

أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

تُوسِدُنِي كَفًّا وَتَحْنُو بِمَعْصَمٍ^(٦)

عَلَى وَتَرْبِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا

فَأَنْتَ تَسْمَعُ هَذَا الْأَسْوَدَ الشَّنَّ^(٧) وَادِّعَاءَهُ ،

(١) الغرثان : الجائع . والجمع غرائ . وغرثى . وغرثات

(٢) ولا يصاليه : يصطلي منه (٣) الصرد : الضعيف الذى

لا يصبر على البرد (٤) أقصى : أبعد (٥) نواهد : جمع ناهد .

والناهد : المرأة التى تئأ ثديها وتكعب (٦) المعصم : موضع السوار من

الساعد . والجمع معاصم (٧) الشن . والشنة : القربة الخلق الصغيرة

والجمع شنان . والمراد أن جلده تغضن عند الهرم حتى أصبح يشبه الثوب البالى

وَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَوْ أَخْلَى الْأَرْضَ ، فَلَمْ يُبْقِ رَجُلًا فِي
الطُّولِ وَلَا فِي الْعَرْضِ .

لَمْ يَكُنْ هَذَا الزَّئِمَةُ^(١) الزَّيْمَةُ عِنْدَ إِذْرَاكِ
السُّودَانِ إِلَّا كَبَعْرَةٍ^(٢) بَعِيرٍ^(٣) . فِي مَعَرٍ^(٤) عَيْرٍ^(٥) .
وَالْمُنُوعُ مِنَ الشَّيْءِ حَرِيصٌ عَلَيْهِ . مُدَّعٍ فِيهِ .
وَالْمُعَدَّ بِمَا يَهْوَاهُ . كَاتِمٌ لَهُ مُسْتَغْنٍ يُلُوغُ مِنْهُ .
وَدَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُرْقَشَ^(٦) الْأَكْبَرَ ، كَانَ مِنْ
أَجْمَلِ الرِّجَالِ ، وَكَانَتْ لِلنِّسَاءِ فِيهِ رَغْبَةٌ وَشِدَّةُ
مَحَبَّةٍ . وَكَانَ كَثِيرَ الْاجْتِمَاعِ بِهِنَّ . وَالْوُصُولِ

(١) الزئمة والذئمة : العبد (٢) البعرة : واحدة البعر وتجمع على
أبعار . والبعير والبعير . رجب ذوات الحف والظلف (٣) البعير . الجمل .
وقد يراد به الناقة ويجمع على بعران وأبعرة وجمع الجمع أباعر
(٤) المعر . الأرض رعتها الابل (٥) العير . الابل
(٦) المرقش الاكبر : هو عمرو . وقيل عوف بن سعد بن مالك ولقب
بذلك لقوله « رقس في ظهر الاديم قلم »

إِلَيْهِنَّ . وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ مَرْوِيَّةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ
 فِي أَشْعَارِهِ صِفَةٌ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . فَحَسْبُكَ بِذَلِكَ
 صِحَّةٌ عَلَى مَا قُلْنَا . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّمَا وَصَفْتَ
 عَنْ أَمْرِئِ الْقَيْسِ عُيُوبًا مِنْ خُلُقِهِ لَا فِي شَعْرِهِ .
 قُلْنَا : هَلْ أَرَادَ بِمَا وَصَفَ فِي شَعْرِهِ إِلَّا الْفَخْرَ^(١) .
 فَإِنْ قَالَ : لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ إِظْهَارَ عَيْبِهِ ،
 قُلْنَا : فَأُحَقِّقُ^(٢) النَّاسَ إِذَا هُوَ . وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ .
 وَإِنْ قَالَ : نَعَمْ الْفَخْرُ قُلْنَا : فَقَدْ نَطَقَ شَعْرُهُ
 بِقَدْرِ مَا أَرَادَ ، وَتَرْجَمُ^(٣) وَتَرْجَمُ^(٤) عَنْهُ قَرِيضُهُ^(٥)

(١) الفخر : مصدر فخر . يقال فخر الرجل : تمدح بالخصال ، وبأهـ
 بالكمار ، إما فيه أو في آباءه . والفخر : العظم والكبر والشرف والتمدح

(٢) الاحق : القليل العقل (٣) زجم زجماً : نسب . يقال : سكت

فا زجم بحرف : أى ما نطق بحرف (٤) ترجم : فسر

(٥) القرىض : الشعر

بِأَقْبَحِ الْأَوْصَافِ ، فَأَيُّ خَلٍّ ^(١) مِنْ خَلَلِ الشَّعْرِ
 أَشَدُّ مِنْ الْإِنْعَاسِ ^(٢) وَالتَّنَاقُضِ ^(٣) . وَكُلُّ
 مَا يُخْزِي مِنَ الشَّعْرِ ، فَهُوَ مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِهِ . قَالَ :
 وَمِنْ كَلَامِ امْرِئِ الْقَيْسِ الْمُخْلَلِ ^(٤) الْأَرْكَانِ .
 الضَّعِيفِ الْإِسْتِمَكَانِ : الْمُتَزَلِّزِ ^(٥) الْبُنْيَانِ . قَوْلُهُ :
 أَمْرَخَ ^(٦) خِيَامَهُمْ أَمْ عَشَرَ ^(٧)
 أَمْ الْقَلْبُ فِي إِثْرِهِمْ مُنْحَدِرُ

-
- (١) خلل : انفراج ما بين الشيئين (٢) الانعكاس : الانقلاب
 (٣) التناقض : التخالف والتدافع (٤) المخلخل : المتقلقل والمتزعزع
 (٥) المتزلزل : المضطرب . (٦) المرخ : شجر سريع الوري يقتدح
 به . والمرخ بالكسر : الشجر اللين الرقيق . (٧) العشر : شجر فيه
 حراق لم يقتدح الناس في أجود منه . يخرج من زهره وشعبه سكر
 وفيه مرارة .

وَشَاقِذٌ^(١) يَبِينُ الْخَلِيطُ^(٢) الشَّطْرُ

وَمِمَّنْ أَقَامَ مِنَ الْحَيِّ هِرٌّ^(٣)

وَهَرٌّ^(٤) تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَالِ

وَأَفْلَتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرٍو حَجَرٌ

فَأَنْتَ تَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي لَا يَتَنَاسَبُ .

وَلَا يَتَوَاصَلُ وَلَا يَتَقَارَبُ ، وَلَا يَحْتَمِلُ مِنْهُ مَعْنَى

وَلَا فَائِدَةٌ ، سِوَى أَنَّ السَّامِعَ يَذَرِي أَنَّهُ يَذْكُرُ

فُرْقَةً مِنْ أَحْبَابٍ ، لَيْكِنَ ذَلِكَ عَنْ تَرْجَمَةٍ مُعْجَمَةٍ .

مُضْطَرِبَةٍ مُنْقَلِبَةٍ . سَأَلَ عَنِ الْخِيَامِ ، أَمْرَخُ هِيَ

(١) الشاقذ : البعيد والنائي (٢) الخليط : الزوج والمساكن
والخالط والمعاشر ولب مخلوط مجاوز . وخليط من الناس أوباش فخلطون .

والجمع خلط . وخطاء . ومن قوله تعالى (وان كثيراً من الخطاء)

(٣) الهر : سيء الخلق . (٤) وهر : أى وامرأة . على التشبيه

بالهرة فى حبها لأولادها . فهى كذلك تحب الرجال وتصيد قلوبهم

أَمْ عَشْرٌ ، وَلَيْسَتْ إِنْخِيَامٌ مَرَّخًا وَلَا عُشْرًا ، وَإِنَّمَا
هُمَا عُودَانِ . فَإِنْ أَرَادَ فِي مَكَانٍ هَذَيْنِ إِنْخِيَامٌ ،
فَقَدْ نَقَضَ عُمْدَةَ الْكَلَامِ ، لِأَنَّ مَرَّخَهُ وَعُشْرَهُ أَتَى
بِهِمَا نِكْرَتَيْنِ ، فَأَشْكَلَ بِذَلِكَ . وَإِنَّمَا يَجُوزُ لَوْ
جَعَلَهُمَا مَعْرِفَةً بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ ، وَالْوِزْنَ لَا يُسَاعِدُهُ
عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ :

أَمْ الْقَلْبُ فِي إِثْرِهِمْ مُنْحَدِرٌ

وَلَيْسَ هَذَا السُّوَالُ مِنَ السُّوَالِ الْأَوَّلِ فِي شَيْءٍ
إِلَّا مِنْ بَعْدٍ بَعِيدٍ . وَاحْتِيَالٍ شَدِيدٍ وَقَالَ بَعْدَ هَذَا :
وَشَاقِدٍ بَيْنَ الْخَلِيطِ الشَّطْرِ

وَمِمَّنْ أَقَامَ مِنْ الْحَىِّ هَرُ

فَأَتَى بِكَثِيرِ كَلَامٍ لَا يُفِيدُ إِلَّا قَلِيلَ مَعْنَى .

وَذَلِكَ الْقَلِيلُ لَا غَرِيبٌ وَلَا عَجِيبٌ . وَهُوَ كُلُّهُ
 ذِكْرُ فِرَاقٍ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَنَّ هِرَّ مُقِيمَةً تَصِيدُ
 قَلْبَهُ وَقَلْبَ غَيْرِهِ ، فَأَبْطَلَ بِإِقَامَتِهَا كُلَّ مَا قَالَ
 مِنْ أَخْبَارِ الْفِرَاقِ وَتَقْضَاهُ ، وَجَعَلَ بُكَاءُ الْمُتَقَدِّمِ
 لَغَيْرِ شَيْءٍ . ثُمَّ قَالَ :

وَأُفْلِتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرٍو حُجْرٌ

فَحَسُنَ عِنْدَهُ أَنْ يُخْبَرَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ صَادَتْ
 هِرٌّ قُلُوبَ جَمِيعِهِمْ إِلَّا قَلْبَ حُجْرٍ أَبِيهِ . وَهَذَا
 مِنَ الْأَحَادِيثِ الرَّكِيكَةِ ، وَالْأَخْبَارِ الَّتِي مَا بِأَحَدٍ
 حَاجَةً إِلَيْهَا . وَمَعَ هَذَا ، فَقَدْ أُوْرِدَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ ،
 أَنَّ هِرَّ هَذِهِ كَانَتْ زَوْجَةً أَبِيهِ حُجْرٍ ، فَاَنْظُرْ مَا فِي

جُمْلَةً هَذِهِ الْأَيَّاتِ مِنَ الرَّاكَّاتِ^(١) . وَقِلَّةِ
الْإِفَادَاتِ . فَإِنَّهَا لَا تُفِيدُ قِلَامَةً^(٢) وَلَا تَهْزُ ثَمَامَةً^(٣) .
وَلَسْنَا نُنْكِرُ بِهِذِهِ الْعُيُوبِ وَنَزَارَتِهَا^(٤) ، مَا أَقَرَرْنَا
لَهُ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَنَدَارَتِهَا^(٥) . وَسَتَجِدُ مَنْ
لَا يُصَدِّقُ مُعَاصِرًا . وَلَا يَصْدُقُ^(٦) عَلَى مُتَقَادِمٍ
مُتَأَخِّرًا . يَبْنِي عَلَى ضَعْفِ أُسِّهِ^(٧) . وَيَفْدِيهِ مِنْ
الْجَهْلِ وَالْعَيْبِ بِنَفْسِهِ . فَإِذَا اعْتَرَضَكَ مِنْ هَذَا

(١) الركاكات : جمع ركاكة . وركاكة مؤنث الركيك . والركيك من
الكلام : السخيف الألفاظ والمعاني (٢) القلامة بالضم والتخفيف : ما سقط
من الشيء المقالوم . وهي مثل في الخسيس الحقير
(٣) ثمامة : واحدة الثمام . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيهه
بالخوص ، وربما مُحْشَى به وسد به خصاص البيوت ، ولأنه لا يطول ،
يضر به المثل لما هو هين المتناول . فيقال : « هو لك على طرف الثمام »
كناية عن شدة القرب (٤) نزارتها : صدر نزر . والنزر : القليل
التافه (٥) ندارة : مصدر ندر . يقال ندر الكلام : فصح وجاد وكان
غريباً (٦) لا يصدق الخ : أى لا ينقل عنه صدقاً (٧) الأس والأساس :
أصل البناء وقاعدته . وأصل كل شيء . ويجمع على أساس وأسس

النَّمَطِ^(١) مُتَعَرِّضٌ ، فَأَعْرِضْ عَنْهُ وَدَعُهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ .
مُسْتَمْتِعًا^(٢) بِخَلَاقِهِ^(٣) . وَاتَّبِعِ الْمَسْلَكَ الَّذِي
أَوْضَحْتُهُ لَكَ .

قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَفُضِّلَ الشُّعْرَاءُ كَثِيرٌ جِدًّا ،
وَلِكُلِّ سَقَطَاتٍ^(٤) ، وَسَاقِفُكَ عَلَى بَعْضِهَا ، لِعَظِيمِ
الْمُؤْنَةِ^(٥) فِي الْإِحَاطَةِ بِهَا ، لَيْسَ إِلَّا لِأَوْضَحِ بَذِكْرِهَا
مَنْهَجًا^(٦) مِنْ مَنَاهِجِ النَّقْدِ ، لَا حِرْصًا عَلَى بُغْضِ
الْفُصَحَاءِ^(٧) . وَلَا قَصْدًا إِلَى تَهْجِينِ^(٨) الصُّرَحَاءِ^(٩) .

(١) النمط : ثوب صوف ، له خمل رقيق ولون واحد يطرح على الهودج .
والطريقة من الشيء . : « يقال هذا من نمط ذاك » . والجماعة الذين أمرهم
واحد . والجمع أَعْمَاطٌ وَنَمَاطٌ (٢) المستمتع : المنتفع (٣) الخلاق :
النصيب من الخير (٤) سقطات : جمع سقططة . والسقططة : الزلة
(٥) المؤنة : المشقة والتعب (٦) المنهج : الطريق (٧) الفصحاء : جمع
فصيح . والفصيح : البليغ (٨) التهجين : الذم والتقييع (٩) الصرحاء :
جمع صريح . والصريح : البين الواضح . والخالص من كل شيء ،

وَأَيَّةُ رَغْبَةٍ لَنَا فِي ذَلِكَ ، وَهُمْ جُرْثُومَةٌ^(١) فُرُوعِنَا ،
وَبِهِمْ افْتِخَارُ جَمِيعِنَا .

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُئْمَى : عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ بِهِ ،
وَوَصَفَهُ غَيْرُنَا مِنَ الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ ، فِي هَذِهِ الصَّنْعَةِ
مِنْ مُذْهَبَتِهِ^(٢) الْحِكْمِيَّةِ^(٣) . وَمُعَلَّقَتِهِ الْعَالِمِيَّةِ .
رَأَيْتُ الْمَنَائَا^(٤) خَبَطَ عَشَوَاءَ^(٥) مَنْ تُصِيبُ

تُمَّتُهُ وَمَنْ تَخْطِي يُعَمَّرُ فَيَهْرَمَ
وَقَدْ غَلِطَ فِي وَصْفِهَا بِخَبَطِ الْعَشَوَاءِ ، عَلَى أَنَّا
لَا نَطَالِبُهُ بِحُكْمِ دِينِنَا . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْعِنَا .

(١) الْجُرْثُومَةُ وَالْجُرْثُومَةُ . أَصْلُ الشَّيْءِ . (٢) الْمَذْهَبَاتُ : سَبْعُ
قِصَاصَاتٍ . تَعْدُ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الشَّعْرِ (٣) الْحِكْمِيَّةُ سَبْعَةٌ إِلَى
الْحِكْمَةِ . وَالْحِكْمَةُ : الْعِلْمُ . وَصَوَابُ الْأَمْرِ وَسِدَادُهُ . وَالْحِلْمُ .
وَمَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ بِعِلَلِهَا وَأَسْبَابِهَا . (٤) الْمَنَائَا : جَمْعُ مَنِيَّةٍ . وَهِيَ الْمَوْتُ
(٥) خَبَطَ عَشَوَاءَ : تَخْطِيءُ وَتُصِيبُ

بَلْ نَطْلُبُهُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فَنَقُولُ إِنَّمَا يَصِحُّ قَوْلُهُ :
لَوْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَمُوتُ ، وَبَعْضُهُمْ يَنْجُو ،
وَقَدْ عَلِمَ هُوَ وَعَلِمَ الْعَالَمُ . حَتَّى الْبَهَائِمُ . أَنَّ سِهَامَ^(١)
الْمَنَآيَا ، لَا تُخْطِئُ شَيْئًا مِنَ الْحَيَوَانِ ، حَتَّى يَعْمَهَا
رَشَقُهَا^(٢) ، فَكَيْفَ يُوصَفُ بِخَبْطِ الْعَشَوَاءِ ، رَامٍ
لَا يَقْصِدُ غَرَضًا مِنَ الْحَيَوَانِ إِلَّا أَقْصَدَهُ^(٣) ، حَتَّى
يَسْتَكْمِلَ رَمِيَّاتِهِ . فِي جَمِيعِ رَمِيَّاتِهِ^(٤) . وَإِنَّمَا أَدْخَلَ
الْوَهْمَ عَلَى زُهَيْرٍ ، مَوْتُ قَوْمٍ عَبْطَةً^(٥) ، وَمَوْتُ
قَوْمٍ هَرَمًا ، وَظَنُّوا طُولَ الْعُمُرِ ، إِنَّمَا سَبَبُهُ إِخْطَاءُ

(١) سهام : جمع سهم . والسهم : النبله يرمى بها . والمراد من
سهام المنايا مقاصدها ومراميها (٢) رشقها : رميها . فالرشق : الرمي
(٣) أقصده : أصابه (٤) رميات : جمع رمية : وهي الغرض المرمي
(٥) العبطة : الاعتبار : وهو الموت لغير علة . يقال مات فلان عَبْطَةً :
أى صحيحاً شاباً قال أمية أبي الصلت :

من لم يمت عَبْطَةً يمت هَرَمًا للموت كَأْسُ فالمرء ذائقها

الْمَنِيَّةُ ، وَسَبَبُ قِصَرِهِ إِصَابَتُهَا ، وَهَيْهَاتَ الصَّوَابُ
 مِنْ ظَنِّهِ ، لَمْ يُؤَخَّرِ الْهَرَمُ ، إِلَّا أَنَّهَا قَصَدَتْهُ ،
 فَحِينَ قَصَدَتْهُ أَصَابَتْهُ . وَلَوْ أَنَّ الرُّمَّةَ تَهْتَدِي
 كَاهْتِدَائِهَا . لَمَلَّتْ أَيْدِيهَا بِأَقْصَى رَجَائِهَا .

وَقَالَ زُهَيْرٌ أَيْضًا فِي مُذَهَّبَتِهِ :

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ^(١) عَنْ حَوْضِهِ^(٢) بِسِلَاحِهِ

يُهْدَمُ^(٣) وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

وَقَدْ تَجَاوَزَ هَذَا الْحَقُّ إِلَى الْبَاطِلِ ، وَبَنَى قَوْلًا

يَنْقُضُهُ جَرِيَانُ الْعَادَةِ ، وَشَهَادَةُ الْمُشَاهَدَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ

الظُّلْمَ وَعُرَّةً^(٤) مَرَاكِبُهُ ، مَذْمُومَةٌ عَوَاقِبُهُ ، فِي

(١) يذد : يدفع . من الذود وهو الدفع (٢) حوضه : أى عرضه

ونسبه ونسبه . تشبيهاً بمن يذود عن حوضه (٣) يهدم : يستباح

(٤) وعرة : مؤنث الوعر . والوعر : الصعب

جَاهِلِيَّتِهِ وَإِسْلَامِنَا . فَخَرَّضَ فِي شِعْرِهِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ
كَانَ ، إِنَّمَا أَشَارَ فِي شِعْرِهِ ، إِلَى أَنَّ الظَّالِمَ يُرْهَبُ ،
فَلَا يَظْلَمُ ، فَهَذَا قِيَاسٌ يَنْفَسِدُ ، وَأَصْلُهُ لَيْسَ يَطْرُدُ ،
لَكِنْ يُرْهَبُهُ مَنْ هُوَ أَوْفَعُ مِنْهُ ، وَرُبَّمَا انْتَقَمَ مِنْهُ
بِالْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ . وَقَدْ يَظْلِمُ الظَّالِمُ مَنْ يَغْلِبُهُ ،
فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهِ مَعَ قَبَاحَةِ السِّمَةِ ^(١) بِالظُّلْمِ ،
وَالْمَثَلُ إِنَّمَا يُضْرَبُ بِمَا لَا يَنْخَرِمُ ^(٢) . وَقَدْ كَانَتْ لَهُ
مَنْدُوحَةٌ وَاتِّسَاعٌ ، فِي أَنْ يَقُولَ يَهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ
النَّاسُ يَظْلِمُ ، فَهَذَا أَصَحُّ وَأَسْلَمُ لِمَنْ لَا يُظْلَمُ وَيَظْلِمُ .
قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَقَالَ زُهَيْرٌ أَيْضًا ، وَهُوَ مِنْ
أَطْيَبِ شِعْرِهِ ، وَأَمْلَحِهِ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، وَكَثِيرٍ مِنْ

(١) السمة مصدر : بمعنى العلامة (٢) لا ينخرم : لا ينقص

الْخَاصَّةِ ، فَهِيَ تَحْفَظُ وَتَأْمَلُ ، وَلَا يَهْلِكُ ذَلِكَ مِنْهُمْ .
الْحَقُّ أَبْلَجٌ ^(١) . قَالَ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا ^(٢)

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

مَدَحَ بِهَا شَرِيفًا أَيْ شَرِيفٍ ، فَجَعَلَ سُرُورَهُ
بِقَاصِدِهِ ، كَسُرُورِهِ بِمَنْ يَدْفَعُ شَيْئًا مِنْ عَرْضِ
الدُّنْيَا إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِ النُّفُوسِ الْعَارِفَةِ
السَّامِيَةِ ، وَالْهَمَمِ الشَّرِيفَةِ الْعَالِيَةِ ، إِظْهَارُ السُّرُورِ
إِلَى أَنْ تَتَهَلَّلَ وَجُوهُهُمْ ، وَتُسَرَّ نُفُوسُهُمْ بِبَهَةِ
الْوَاهِبِ ، وَلَا شِدَّةُ الْإِبْتِهَاجِ بِعَطِيَّةِ الْمُعْطَى ،
بَلْ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سُقُوطُ هِمَّةٍ وَصِغَرُ نَفْسٍ ، وَكَثِيرٌ

(١) أبلج : واضح ظاهر (٢) متهللاً . متلألئ الوجه من الفرح والسرور

مِنْ ذَوَى الثُّفُوسِ النَّفِيسَةِ^(١) ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّئِيسَةِ^(٢)
 لَا يُظْهِرُ الشُّرُورَ مَتَى رُزِقَ مَالًا عَفْوًا^(٣) بِلَا مِنَّةٍ^(٤)
 مُنِيلٍ^(٥) ، وَلَا يَدٍ مُعْطٍ مُسْتَطِيلٍ^(٦) ، لِأَنَّهُ عِنْدَ
 نَفْسِهِ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَلِأَنَّ قَدْرَ الْمَالِ يَقْصُرُ عَنْهُ ،
 فَكَيْفَ يُمْدَحُ مَلِكٌ كَبِيرٌ كَثِيرُ الْقَدْرِ ، عَظِيمُ
 الْفَخْرِ ، بِأَنَّهُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ وَيَمْتَلِي سُرُورًا قَلْبُهُ ،
 إِذَا أَعْطَاهُ سَائِلُهُ مَالًا ، هَذَا تَقْضَى الْبِنَاءُ ، وَتَحْضُرُ^(٧)
 الْهَجَاءُ ، وَالْفُضْلَاءُ يَفْخَرُونَ بِضِدِّ هَذَا . قَالَ بَعْضُهُمْ :
 وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّانِي
 وَلَا جَزَعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبُ

(١) النفيسة : عالية القدر (٢) الرئيسة : السامية (٣) العفو :
 الصفح . والتسامح . والمراد هنا . بلا تعب (٤) المنة : الاحسان والانعام
 (٥) منيل : معط . والمراد بلا أعطاء معط (٦) مستطيل :
 متفضل متطاول (٧) محض الهجاء : خالصه

وَإِنَّمَا غَرَّ زُهَيْرًا ، وَغَرَّ الْمُسْتَحْسِنَ يَتَّهُ هَذَا ،
 مَا جَبَلُوا^(١) عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْعَطَاءِ وَمَا جَرَتْ بِهِ
 عَادَاتُهُمْ ، مِنْ الرَّغْبَةِ فِي الْهَبَاتِ وَالِاسْتِجْدَاءِ^(٢) ،
 وَلَيْسَ كُلُّ الْهِمَمِ تَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ ، وَلَا كُلُّ الطَّبَاعِ
 تَسْلُكُ هَذِهِ الْمَسَالِكِ . قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَقَالَ زُهَيْرٌ
 أَيْضًا : يَمْدَحُ سَادَةً^(٣) مِنَ النَّاسِ ، فَذَمَّهُمْ بِأَنْوَاعِ
 الذَّمِّ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى اسْتِحْسَانِ مَا قَالَ ، بَلْ
 أَظُنُّ كُلَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُهُ :
 عَلَى مُكْثَرِيهِمْ^(٤) حَقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ^(٥)

وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ^(٦) السَّمَاحَةُ^(٧) وَالْبَذْلُ^(٨)

(١) مَا جَبَلُوا . طَبَعُوا (٢) الِاسْتِجْدَاءُ : طَابَ الْأَعْطَاءُ (٣) السَّادَةُ :
 الْعُظَمَاءُ (٤) مُكْثَرِيهِمْ : جَمْعُ مَكْثَرٍ : وَالْمَكْثَرُ : ذُو الْمَالِ الْكَثِيرِ (٥) يَعْتَرِيهِمْ :
 يَقْصِدُ نَاحِيَتَهُمْ (٦) الْمُقْلِينَ : جَمْعُ مَقْلٍ . وَالْمَقْلُ : اسْمُ فَاعِلٍ : الْفَقِيرُ وَفِيهِ
 بَقِيَّةٌ (٧) السَّمَاحَةُ : الْجُودُ (٨) الْبَذْلُ : الْعَطَاءُ وَالْكَرَمُ

فَأَوَّلُ مَا ذَمَّهُمْ بِهِ ، إِخْبَارُهُ أَنَّ فِيهِمْ مُكْثَرِينَ
وَمُقَلِّينَ ، فَلَوْ كَانَ مُكْثَرُوهُمْ كُرْمَاءَ لَبَذَلُوا لِمُقَلِّهِمْ
الْأَمْوَالَ حَتَّى يَسْتَوُوا فِي الْحَالِ ، وَيُشَبَّهُوا فِي
الْكَرَمِ وَالْحَالِ ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ حَسَّانُ :
الْمُلْحِقِينَ فَقِيرَهُمْ بِنَعِيَّتِهِمْ

وَالْمُسْتَفِقِينَ عَلَى الْيَتِيمِ الْمُرْمِلِ
الْمُرْمِلُ : الْقَلِيلُ الْمَالِ ، وَأُرْمَلَ الرَّجُلُ : إِذَا
قَلَّ زَادُهُ . وَكَأَمَّا قَالَ غَيْرُهُ :

الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِنَعِيَّتِهِمْ
حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي^(٢)
وَكَأَمَّا قَالَتْ الْخُرَيْقُ :

الْخَالِطِينَ لَجَيْنِهِمْ^(١) بِنُضَارِهِمْ^(٢)

وَذَوَى الْغِنَى مِنْهُمْ بِذَى الْفَقْرِ

فَهَذَا كُلُّهُ - وَأَيِّكَ - غَايَةُ الْمَدْحِ ، النَّقِيَّةِ مِنَ

الْقَدَحِ ، ثُمَّ اسْتَمِعْ مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ سِوَى هَذَا مِنَ

الْخَلَلِ^(٣) وَالزَّلَلِ^(٤) . قَالَ :

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ حَقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ

وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّامِحَةُ وَالْبَذْلُ

فَفِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، عُيُوبٌ عَلَى الْمُكْثَرِينَ ، مِنْهَا

أَنَّهُمْ ضَيَعُوا الْقَرِيبَ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَرَعَوْا حَقَّ الْغَرِيبِ ،

وَصِلَةُ الرَّحِمِ أَوْلَى مَا بُدِيَ بِهِ ، وَمِنْ مَكَارِمِ الْعَرَبِ ،

(١) اللجين : النفقة (٢) النضار : الذهب الخالص

(٣) الخلل : الفساد والوهن في الأمر (٤) الزلل : القصور

حَمِيَّتُهَا^(١) لِدَوَى أَنْسَابِهَا ، وَذَبُّهَا^(٢) عَنْ أَحْسَابِهَا ،
وَالْأَقْرَبُ فَأَلْأَقْرَبُ ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَلِلْأَبْعَدِ ،
ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الْمُكْثَرِينَ لَيَسُؤُوا يَسْمَحُونَ بِأَكْثَرِ مِنَ
الِاسْتِحْقَاقِ فِي قَوْلِهِ :

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ حَقٌّ مِنْ يَعْتَرِيهِمْ
وَمَنْ أُعْطِيَ الْحَقَّ فَإِنَّمَا أَنْصَفَ^(٣) ، وَلَمْ يَتَفَضَّلْ
بِمَا وَرَاءَ الْإِنْصَافِ^(٤) ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْإِنْصَافِ أَمْدَحُ .
ثُمَّ أَخْبَرَ فِي الْبَيْتِ ، أَنَّ الْمُقْلِينَ عَلَى قَدَرِ قُصُورِ
أَيْدِيهِمْ ، أَكْرَمُ طِبَاعًا مِنْ مُكْثَرِيهِمْ عَلَى قَدَرِهِمْ
فِي قَوْلِهِ :

وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاةُ وَالْبَدَلُ

(١) الحمية : الأنفة . والنخوة . والمروءة . (٢) الذب : الدفع والمنع

(٣) أنصف : عدل (٤) الأنصاف : العدل والمساواة

وَالْبَذْلُ مَعَ الْإِقْلَالِ ، مَدْحٌ عَظِيمٌ وَإِثَارٌ ،
وَالسَّمَاحَةُ إعْطَاءٌ غَيْرُ اللَّازِمِ ، فَمَدَحٌ بِشِعْرِهِ هَذَا
مَنْ لَا يَحْظَى مِنْهُ بِطَائِلٍ ^(١) . وَذَمٌّ لِلَّذِينَ يَرْجُو مِنْهُمْ
جَزِيلَ النَّائِلِ ^(٢) ، وَهَذَا غَايَةُ الْغَلَطِ فِي الْإِخْتِيَارِ ،
وَفِي تَرْتِيبِ الْأَشْعَارِ ، وَلِزُهَيْرٍ غَيْرُ هَذَا مِنْ
السَّقَطَاتِ ، لَوْ لَا كُفَّةُ الْإِسْتِقْصَاءِ ^(٣) ، هَذَا عَلَى
اشْتِهَارِهِ بِأَنَّهُ أَمَدَحُ الشُّعْرَاءِ ، وَأَجْزَلُ الْوَافِدِينَ
عَلَى الْأَشْرَافِ وَالْأُمَرَاءِ ، وَسَيَتَعَامَى الْمُتَعَصِّبُ لَهُ
عَنْ وُضُوحِ هَذَا الْبَيَانِ ، وَسَيُنْكَرُ جَمِيعَ هَذَا
الْبُرْهَانِ ، وَيَجْعَلُ التَّفْتِيشَ عَنْ غَوَامِضِ الْخَطَأِ

(١) الطائل اسم فاعل من الطول . وهو القدرة والسعة . والمراد أنه

لم يظفر منه بطائل أى بفائدة أو نفع (٢) النائل اسم فاعل : وهو

العتاء والجود (٣) الاستقصاء : التبع . والاستقراء

وَالصَّوَابِ ، اسْتِقْصَاءٌ وَظُلْمًا ، وَمُطَابَئَةٌ وَهَضْمًا ،
وَزَعَمَ أَنَّ جَمِيعَ الشَّعْرِ ، لَوْ طُلِبَ هَذِهِ الْمُطَابَئَةُ ،
لَبْطَلَ صَحِيحُهُ ، وَانْعَجَمَ فَصِيحُهُ ، وَالْبَاطِلُ الَّذِي زَعَمَ ،
وَالْمُحَالُ الَّذِي بِهِ تَكَلَّمَ ، فَالْسَّلِيمُ سَلِيمٌ ، وَالْكَلِيمُ^(١)
كَلِيمٌ ، وَإِنَّمَا سَمِعَ الْمُسْكِينُ أَنَّ أَمْلَحَ الشَّعْرِ
مَا قَلَّتْ عِبَارَاتُهُ . وَفُهِمَتْ إِشَارَاتُهُ ، وَلُمِحَتْ^(٢)
لُمَحُهُ^(٣) ، وَمُلِحَتْ^(٤) مُلَحُهُ^(٥) ، وَرُقِقَتْ^(٦) حَقَائِقُهُ^(٧) ،
وَحُقِّقَتْ^(٨) رَقَائِقُهُ^(٩) ، وَاسْتُغْنِيَ بِلُمَحِهِ الدَّالَّةُ ،
عَنِ الدَّلَائِلِ الْمُتَطَاوِلَةِ ، وَأُمَثَلَ هَذَا الْكَلَامُ ،

(١) الكليم : صفة مشبهة بمعنى المكلوم . والكلم : الطعن والجرح

(٢) لحت : أبصرت بعجلة (٣) لحه : أشاراته (٤) ملحت :

بهجت وحسن منظرها (٥) ملحه : محاسنه . جمع ملحة . وهى ما حسن
من الحديث واستملح (استظرف) (٦) رُققت : حُسن

(٧) حقائقه : جمع حقيقة . والمراد ضد المجاز (٨) حققت : تحققت

وتيقنت (٩) رقائقه : جمع رقيقة : وهى السهلة اللطيفة

فِي اسْتِعْمَالِ النَّظَامِ ، فَتَوَهَّمُ أَنَّ خَلَلَ الشَّعْرِ وَزَلَلَهُ ،
وَضَعْفَ أَرْكَانِهِ ، وَتَنَاقُضَ مُبْنِيَّانِهِ ، وَانْقِلَابَ لَفْظِهِ
لَعَوُّهُ ، وَانْعِكَاسَ مَدْحِهِ هَجْوُهُ ، دَاخِلٌ فِيمَا قَدَّمْنَا
مِنَ الْأَوْصَافِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، مِنْ لُحَجِ إِشَارَاتِهِ ، وَمُلَحِ
عِبَارَاتِهِ . فَعَامِلٌ هَذَا الصَّنْفُ بِعَظْفِكَ عَنْهُمْ لِلْعَظْفِ ،
وَرَفْعِكَ عَلَيْهِمُ الْأَنْفَ . وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ بِالْفِكْرِ
وَالذِّكْرِ كِبَرًا ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِبَرِ .
وَفِيمَا أَطْلَعْتُكَ عَلَيْهِ مِنْ شِعْرِ هَذَيْنِ الْفَحْلَيْنِ ^(١) ،
وَالْمُتَقَدِّمَيْنِ ^(٢) الْقَدِيمَيْنِ ^(٣) ، مَا يُغْنِي عَنِ التَّفْتِيشِ عَلَى
سَقَطَاتِ سَوَاهُمَا ، فَقَسْ عَلَى مَا لَمْ تَرَهُ بِمَا تَرَى ،

(١) خول الشعراء : الغالبون المفضلون منهم (٢) المتقدمين :

السابقين (٣) القديمين : السديين

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ^(١) فِي جَنْبِ^(٢) الْفَرَا^(٣) .
 قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَمِنْ عُيُوبِ الشَّعْرِ اللَّحْنُ الَّذِي
 لَا تَسْعُهُ فُسْحَةٌ^(٤) الْعَرَبِيَّةُ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :
 وَعَضَّ^(٥) زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ

مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا^(٦) أَوْ مُجْلَفًا^(٧)

فَرَفَعَ مُجْلَفًا وَحَقَّهُ النَّصَبُ ، وَقَدْ تَحَيَّلَ لَهُ بَعْضُ
 النَّحْوِيِّينَ ، بِكَلَامٍ كَالضَّرِيعِ^(٨) ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي
 مِنْ جُوعٍ ، وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ الْخَلَطَفِيِّ :

(١) الصيد : المراد به المصيد (٢) صحته في جوف الفرا كما في مجمع
 الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني وهو حديث
 (٣) قال ابن السكيت : الفرا : الحمار الوحشي . وجمعه فراء . وهو مثل
 يضرب لمن يفوق أقرانه (٤) الفسحة : السعة (٥) وعض زمان : أي
 اشتداد الفقر (٦) مسحتاً : خبيثاً قليلاً لا بركة فيه (٧) المجلف :
 المال الذي تبقى منه بقية (٨) الضريع : نبات سيء المرعى

وَلَوْ وَلَدَتْ فَقِيرَةً جَرَوْ^(١) كَلْبٌ
لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجُرُؤُ الْكِلَابَا
فَنَصَبَ الْكِلَابَا بغيرِ نَاصِبٍ ، وَقَدْ تَحَيَّلَ أَيْضًا
بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ عَلَى وَجْهِ . الْإِقْفَاءِ أَحْسَنُ مِنْهُ ،
فَأَحْذَرُ هَذَا وَمِثْلَهُ ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ بِفَسِيحٍ
مِنَ الْعُذْرِ ، فَكَيْفَ بِضَيْقِ ضَنْكِ . قَالَ :
وَمِمَّا يُعَابُ بِهِ الشُّعْرُ ، وَيَسْتَهْجِنُهُ النَّقْدُ ، خُشُونَةُ
حُرُوفِ الْكَلِمَةِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :
وَتَقُولُ بَوَزَعٌ قَدْ دَبَيْتَ^(٢) عَلَى الْعَصَا
هَلَّا هَزَيْتَ بغيرِنَا يَا بَوَزَعُ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ مِنْ أَحْلَى قَصَائِدِ جَرِيرٍ

(١) الجرؤ : ولد الكلب (٢) دبى : مشى

وَأَمْلَحَهَا ، وَأَجْزَلَهَا وَأَفْصَحَهَا . فَثَقُلَتِ الْقَصِيدَةُ
كُلُّهَا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ . وَلِلْفَرَزْدَقِ أَيْضًا لَفْظَاتٌ خَشِنَةٌ
الْحُرُوفِ كَهَذِهِ تَجِدُهَا فِي شِعْرِهِ . قَالَ : وَيَكْرَهُ
النُّقَادُ تَعْقِيدَ الْكَلَامِ فِي الشَّعْرِ ، وَتَقْدِيمَ آخِرِهِ
وَتَأْخِيرَ أَوَّلِهِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا
أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُنَاسِبُهُ^(١)

يَمْدَحُ بِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيَّ ، وَهُوَ خَالَ
هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ ، أَنَّ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ ، مَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَتَّى إِلَّا مُمْلَكٌ ،
يَعْنِي هِشَامًا ، أَبُو أُمِّهِ أَيْ جَدُّ هِشَامٍ لِأُمِّهِ أَبُو إِبْرَاهِيمَ ،

(١) في مجمع الأمثال للامام النيسابوري وغيره « يقاربه »

هَذَا الْمَمْدُوح ، فَهُوَ خَالُهُ أَخُو أُمِّهِ ، فَهُوَ يُشْبِهُهُ
 فِي النَّاسِ لَا غَيْرُ ، وَهَذَا غَايَةُ التَّعْقِيدِ ^(١) وَالتَّنْكِيدِ ^(٢) ،
 وَلَيْسَ تَحْتَهُ شَيْءٌ سِوَى أَنَّهُ شَرِيفٌ ، كَابْنِ أُخْتِهِ
 الشَّرِيف .

قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَمِنْ شَرِّ عُيُوبِ الشَّعْرِ كُلِّهَا
 الْكُسْرُ ^(٣) ، لِأَنَّهُ يُخْرِجُهُ عَنْ نَعْتِهِ شِعْرًا ، وَلَيْسَ مِمَّا
 يَقَعُ لِمَنْ نَعِيَ بِشَاعِرٍ . فَأَمَّا الْإِقْوَاءُ ^(٤) . وَالْإِيطَاءُ ^(٥) .
 وَالسَّنَادُ ^(٦) . وَالْإِكْفَاءُ ^(٧) . وَالزَّحَافُ ^(٨) . وَصَرْفُ ^(٩)

(١) التعقيد : جعل الكلام غير ظاهر الدلالة (٢) التنكيد : الهم

(٣) الكسر في الشعر : مخالفة البيت أو جزء منه لأجزاء البحر

(٤) الإقواء في الشعر اختلاف حركات الروي (٥) الإيطاء في

الشعر : تكرير القافية لفظاً ومعنى (٦) السناد في العروض كل عيب في

القافية قبل الروي (٧) الإكفاء في الشعر : اختلاف الروي بحروف

مقاربة المخارج (٨) الزحاف في العروض : تغيير يلحق ثانی الأسباب

(٩) الصرف : التنوين

مَا لَا يَنْصَرِفُ ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُسْتَعْمَلُ ، إِلَّا أَزَّ السَّالِمِ
 مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ أَجْمَلُ وَأَفْضَلُ . قَالَ : وَمِنْ عُيُوبِهِ
 الْمَذْمُومَةِ ، مُجَاوِرَةُ الْكَلِمَةِ مَا لَا يُنَاسِبُهَا ، وَلَا يُقَارِبُهَا .
 مِثْلُ قَوْلِ الْكُمَيْتِ :

حَتَّى تَكْمَلَ فِيهَا الدَّلُّ^(١) وَالشَّنَبُ^(٢)

وَكَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي رِثَاءٍ :

فَإِنَّكَ غُيِّتَ فِي حُفْرَةٍ^(٣)

تَرَكَمُ^(٤) فِيهَا نَعِيمٌ وَحُورٌ

وَإِنْ كَانَ النَّعِيمُ وَالْحُورُ مِنْ مَوَاهِبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ،

(١) الدَّلُّ : التيه والعجب (٢) الشَّنَبُ : صفاء الأسنان وبريقها

أو جدتها حين تطلع (٣) الحفرة : القبر . (٤) تَرَكَمُ الشيء :

اجتمع بعضه فوق بعض

فَلَيْسَ يَنْتَهَمَا فِي النَّفُوسِ تَقَارُبٌ . وَلَا لَفْظَةٌ تَرَآكُم
مِمَّا يُجْمَعُ بَيْنَ الْحُورِ وَلَا النَّعِيمِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
وَاللَّهُ لَوْ لَا أَنْ يُقَالَ تَغَيَّرَا

وَصَبَا^(١) وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي^(٢) أَجْدَرًا^(٣)

لَأَعَادَ تَفَاحَ^(٤) الْخُدُودِ بِنَفْسِجًا^(٥)

لَثْمِي^(٦) وَكَافُورَ^(٧) التَّرَائِبِ^(٨) عَنَبَرًا

فَالْتَفَاحُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْبِنْفَسِجِ ، لِأَنَّ التَّفَاحَ
ثَمَرَةً وَالْبِنْفَسِجَ زَهْرَةً . وَقَدْ أَجَادَ فِي جَمْعِهِ بَيْنَ

(١) صبا : حن ومال (٢) التصابي : الميل — وجهلة الفتوة

(٣) الأجدر : الخلق والأحق (٤) المراد لون الحدود

(٥) البنفسج زهرة ذو رائحة طيبة : والمراد أنه بعد التقييل أصبح

مشوباً بزرقه بعد أن كان أحمر (٦) اللثم : التقييل (٧) الكافور :

شجر معروف طيب الرائحة (٨) الترائب : جمع تريبة . وهي العظمة من

عظام الصدر .

الْكَافُورِ وَالْعَبْرِ لِأَنَّهُمَا مِنْ قَبِيلٍ وَاحِدٍ . وَلَوْ قَالَ :
لَأَعَادَ وَرَدَ الْوَجْنَتَيْنِ بِنَفْسٍ جَا
لَشِمَى وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عُنْبَرًا

لَأَجَادَ الْوَصَفَ . وَأَحْسَنَ الرَّصْفَ ^(١) . لِيَكُونَ
الْوَرْدُ مِنْ قَبِيلِ الْبِنَفْسِجِ ، فَهَذَا النَّوعُ فَافْتَقَدَ .
وَهَذَا الشَّرْعَ ^(٢) فَاعْتَمَدَ .

قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَلِفُضْلَاءِ الْمُؤَلِّدِينَ ، سَقَطَاتٌ
مُخْتَلِفَاتٌ فِي أَشْعَارِهِمْ ، أَذَاكَرُكَ مِنْهَا فِي أَشْيَاءَ ،
لِتَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى أَغْرَاضِكَ ، لَا لِطَلَبِ الزَّلَّاتِ .
وَلَا لِاقْتِفَاءِ ^(٣) الْعَثَرَاتِ ^(٤) . كَانَ بَشَارُ تَتْبَايُنِ طَبَقَاتِ

(١) الرصف : أحكام الكلام واتقانها (٢) الشرع : الطريق
(٣) الاقتفاء : التتبع (٤) العثرات : جمع عثرة . وهي الزلة والخطيئة

شِعْرِهِ ، فَيَصْعَدُ كَثِيرُهَا . وَيَهْبِطُ^(١) قَلِيلُهَا .
 وَكَذَلِكَ كَانَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِيُّ ، فَإِذَا سَمِعْتَ
 جِدَّهُمَا كَذَبْتَ أَنَّ رَدِيَّهُمَا لَهُمَا ، وَإِذَا صَحَّ عِنْدَكَ
 أَنَّ ذَلِكَ الرَّدَى لَهُمَا ، أَقْسَمْتَ أَنَّ جِدَّهُمَا لِغَيْرِهِمَا .
 قَالَ : وَمِمَّا يُعَابُ مِنَ الشَّعْرِ الْإِفْتِتَاحَاتُ الثَّقِيلَةُ ،
 مِثْلُ قَوْلِ حَبِيبٍ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :

لَهْنٌ عَوَادِي^(٢) يُوسُفِ وَصَوَاحِبُهُ

فَعَزَمًا^(٣) قَعْدَمًا^(٤) أَدْرَكَ الشَّأَوُ^(٥) طَالِبُهُ^(٦)

وَمِثْلُ قَوْلِ دِيكَ الْجُنِّ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :

(١) يهبط : ينحط (٢) عوادي : جمع عادية : والعادي والعادية
 العدو . أى عدوات يوسف (٣) العزم : الثبات والصبر (٤) القدم
 اسم من القدم : جعل ظرف زمان . يقال كان ذلك قَدَمًا : أى في قديم الزمان
 (٥) الشأو : الغاية والأمد (٦) طالبه : قاصده

كَأَنَّهَا يَا كَأَنَّهُ خَلَّ الْخُ

لَّةُ (١) وَقَفُ الْهَلُوكِ (٢) إِذْ بَعَمَا (٣)

فَابْتَدَأَ هُوَ وَحَبِيبُ بِمُضْمَرَاتٍ عَلَى غَيْرِ مُظْهَرَاتٍ
قَبْلَهَا وَهُوَ رَدِيٌّ قَالَ : وَيُعَابُ أَيْضًا ، الْإِفْتِيحَاتُ
الْمُتَطَيِّرُ (٤) بِهَا ، وَالْكَلَامُ الْمُضَادُّ لِلْغَرَضِ ، كَابْتِدَاءِ
قَصِيدَةِ أَبِي نُوَاسٍ الَّتِي أَنْشَدَهَا الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى
ابْنَ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، يُهْنِيهِ بِبُنْيَانِهِ الدَّارَ الْجَدِيدَةَ ،
فَدَخَلَ إِلَيْهِ عِنْدَ كَمَالِهَا ، وَقَدْ جَلَسَ لِلْهَنَاءِ وَالْدُّعَاءِ ،
وَعِنْدَهُ وَجُوهُ النَّاسِ فَأَنْشَدَهُ .

أَرْبَعُ الْبَلَى إِنَّ الْخُشُوعَ لِبَادِي

عَلَيْكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَدَادِي

(١) الخلة : الصداقة (٢) الهلوك : الحسنة البعل لزوجها

(٣) البغام : صوت الطيبة (٤) المتطير بها : المتشاءم منها

فَتَطَيَّرَ الْفَضْلُ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَكَسَ^(١) رَأْسَهُ ،
وَتَنَاظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ تَمَادَى^(٢)
فَخَتَمَ الشَّعْرَ بِقَوْلِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُقِدْتُمْ

بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ^(٣) وَغَادِي^(٤)

فَكَمَّلَ جَهْلُهُ ، وَتَمَّ خَطْوُهُ ، وَزَادَ الْقُلُوبَ
الْمُتَوَقِّعَةَ لِلْخُطُوبِ سُرْعَةً تَوَقَّعَ . وَأَضَافَ لِلنُّفُوسِ
الْمُتَوَجِّعَةِ بِذِكْرِ الْمَوْتِ شِدَّةً تَوَجَّعَ . وَأَرَادَ أَنْ
يَمْدَحَ فَهَجًا . وَدَخَلَ لَيْسَرًا فَشَجَا^(٥) ، قَالَ : وَقَرِيبٌ
مِنْ هَذَا مَا وَقَعَ لِلْمُتَذَنَّبِي فِي أَوَّلِ شَعْرِ أَنْشَدَهُ كَافُورًا

(١) نكس : طأطأ (٢) تمادى : استرسل واستطال

(٣) الرائع : العائد آخر النهار (٤) الغادى : الذهاب أول النهار

(٥) فشجا : أحزن

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا
 وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
 فَهَذَا خِطَابٌ بِالْكَافِ بِفَتْحٍ وَلَا سِيَّامَا فِي أَوَّلِ
 لُقْيَةٍ . وَفِي ابْتِدَاءٍ وَاسْتِعْطَافٍ وَرُقْيَةٍ . وَفِي هَذَا
 الْبَيْتِ غَيْرُ هَذَا مِنَ الْعُيُوبِ سَنَذْكُرُهُ بَعْدُ
 وَوَقَعَ مِثْلُ هَذَا مِنْ قُبْحِ الْإِسْتِفْتَاكِ فِي
 عَصْرِنَا ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ ، أَنْشَدَ بَعْضَ
 الْأُمَرَاءِ فِي يَوْمِ الْمِهْرَجَانِ فَقَالَ :
 لَا تَقُلْ^(١) بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانِ
 وَجْهٌ مِنْ أَهْوَى وَوَجْهٌ الْمِهْرَجَانِ

(١) فائل البيت أبو مقاتل . أنشده الداعية . فأوجعه الداعي ضرباً ثم
 قال : هلا قلت : إن تقل بشرى فعندي بشريان

فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ ، وَاسْتَطَارَ^(١) بِإِفْتِتَاحِهِ ، وَحَرَمَهُ
 إِحْسَانَهُ : قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَلَوْ كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ
 حَازِقًا ، لَكَانَ إِصْلَاحُ هَذَا الْفَسَادِ أَيْسَرَ الْأَشْيَاءِ
 عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يَعْكِسُ الْبَيْتَ فَيَقُولُ :
 وَجْهُ مَنْ أَهْوَى وَوَجْهُ الْمَهْرَجَانِ

أَيُّ بُشْرَى هِيَ لَا بَلْ بُشْرِيَانِ
 قَالَ : وَيَقْبَحُ جِدًّا ، الْإِثْنَانُ بِكَلِمَةِ الْقَافِيَةِ
 مُعْجَمَةً لَا تَرْتَبِطُ بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الْكَلَامِ ، وَإِنَّمَا
 هِيَ مُفْرَدَةٌ لِحُشْوِ الْقَافِيَةِ . كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :
 فَبَلَغْتَ الْمُنَى بِرَغْمِ أَعَادِيكَ

وَأَبْقَاكَ سَالِمًا رَبُّ هُودٍ

(١) استطار : تطير وتشاءم

فَأَنْتَ تَرَى غَثَاثَةً^(١) هَذِهِ الْقَافِيَةَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
رَبُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَكُلِّ شَيْءٍ ، فَخَصَّ هُودًا عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَخَدَّهُ ، لِضَعْفِ تَقْدِهِ ، وَعَجَزِهِ عَنِ الْإِثْيَانِ
بِقَافِيَةِ تَلِيقٍ وَتَحْسُنٍ .

قَالَ : وَيَقْبَحُ أَيْضًا الْجَفَاءُ فِي النَّسِيبِ عَلَى
الْحَبِيبِ ، وَالتَّضَجُّرُ بِبُعْدِهِ وَغِلَظَةُ الْعِتَابِ عَلَى
صَدِّهِ^(٢) . كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :
أَجَارَةَ يَتَيْتَنَا أَبُوكَ غَيُورُ

وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خِلًا وَلَا أَنْتِ زَوْجَةٌ
فَلَا بَرَحَتْ مِنَّا عَلَيْكَ سُبُورُ

(١) الغث من الكلام : الردى (٢) صده : هجره

وَجَاوَرْتَ قَوْمًا لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ
وَلَا قُرْبَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُشُورُ
فَلَمْ أَسْمَعْ بِأَوْحَشَ مِنْ هَذَا النَّسِيبِ . وَلَا
أَخْشَنَ مِنْ هَذَا التَّشْيِيبِ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ : إِنْ لَمْ
تَكُونِي لِي زَوْجَةً وَلَا صَدِيقَةً فَلَا بَرِحَتْ مِنَّا
سُتُورُ اللَّثَرَابِ عَلَيْكَ ، وَلَا كَانَ جَارُكَ مَا عِشْنَا
نَحْنُ إِلَّا الْمَوْتَى الَّذِينَ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ
إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ ^(١) ، عَلَى أَنَّ كَلَامَهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ
بِأَنَّهُ شَاكٍ ، وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ فِي أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالظَّرْفِ
وَالْمَعْمُودِ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْعَطْفِ . أَنْ يَفْدُوا
أَحْبَابَهُمْ بِالنُّفُوسِ . مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَبُوسٍ .

(١) النشور : قيام الناس من قبورهم يوم القيامة للحشر

فَأَيْنَ ذَهَبَتْ وَلَادَتُهُ الْبَصْرِيَّةُ . وَأَدَابُهُ الْبَغْدَادِيَّةُ .
 حَتَّى اخْتَارَ الْغَدَرَ عَلَى الْوَفَاءِ . وَبَلَغَتْ بِهِ طِبَاعُهُ
 إِلَى إِجْفَاءٍ^(١) الْجَفَاءِ . فَأَعْلَمَ هَذَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ .

قَالَ : وَمِنْ عُيُوبِ الشُّعْرِ السَّرْقُ ، وَهُوَ كَثِيرُ
 الْأَجْنَاسِ فِي شِعْرِ النَّاسِ . فَمِنْهَا سَرِقَةُ الْأَفَاطِ .
 وَمِنْهَا سَرِقَةُ مَعَانٍ . وَسَرِقَةُ الْمَعَانِي أَكْثَرُ ، لِأَنَّهَا
 أَخْفَى مِنَ الْأَفَاطِ . وَمِنْهَا سَرِقَةُ الْمَعْنَى كُلِّهَا .
 وَمِنْهَا سَرِقَةُ الْبَعْضِ . وَمِنْهَا مَسْرُوقٌ بِاخْتِصَارٍ فِي
 اللَّفْظِ وَزِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْمَسْرُوقَاتِ .
 وَمِنْهَا مَسْرُوقٌ بِزِيَادَةِ الْأَفَاطِ وَقُصُورٍ عَنِ الْمَعْنَى ،
 وَهُوَ أَقْبَحُهَا ، وَمِنْهَا سَرِقَةُ مُحْضَةٍ ، بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ

(١) إلى إجفاء الجفاء : أى إلى أشد الجفاء

وَالْفَضْلُ فِي ذَلِكَ لِمَسْرُوقٍ مِنْهُ ، وَلَا شَيْءٌ لِلِسَّارِقِ
كَسْرِقَةِ أَبِي نُوَّاسٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا
مَعْنَى أَبِي الشَّيْصِ بِكَمَالِهِ . قَالَ أَبُو الشَّيْصِ :

وَقَفَ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي
مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ

فَسَرَقَهُ الْحَسَنُ بِكَمَالِهِ فَقَالَ :

فَمَا جَازَهُ ^(١) جُودٌ ^(٢) وَلَا حَلَّ دُونَهُ

وَلَكِنْ يَصِيرُ ^(٣) الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

فَهَذَا هَذَا ، عَلَى أَنَّ يَتَّ أَبُو الشَّيْصِ ، أَحْلَى

وَأَطْبَعُ ، وَمَعَ حَلَاوَتِهِ جَزَالَةٌ ^(٤) . وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ

(١) جازه : تعده (٢) جود : كرم (٣) وفي نسخة خطية من

ديوان أبي نواس ولكن يسير المجد حيث يسير (٤) جزالة : فصاحة ومثانة

التذييل (٢١)

الْحَسَنُ أَنَّهُ قَالَ : مَا زِلْتُ أَحْسُدُ أَبَا الشَّيْصِ عَلَى
هَذَا الْبَيْتِ ، حَتَّى أَخَذْتُهُ مِنْهُ ، وَسَرَقَةُ الْمُعَاصِرِ ،
سُقُوطُ هِمَّةٍ ، وَبِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ يُنَاضِلُ أَصْحَابُ الْحَسَنِ
عَنْهُ ، وَيُخَاصِمُونَ خُصَمَاءَهُ ، مُقَرِّينَ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ
أَفْضَلُ مِنْهَا . وَلَا لَهُمْ إِلَى سِوَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
مَعْدَلٌ ^(١) عَنْهَا . فَقَسَّ بِفَهْمِكَ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَكَ عَلَى
مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ أَبْوَابِ السَّرَقِ ، مَا وَجَدْتَهُ فِي أَشْعَارٍ
لَمْ أَذْكُرْهَا ، يَظْهَرُ لَكَ جَمِيعُ مَا وَصَفْنَاهُ . وَيَبْدُو لَكَ
جَمِيعُ مَا رَسَمْنَاهُ . قَالَ : وَمِمَّا يَقَعُ فِي عُيُوبِ الشَّعْرِ ،
وَيَنْفَعُ الشَّاعِرُ عَنْهُ وَيَجُوزُهُ الْأَمْرُ فِيهِ ، لِصِغَرِ
جَرْمِ الْعَيْبِ ، وَسَلَامَةِ اللَّفْظِ الَّذِي احْتَبَى ^(٢) فِيهِ ،

(١) مصدر ميمي بمعنى العدول (٢) من : حبا : بمعنى درج

ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ غَفْلَةِ النُّقَادِ أَيْضًا عَنْهُ ، مِثْلُ
قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا
فَضَعَ هَذَا الْكَلَامَ ، عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا شَكَ دَاءَهُ ،
وَوَصَفَهُ بِالْعِظَمِ فَعَادَ شَاكِيًا نَفْسَهُ ، وَجَعَلَهَا أَعْظَمَ
الدَّاءِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ كَفَى بِدَائِكَ دَاءٌ ، فَعَلِطَ وَقَالَ :
كَفَى بِكَ دَاءٌ ، فَصَارَ كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءٌ ،
فَالسَّلَامَةُ هِيَ الدَّاءُ ، يُرِيدُ طَوْلَ الْبَقَاءِ سَبَبُ الْفَنَاءِ .
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ . فَاللَّهُ هُوَ
أَعْظَمُ شَهِيدٍ ، فَجَعَلَ الْمُتَنَبِّي نَفْسَهُ أَعْظَمَ الدَّاءِ ،
وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا اسْتِعْظَامَ دَائِهِ . وَإِصْلَاحُ هَذَا الْفَسَادِ .
وَبُلُوغُهُ إِلَى الْمُرَادِ . أَنْ يَقُولَ :

كَفَى بِالْمَنَايَا أَنْ تَكُنَّ أَمَانِيَا

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا

فَيَعُودُ الدَّاءُ الْمُسْتَعْظَمُ كَمَا أَرَادَ ، وَتَزُولُ خُشُونَةُ

ابْتِدَائِهِ . وَشِدَّةُ جَفَائِهِ . إِذْ خَاطَبَ الْمَدْهُوحَ

بِالْكَافِ ، فَجَعَلَهُ دَاءً عَظِيمًا فِي أَوَّلِ كَلِمَةٍ سَمِعَهَا مِنْهُ .

وَقَدْ تَأَدَّبَ خَوَاصُّ النَّاسِ وَكَثِيرٌ مِنْ عَوَامِهِمْ ،

فِي مِثَالِ هَذَا الْمَكَانِ ، فَهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ مُخَاطَبَاتِ

بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، بِمَا يَحْشُنُ ذِكْرُهُ ، قُلْتُ لِلْأَبْعَدِ ،

كَذَا ، أَوْ كَذَا لِلْأَبْعَدِ .

وَمِنْ عُيُوبِ هَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا ، أَنَّ قَائِلَهُ قَصَدَ إِلَى

سُلْطَانٍ جَدِيدٍ ، وَإِلَى مَكَانٍ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّعْظِيمِ .

وَالْتَفْخِيمَ ، وَقَدْ صَدَرَ^(١) عَنْ مَلِكٍ نَوَّةٌ بِهِ ، أُعْنِيَ
سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَأَغْنَاهُ بَعْدَ فَقْرِهِ ، وَشَرَّفَهُ وَرَفَعَهُ .
وَأَذْنَى^(٢) مَوْضِعُهُ . فَوَرَدَ عَلَى كَافُورٍ هَذَا ، فِي مَرْتَبَةِ
شَرِيفَةٍ ، وَخُطَّةٍ مُنِيفَةٍ^(٣) ، فَجَعَلَ بِجَهْلِهِ يَصِفُهُ ،
فِي أَوَّلِ يَتِّ لَقِيَهُ بِهِ ، أَنَّهُ فِي حَالَةٍ لَا يَرَى مِنْهَا
الْمُنِيَّةَ . أَوْ يَرَى الْمُنِيَّةَ ، أَعْظَمَ أُمْنِيَّةً . وَعَلِمَ كَافُورُ
بِذِكَايِهِ ، وَوُصُولِ أَخْبَارِ النَّاسِ إِلَيْهِ أَنَّهُ فِي حَالَةٍ
خِلَافِ مَا قَالِ ، وَأَنَّهُ كَفَرَ^(٤) النُّعْمَةَ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ ،
وَأَرَاهُ أَنَّ جَمِيعَ مَا عَامَلَهُ بِهِ مِنْ الْجَاهِ الْوَاسِعِ ، وَالْغِنَى
الْقَاطِعِ حَقِيرٌ لَدَيْهِ ، صَغِيرٌ فِي عَيْنَيْهِ . فَعَلِمَ كَافُورُ

(١) صدر عن ملك : أي جاء من عنده (٢) أدنى موضعه : قرب

منزلته (٣) منيفة : عالية (٤) كفر النعمة : جردها

فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ مِمَّنْ لَا تَزْكُو^(١) لَدَيْهِ الصَّنِيعَةُ^(٢)
وَأِنْ عَظُمَتْ . وَلَا تَكْبُرُ فِي عَيْنَيْهِ الْمَوَاهِبُ^(٣)
وَأِنْ جَسُمَتْ^(٤) . وَلَمْ يَكُنْ فِي خُلُقِ كَافُورٍ مِنَ الصَّبْرِ
عَلَى اتِّسَاعِ الْبَذْلِ . وَلَا مِنْ الرَّغْبَةِ فِي أَهْلِ الْآدَابِ
وَالْفَضْلِ ، مَا عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ ، فَزَهْدٌ
فِيهِ بَعْدَ رَغْبَةٍ ، وَعِلَلُهُ^(٥) بِالْقَلِيلِ ، وَشَاوَقُهُ^(٦)
بِالْجَزِيلِ . وَرَأَى الْمُتَنَبِّيَّ أَنَّ الْأَسْوَدَ لَيْسَ لَهُ فِي قَلْبِهِ
مِنْ الْحُبِّ وَالْقُرْبِ ، مَا لَهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ،
فَلَمْ يَدَلَّ عَلَيْهِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ التَّعْتِبِ^(٧) وَالْعِتَابِ^(٨)
مَا يُعْطَفُهُ عَلَيْهِ ، فَأَضَاعَ وَضَاعَ^(٩) ، وَكَانَ يَتَوَقَّعُ^(١٠)

(١) لا تتركو : لا تنمو (٢) الصنعة : الاحسان (٣) المواهب
جمع موهبة وهي العطية (٤) جسمت : عظمت (٥) علله : شغله ولهاه
(٦) شاوقه : أطمهه (٧) التعتب : العيب . من قولهم فلان
لا يتعتب عليه في شيء أي لا يعاب (٨) العتاب : اللوم
(٩) فأضاع وضاع : أي أهلك وهلك (١٠) يتوقع : ينتظر

الْإِيْقَاعُ ^(١) . وَلِكُفْرَانِ النِّعَمِ نِقَمٌ ^(٢) . ثُمَّ نَجَّاهُ رُكُوبُ
 ظَهْرِ الْهَرَبِ . وَأَقْبَلَ يَعْتَرِفُ لِسِيفِ الدَّوْلَةِ بِالذُّنُوبِ .
 وَكَانَ لِحَنُهُ ^(٣) وَشِعْرُهُ شَرِيفَيْنِ . وَعَقْلُهُ وَدِينُهُ ضَعِيفَيْنِ .
 وَمَعَ ذَلِكَ فَسَقَطَاتُهُ كَثِيرَةٌ ، إِلَّا أَنَّ مُحَاسِنَهُ أَكْثَرُ
 وَأَوْفَرُ ، وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا مُحَالَةَ . وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى تَعْقِيدِ
 الْكَلَامِ ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى عِلْمِهِ بِقُبْحِهِ ، فَيَقُولُ مِنْ ذَلِكَ
 مَا يَصِفُ بِهِ نَاقَتَهُ :

فَتَبَيْتُ تَسْدُ مُسَدًّا فِي نَيْهَا

إِسَادَهَا فِي الْمُهْمَةِ الْإِنْضَاءِ ^(٤)

-
- (١) الإيقاع : عيبه الناس (٢) نعم : جمع نعمة . والنعمة :
 المكافأة : بالعقوبة (٣) حنه : أى ميله عن جهة المقصد
 (٤) الاسآد : السير السريع ، والنق : شحم الناقة ، والمهمه : المفازة
 والإنضاء : الاجهاد — والمعنى : تبئت هذه الناقة تسرع فى السير ،
 والاجهاد يسرع فى إذابة شحمها كاسراعها فى قطع المفازة

وَيَقُولُ فِي الْمَدْحِ :

أَنِّي يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمُ ؟

وَأَبُوكَ وَالشَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ

وَيَقُولُ فِي يَتِّ آخَرَ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى يَمْدَحُ بِهَا ،

وَالْبَيْتُ لَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَبْلَهُ فِيمَا يَظْهَرُ ،

وَلَا فِيمَا بَعْدَهُ بِشَيْءٍ :

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ

عَلَيْكَ وَلَا قَاوَمْتَ مَنْ لَمْ تَقَاوِمِ

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ ، وَهَذِهِ الْأَجْنَاسُ مِنْ أَيْنَاتِ .

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَعَانِيهَا بَعْدَ اسْتِقْصَاءٍ . وَأَطَاعَتْ

غَوَامِضَهَا بَعْدَ اسْتِعْصَاءٍ^(١) . فَهِيَ مَذْمُومَةٌ السَّلَكِ^(٢) ،

(١) استعصاء : صعوبة (٢) السلك : النظم والتركيب

وَإِنْ أَطَّلَعْتَ مِنْهَا عَلَى أَجْزَلِ الْإِفَادَةِ ، فَكَيْفَ
 إِذَا حَصَلَتْ مِنْهَا عَلَى السَّلَامَةِ بِلَا زِيَادَةٍ ؟ وَكَانَ
 أَيْضًا يَغْفُلُ عَنْ إِصْلَاحِ أَشْيَاءَ مِنْ كَلَامِهِ ، عَلَى
 قُرْبِ ذَلِكَ الْإِصْلَاحِ مِنَ الْفَهْمِ . مِثْلُ قَوْلِهِ يَرِنِي
 أُخْتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

يَا أُخْتُ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ
 كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
 جَعَلَ يَا أُخْتُ خَيْرِ ، وَبِنْتَ خَيْرِ ، كِنَايَةً
 عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ ، وَالْكِنَايَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا
 لِعَلٍّ تَتَّسِعُ فِيهَا التَّهْمُ ، لِأَنَّ الْكِنَايَةَ سَتْرٌ
 وَتَعْمِيَةٌ ، فَمَا بَالُ شَرَفِ النَّسَبِ يُورَى ^(١) عَنْهُ

تَوْرِيَّةٌ^(٢) الْمَعَايِبِ . وَيُكْنَى عَنْهُ ، وَالتَّصْرِيحُ بِهِ
 مِنَ الْمَفَاخِرِ وَالْمَنَاقِبِ . وَقَدْ غَفَلَ عَنْ إِصْلَاحِ هَذَا
 بِلَفْظٍ فَصِيحٍ . وَمَعْنَى صَحِيحٍ . قَدْ كَادَ يَبْرُزُ مِنَ
 الْجَنَانِ^(٣) إِلَى طَرَفِ اللِّسَانِ . وَهُوَ لَوْ فَطِنَ إِلَيْهِ :
 يَا أُخْتَ خَيْرٍ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرٍ أَبٍ

غَنَى بِهَذَا وَذَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
 قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ : وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الَّتِي أَثَبْتُ لَكَ
 فِيهَا مَا دَخَلَ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ ، مِنْ التَّقْصِيرِ
 وَالْغَفْلَةِ وَالْغَلَطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كَافِيَةٌ وَمُعْنِيَةٌ عَنْ إِيرَادِ
 سِوَى ذَلِكَ ، وَإِنْ لَقِيتَهَا بِجَوْدَةٍ بَحْثٍ وَصِحَّةِ قِيَاسٍ

(٢) التورية : الستر والاختفاء . وفي البديع — الاتيان بلفظه

معينات ، قريب وبعيد . فيراد البعيد منهما . ويورى عنه بالقرب

(٣) الجنان : القلب

لَمْ تَحْتَجْ إِلَى كَشْفِ عُيُوبِ أَشْعَارِ النَّاسِ . وَلَعَلَّ
قَائِلًا يَقُولُ : مَا لَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرَكْ سِوَاهُمْ لِمِثْلِهِ
عَلَى مَنْ بَكَتْ ^(١) . وَلِتَفْضِيلِهِ مَنْ عَنْهُ سَكَتَ .
فَقُلْ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ ، الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا ظَنَنْتَ ،
لَمْ أَذْكُرْ إِلَّا الْأَفْضَلَ فَالْأَفْضَلَ . وَالْأَشْهَرَ
فَالْأَشْهَرَ . إِذْ كَانَتْ أَشْعَارُهُمْ هِيَ الْمَرْوِيَّةُ . فَالْحُجَّةُ
بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ هِيَ الْقَوِيَّةُ . فَقَدْ نَقَلْتُهُ عَلَى مَنْ مِيلِي
عَلَيْهِمْ . إِلَى مِيلِي بِالْحَقِّ إِلَيْهِمْ . قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ :
فَأَمَّا نَقْدُ الْمُسْتَحْسَنِ : فَمَثَلُهُ لَكَ يَعْظُمُ وَيَتَّسِعُ
لِكَثْرَتِهِ ، فَلَا يَسَعُنَا إِرَادُهُ ، وَلَكِنْ مَا سَلِمَ مِنْ
جَمِيعِ مَا أَوْرَدْنَاهُ فَهُوَ فِي حَيْزِ السَّالِمِ . ثُمَّ تَتَّسِعُ

(١) بكت : استقبله بما يكره . وغلبه بالحجة

طَبَقَاتُ الْجُودَةِ فِيهِ . وَأَحْسَنُ مِنْهُ مَا اعْتَدَلَ مَبْنَاهُ .
 وَأَغْرَبَ مَعْنَاهُ . وَزَادَ فِي مَحْمُودَاتِ الشُّعْرِ عَلَى
 سِوَاهُ . ثُمَّ يُمدِّحُ الْأَدَوْنَ فَأَلَاءَ دُونَ بِمِقْدَارِ انْحِطَاطِهِ
 إِلَى حَيْزِ السَّلَامَةِ . ثُمَّ لَا مَدْحٌ وَلَا كَرَامَةٌ .
 قَالَ مُحَمَّدٌ فَقُلْتُ : اللَّهُ دَرُكُ يَا أَبَا الرِّيَّانِ ،
 فَمَا أَلَيْنَ جَانِبَكَ . وَمَا أَقْرَبَ غَائِبِكَ . وَمَا أَلْحَحَ
 طَالِبَكَ . وَمَا أَسْعَدَ صَاحِبَكَ . فَقَالَ : أَنْجَحَ اللَّهُ
 مَطَالِبَكَ . وَقَضَى مَا رُبِكَ . وَصَنَى مِنَ الْقَدَى
 مَشَارِبَكَ . وَبَتَّ فِي الْخَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي مَنَاقِبَكَ
 تَمَّتِ الْمَقَامَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِمَسَائِلِ الْإِنْتِقَادِ
 بِلُطْفِ الْفَهْمِ وَالِاِقْتِصَادِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا وَصَلَاتُهُ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ

وَقَدْ آتَيْنَاكَ أَنْ نَنْتَقِلَ بِكَ إِلَى تِلْكَ الدَّوْحَةِ
 الْفَارَعَةِ الْفَيْنَانَةِ ، وَتِلْكَ الرَّوْضَةِ الْأَنْفِ (١) الْحَسَّانَةِ
 فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، نَعْنِي بِهَا مُخْتَارَاتِ شَيْخِنَا فِي بَابِ
 الْخُطْبِ الْعَرَبِيِّ ، لِمَصَاقِيعِ (٢) بُلْغَائِهَا ، وَمُفْتَرَعِي (٣) عُذْرَةِ
 بَيَانِهَا وَحَامِلِي الْأَوِيَةِ فُنُونِهَا ، وَمَالِكِي أَعْنَةِ زِمَامِهَا .
 قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :



الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ
 عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا
 مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ

(١) الأنف : الفيحاء ، لم تمس (٢) جمع مصقع : وهو البلغ
 (٣) افتراع العذرة : فض البكارة ، والمراد ، أوائل البلغاء ومقدموهم .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَوَجَدْتُ
 فِي بَعْضِهَا : « أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ
 وَأَحْشُكُمْ^(١) عَلَى طَاعَتِهِ . وَوَجَدْتُ فِي خُطْبَةٍ لَهُ
 بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ
 لَكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ
 نِهَآيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَآيَتِكُمْ ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ :
 أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِهِ ، وَأَجَلٍ
 قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ
 لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنْ
 الشَّبَابَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ ؛
 وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ يُدِيرُهُ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ،

وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » وَوَجَدْتُ
كُلَّ خُطْبَةٍ مِفْتَاحُهَا الْحَمْدُ إِلَّا خُطْبَةَ الْعِيدِ ، فَإِنَّ
مِفْتَاحَهَا التَّكْبِيرُ . وَتَكْبِيرُ الْإِمَامِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ
عَنِ الْمِنْبَرِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ تَكْبِيرَةً .



وَمِنْهَا خُطْبَةُ قُسٍّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ :
وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رَأَيْتُهُ بِسُوقٍ عُكَاظَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ وَهُوَ يَقُولُ :
أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا وَعُودُوا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ
مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
فِي هَذِهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ، مَطَرٌ وَنَبَاتٌ ، وَأَبَاءٌ
وَأُمَّهَاتٌ ، وَذَاهِبٌ وَآتٍ ، ضَوْءٌ وَظَلَامٌ ، وَبِرٌّ

وَأَثَامٌ ، لِبَاسٌ وَمَرَكَبٌ ، وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ ،
وَنُجُومٌ تَنُورُ ، وَبُحُورٌ لَا تَغُورُ . وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ،
وَمِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَلَيْلٌ دَاجٌ ^(١) ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ^(٢)
مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا
بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا ، أَمْ حُبِسُوا فَنَامُوا . وَهُوَ الْقَائِلُ :
يَا مَعْشَرَ إِبَادِي ، أَيْنَ تُمُودُ وَعَادٌ ، وَأَيْنَ الْآبَاءُ
وَالْأَجْدَادُ . أَيْنَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي لَمْ يُشْكَرْ ، وَالظُّلْمُ
الَّذِي لَمْ يُنْكَرْ . أَقْسَمَ ^(٣) قُسٌّ بِاللَّهِ . إِنَّ لِلَّهِ لَدِينًا
هُوَ أَرْضَى مِنْ دِينِكُمْ هَذَا .

(١) داج : مظلم (٢) أبراج السماء اثنا عشر برجاً وهي الحمل
والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس
والجدى والدلو والحوت (٣) يدل هذا على أن قسّاً كان من هؤلاء
الموحدين في الجاهلية . ومثله كان زهير بن أبي سلمى على ما يفهم من معلقته



وَمِنْهَا خُطْبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوُدَّاعِ حَيْثُ قَالَ :

خطبة
الذي صلى
الله عليه
وسلم :
في حجة
الوداع .

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ . وَنَسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ ،
وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ،
مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ
اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْشُكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِحُ
بِاللَّهِ هُوَ خَيْرٌ ، أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ . اِسْمَعُوا
مِنِّي أَيْنَ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي ، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ

بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ
 دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا
 رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ،
 فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ،
 فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ ، فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى الَّذِي ائْتَمَنَهُ
 عَلَيْهَا ، وَإِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ
 رَبٍّ أَبْدَأُ بِهِ ، رَبًّا عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،
 وَإِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ . وَأَوَّلُ دَمٍ أَبْدَأُ بِهِ ،
 دَمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،
 وَإِنَّ مَا ثَرَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، غَيْرَ السَّدَانَةِ^(١)
 وَالسَّقَايَةِ^(٢) . وَالْعَمْدُ قَوْدٌ ، وَشِبْهُ الْعَمْدِ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا

(١) السدانة : خدمة الكعبة (٢) السقاية : سقى الحجيج

وَالْحَجَرِ، وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٍ ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَاهِلِيَّةِ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَّبِعُ
أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ
يُطَاعَ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ .
أَيُّهَا النَّاسُ : « إِنَّمَا النَّسِيءُ ^(١) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ،
يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عَامًا ، وَيُحَرِّمُونَهُ
عَامًا ، لِيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » . وَإِنَّ
الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ « ثَلَاثَةٌ

(١) النَّسِيءُ : التَّأْخِيرُ وَالتَّأْجِيلُ

مُتَوَالِيَاتٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ ، ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ،
 وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ،
 أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ . أَيُّهَا النَّاسُ :
 إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ،
 لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطَّئَنَّ فَرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا
 يُدْخِلَنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ،
 وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ
 لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
 وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ ،
 فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النَّسَاءُ
 عِنْدَكُمْ عَوَارٍ^(٢) لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ،

أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ
بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ
خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، أَيُّهَا النَّاسُ :
« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مُسْلِمٍ
مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبٍ نَفْسِهِ عَنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ،
اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَارًا يَضْرِبُ
بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ
مَا إِنِ اخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ كِتَابَ اللَّهِ ،
أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، أَيُّهَا النَّاسُ :
إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ
لِأَدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ

إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، قَالَ :
 فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ ^(١) الْغَائِبَ . أَيُّهَا النَّاسُ :
 إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ،
 فَلَا يَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا تَجُوزُ وَصِيَّتُهُ فِي
 أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ .
 مَنْ دُعِيَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ،
 فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ
 مِنْهُمْ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



(١) في البيان والتبيين نقص كلمة منكم

وَمِنْهَا مَا رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ^{خطبة}
 قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ قَالَ حَدَّثَنِي الطَّنَافِيسِيُّ عَنْ ^{أبي بكر} رَضِيَ اللَّهُ ^{عنه}
 مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُكَيْمٍ قَالَ :
 خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ ، وَأَنْ
 تَتَّقُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَتَخْلَطُوا الرَّغْبَةَ ^(١) بِالرَّهْبَةِ ^(٢) ،
 وَالْإِلْحَافَ ^(٣) بِالْمَسْأَلَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى زَكْرِيَّا
 وَأَهْلٍ يَتِيهِ فَقَالَ : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
 وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) ثُمَّ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدِ ارْتَهَنَ ^(٤)

(١) الرغبة : المحبة (٢) الرهبة : الخوف (٣) الإلحاف : الإلحاح
 وكثرة السؤال (٤) ارتهن الشيء منه : أخذه رهنا

بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَكُمْ ^(١) ،
 وَاشْتَرَى مِنْكُمْ الْقَلِيلَ ^(٢) الْفَاقِيَ بِالْكَثِيرِ ^(٣) الْبَاقِي .
 هَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا يُطْفَأُ
 نُورُهُ ، فَصَدِّقُوهُ وَانْتَصِحُوهُ ^(٤) وَاسْتَضِيئُوا مِنْهُ لِيَوْمِ
 الظُّلْمَةِ . ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ تَعْدُونَ وَتَرُوحُونَ ^(٥) فِي
 أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عِلْمُهُ عَنْكُمْ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ إِلَّا يَنْقُضِ
 إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ لِلَّهِ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ
 إِلَّا بِاللَّهِ . فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ ^(٦) ؛ فَإِنَّ قَوْماً جَعَلُوا
 آجَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ وَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنَّهُمْ كُمْ أَنْ تَكُونُوا

(١) المواقف : العهود (٢) يريد متاع الدنيا : لقوله تعالى « قل
 متاع الدنيا قليل » (٣) يريد نعيم الجنة . فانه كثير دائم . « ما عندكم ينفد
 وما عند الله باق » (٤) انتصحوه : اقبلوا نصحه
 (٥) الغدو : أول النهار . الرواح : آخر النهار . (٦) المهل : التؤدة

أَمْثَلَهُمْ ، وَالْوَحَا^(١) الْوَحَا ، وَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ ! فَإِنَّ مِنْ
وَرَائِكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا^(٢) مَرُّهُ ، سَرِيعًا سَيْرُهُ .

وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ : أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ
إِخْوَانِكُمْ ! قَدْ انْتَهَتْ عَنْهُمْ الْأَعْمَالُ ، وَوَرَدُوا عَلَى
مَا قَدَّمُوا ، وَحَلُّوا عَلَيْهِم بِالشَّقْوَةِ^(٣) وَالسَّعَادَةِ .
أَيْنَ الْجَبَّارُونَ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا
بِالْحَوَائِطِ ! قَدْ صَارُوا تَحْتَ الصَّخْرِ وَالْآكَامِ^(٤) .



وَلَهُ أَيْضًا فِي رِوَايَةٍ . رَوَاهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
مِنْ وَلَدِ أَبِي زَيْدٍ الْقَارِي .

(١) الوحا الوحا : البدار . البدار (٢) حثيثاً : سريعاً
(٣) الشقوة : ضد السعد (٤) الآكام : جمع آكة وهي التل

حَمْدَ اللَّهِ وَاثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :

إِنَّ أَشَقَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُلُوكُ . فَرَفَعَ
النَّاسُ رُؤُوسَهُمْ ؛ فَقَالَ : مَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ النَّاسِ !
إِنَّكُمْ لَطَعَّانُونَ ^(١) عَجِلُونَ ، إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ
زَهَّدَهُ اللَّهُ فِيمَا فِي يَدِهِ ، وَرَغَّبَهُ فِيمَا فِي يَدَيْ غَيْرِهِ ،
وَانْتَقَصَهُ شَطْرَ ^(٢) أَجَلِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ ،
فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَتَسَخَّطُ ^(٣) الْكَثِيرَ ،
وَيَسْأَمُ الرَّخَاءَ ^(٤) ، وَتَنْقَطِعُ عَنْهُ لَذَّةُ الْبَقَاءِ ، لَا يَسْتَعْمِلُ
الْعِبْرَةَ ^(٥) وَلَا يَسْكُنُ إِلَى الثَّقَةِ . فَهُوَ كَالذَّرِّهِمِ الْقَسِيِّ ^(٦)

(١) الطعانون : سريعو الاعتراض (٢) شطر الشيء : نصفه

(٣) يتسخط : لا يرضى (٤) يسأم ييظر (٥) العبرة : الاعتبار

(٦) القسي من الدراهم : الزائف

وَالسَّرَابِ^(١) الْخَادِعِ ، جَذِلٌ^(٢) الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ،
 فَإِذَا وَجَبَتْ^(٣) نَفْسُهُ ، وَلَنَضَبَ^(٤) عُمُرُهُ ، وَضَحَى^(٥)
 ظِلُّهُ ، حَاسِبُهُ اللَّهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ ، وَأَقَلَّ عَفْوَهُ ،
 أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ . وَخَيْرُ الْمُلُوكِ مَنْ
 آمَنَ بِاللَّهِ ، وَحَكَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَسَنَّتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى خِلَافَةٍ نُبُوءَةٍ ، وَمَفْرَقٍ مَحَجَّةٍ^(٦) ،
 وَسَتْرُونَ بَعْدِي مُلْكًا عَضُوضًا^(٧) ، وَأَمَّةً شَعَاعًا^(٨) ،
 وَدَمًا مُفَاحًا^(٩) ، فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ نَزْوَةٌ^(١٠) ، وَلِأَهْلِ

(١) السراب الخادع : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء

(٢) الجذل : الفرج (٣) وجب : سقط ومات (٤) نضب

عمره : انقضى (٥) ضحى ظله : هلك (٦) المحجة : جادة الطريق

أى وسطه (٧) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف (٨) شعاعاً :

متفرقة (٩) الدم المفاح : المراق (١٠) النزوة : الوثبة

الْحَقُّ جَوَلَةٌ ، يَعْفُو لَهَا الْأَثَرُ ، وَتَمُوتُ السُّنَنُ ،
فَالزَّمُوا الْمَسَاجِدَ ، وَاسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، وَالزَّمُوا
الْجَمَاعَةَ . وَلَيْكِنِ الْإِيزَامُ^(١) بَعْدَ التَّشَاوُرِ ، وَالصَّفَقَةُ^(٢)
بَعْدَ طُولِ التَّنَاطُرِ ، أَيْ بِلَادِ لَكُمْ خُرْسَةٌ فَإِنَّ
اللَّهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَقْصَاهَا كَمَا فَتَحَ أَذْنَاهَا .



وَلَهُ أَيْضًا :

أَرَادَ عُمَرُ الْكَلَامَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رِسْلِكَ^(٣) .
نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا
وَأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وُجُوهًا ، وَأَكْثَرُ

(١) أبرم الأمر : أحكمه (٢) الصَّفَقَةُ : يريدنا تمام الأمر على
جميع الأنظار والغنم منها (٣) على رسلك : أى على مهلك

النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسُهُمْ^(١) رَحِمًا بِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقُدِّمْنَا
 فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ،
 وَشُرَكَائُنَا فِي النَّيِّ^(٢) ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، أَوْيْتُمْ
 وَوَأَسَيْتُمْ ، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا ؛ نَحْنُ الْأُمَرَاءُ ،
 وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ؛ لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ
 مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ إِلَّا تَنْفَسُوا^(٣) عَلَى
 إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَا سَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ .



وَلَهُ أَيْضًا :

الْهَيْتَمُ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ

(١) الأمس : الأقرب (٢) النّيء : الغنيمة (٣) نفس عليه :

الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَنَزَلَ مِرْقَاةً^(١)
 مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ
 اللَّهُ وَاثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ .

إِنِّي وَلَيْتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، وَلَكِنَّهُ
 نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 إِعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ^(٢) الثَّقَى ، وَأَنَّ
 أَحَقَّ الْحَقِّ^(٣) الْفُجُورُ^(٤) ، وَأَنَّ أَقْوَأَكُمْ عِنْدِي
 الضَّعِيفُ ، حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَأَضْعَفَكُمْ عِنْدِي
 الْقَوِيُّ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ ، إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ
 بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي^(٥) ، وَإِنْ زُغْتُ^(٦)

(١) مِرْقَاة : درجة (٢) الكيس : العقل (٣) الحق : فساد
 الرأي (٤) الفجور : ارتكاب المعاصي بلا مبالاة (٥) أعينوني :
 ساعدوني (٦) زغت : تحولت

فَقَوِّمُونِي ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ
لِي وَلَكُمْ .



وَمِنْهَا خُطْبَةٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
قَالَ : وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَقَالَ :

خطبة
عمر
رضي الله
عنه

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَرَانِي أَرَى نَفْسِي أَهْلًا لِمَجْلِسِ
أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ مِرْقَاةً ، فَحَمِدَ اللَّهَ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِقْرَءُوا الْقُرْآنَ تَعْرِفُوا بِهِ ،
وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ . إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقُّ
ذِي حَقٍّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . أَلَا وَإِنِّي
أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ وَالِي الْيَتِيمِ :

إِنْ اسْتَغْنَيْتُ عَفَفْتُ^(١) ، وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ
بِالْمَعْرُوفِ ، تَقَرُّمُ^(٢) الْبَهْمَةِ الْأَعْرَائِيَّةِ ، الْقَضْمُ^(٣) ،
لَا الْخَضْمُ^(٤) .



وَمِنْهَا لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
قَالَ : وَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ :
رَحِمَهُمَا اللَّهُ ، لَوْ جَلَسَا هَذَا الْمَجْلِسَ ، مَا كَانَ
بِذَلِكَ مِنْ بَأْسٍ^(٥) ، فَجَلَسَ عَلَى ذِرْوَةِ^(٦) الْمِنْبَرِ
فَرَمَاهُ^(٧) النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَرَكَبٍ^(٨)

خطبة
لعثمان
بن عفان
رضي الله
عنه

(١) عفف : امتنع وترفع (٢) تقررم الصبي والبهيم : أكل أكلًا ضعيفًا
(٣) القضم : الأكل بأطراف الأسنان (٤) الخضم : بأقصى
الأضراس والمراد الأكل الخفيف الذي تدفع إليه الحاجة (٥) البأس :
الخوف ، الشحاحة والمراد هنا : مانع (٦) ذروة الشيء : أعلاه
(٧) رماه الناس : نظروا إليه شذرا (٨) المركب : ما يركب برًا وبحرًا

صَعْبٌ ، وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا ، وَمَا كُنَّا خُطَبَاءَ ،
وَإِنَّ نَعِشَ لَكُمْ تَأْتِيكُمْ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَمِنْهَا لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ
اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرْتُ ، وَأَذَنْتُ^(١) ،
بِوَادَاعٍ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلْتُ فَأَشْرَفْتُ^(٢)
بِاطْلَاعٍ ، وَإِنَّ الْمِضْمَارَ^(٣) الْيَوْمَ ، وَغَدًا السَّبَاقُ ، أَلَا
وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ^(٤) ، فَمَنْ

(١) أذنت : أعلمت (٢) أشرف على الشيء : اطلع عليه
(٣) المِضْمَار : مسافة الفرس في السباق (٤) الأجل غاية الوقت :

والمراد وقت الموت

قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ خَسِرَ
 عَمَلَهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا لِلَّهِ فِي الرَّغْبَةِ ، كَمَا تَعْمَلُونَ لَهُ
 فِي الرَّهْبَةِ ، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَائِلُهَا ،
 وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ
 الْحَقُّ ضَرَّهُ الْبَاطِلُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمَّ بِهِ الْهُدَى
 جَارَ بِهِ الضَّلَالُ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ ^(١) ،
 وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ؛ وَإِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .



وَلَهُ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ .

أَيُّهَا النَّاسُ : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، لَا يَدْعِي

(١) الظنن : الرحيل

مُدَّعٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ . شُغِلَ مَنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ ،
 سَاعَ نَجَا ، وَطَالِبٌ يَرْجُو ، وَمُقَصَّرٌ فِي النَّارِ :
 ثَلَاثَةٌ ؛ وَاثْنَانِ : مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ
 اللَّهُ يَدَيْهِ ، لَا سَادِسَ . هَلَكَ مَنْ اقْتَحَمَ ^(١) ،
 وَرَدِيَ ^(٢) مَنْ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ،
 وَالْوُسْطَى الْجَادَّةُ ^(٣) : مَنَهِجٌ ^(٤) : عَلَيْهِ بَاقِي الْكِتَابِ
 وَآثَارُ النُّبُوَّةِ . إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَدَبَيْنِ :
 السَّوْطِ ^(٥) وَالسَّيْفِ ، فَلَا هَوَادَةَ ^(٦) فِيهِمَا عِنْدَ
 الْإِمَامِ ، فَاسْتَتَرُوا بِبُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلَحُوا ^(٧) ذَاتَ

(١) اقتحم الأمر : رمى نفسه فيه بشدة ومشقة

(٢) ردى : هناك (٣) الجادة : معظم الطريق ، أو وسطه

(٤) المنهج : الطريق الواضح (٥) السوط : آلة الضرب

(٦) الهوادة : الملبين والرفق (٧) أصلحوا ذات بينكم : أحلوا

يَنِّكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ ، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ^(١)
لِلْحَقِّ هَلَكَ ، قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مِلْتَمٌ عَلَى فِيهَا
مِيلَةً لَمْ تَكُونُوا عِنْدِي مَحْمُودِينَ وَلَا مُصِيبِينَ .
وَاللَّهِ أَنْ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ . انْظُرُوا . فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ فَأَنْكِرُوا ، وَإِنْ
عَرَفْتُمْ فَارْزُوا ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ ،
وَاللَّهِ لَئِنْ أُمِرَ^(٢) الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ ، وَلَئِنْ أُمِرَ
الْحَقُّ لَرُبَّ وَلَعَلَّ . مَا أَذْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ ...



(١) أبدى صفحته : أعرض عن الحق (٢) أمر : سلط

وَلَهُ أَيْضًا .

خَطَبَ عَلَى حِينَمَا قُتِلَ عَامِلُهُ بِالْأَنْبَارِ ، فَقَالَ
فِي خُطْبَتِهِ :

يَا عَجَبًا مِنْ جِدٍّ^(١) هُوَ لَاءٍ فِي بَاطِلِهِمْ ، وَفَشَلِكُمْ^(٢)
عَنْ حَقِّكُمْ ، فَقَبَحًا لَكُمْ ، وَتَرَحًا^(٣) حِينَ صِرْتُمْ
غَرَضًا^(٤) يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ وَتُغَزُونَ
وَلَا تُغَزُونَ ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ ، إِنْ أَمَرْتُكُمْ
بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَرِّ ، قُلْتُمْ : حِمَارَةٌ^(٥) الْقَيْظِ
أَمْهَلِنَا ، يَنْسَلِخُ^(٦) الْحَرُّ ، وَإِنْ أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ
إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ : أَمْهَلِنَا ، يَنْسَلِخُ الشِّتَاءُ .

(١) الجِد : الاجتهاد والعجلة (٢) الفشل : التراخي والجبن عند
الشدة (٣) الترح : الحزن (٤) الغرض : الهدف والقصد (٥) حِمَارَةٌ
القيظ : شدته (٦) ينسلخ : يعضى

هَذَا أَوَانُ قُرٍّ^(١) ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنْ الْحَرِّ
وَالْقُرِّ ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ ، يَا أَشْبَاهَ
الرَّجَالِ وَلَا رِجَالٍ ! أَحْلَامُ^(٢) الْأَطْفَالِ ، وَعُقُولُ
رَبَّاتِ الْحِجَالِ^(٣) ، أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي^(٤) بِالْعِصْيَانِ
وَالْخِذْلَانِ^(٥) حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : ابْنُ أَبِي طَالِبٍ
شُجَاعٌ « وَلَكِنْ » لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ ، لِلَّهِ
أَبُوهُمْ ؟ هَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا^(٦) وَأَطْوَلُ
تَجْرِبَةً مِنِّي ؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ،
فَهَآنَا الْآنَ ، قَدْ نَيْفْتُ^(٧) عَلَى السِّتِينَ ، وَلَكِنْ
لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ . يَقُولُهَا ثَلَاثًا .

(١) القر : البرد الشديد

(٢) أحلام : عقول (٣) الحجال : جمع حجل وهو الخلل

(٤) الرأي : الاعتقاد والاصابة في التدبير (٥) الخذلان : ترك

النصرة والاعانة (٦) المراس : الشدة والقوة (٧) نيف : زاد



خطبة
لعاوية

وَلِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ :

بَلَغَنِي عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ : خَطَبَ مُعَاوِيَةُ
فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ،
وَزَمَنٍ شَدِيدٍ ، يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ
الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا^(١) ، لَا تَنْتَفِعُ بِمَا عَامِنَا ، وَلَا نَسْأَلُ
عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا تَخَوْفُ قَارِعَةً^(٢) حَتَّى تُحِلَّ بِنَا .
فَالنَّاسُ أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٌ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةٌ نَفْسِهِ ، وَكَلَالٌ حَدِّهِ ،
وَنَضِيزٌ^(٣) وَفَرِهِ ؛ وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ^(٤) لِسَيْفِهِ ،

(١) العتو : الاستكبار ومجاوزة الحد

(٢) القارعة : النكبة المهلكة (٣) نضيز وفره : قلة ماله

(٤) أصلت السيف : جرده من نحمده

وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، قَدْ أَشْرَطَ ^(١)
نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ ^(٢) دِينَهُ ، لِحِطَامٍ يَنْتَهِرُهُ ، أَوْ مِقْنَبٍ ^(٣)
يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرٍ يَقْرَعُهُ ^(٤) ، وَلِبِئْسَ الْمُتَجَرَّانِ ،
تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمِمَّا عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا ؛ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَطْلُبُ
الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ ^(٥) مِنْ شَخْصِهِ ،
وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخَرَفَ
نَفْسَهُ لِلْإِمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً ^(٦) إِلَى الْمَعْصِيَةِ ؛
وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضَوْوَلَةٌ ^(٧) فِي نَفْسِهِ ،
وَانْقِطَاعٌ مِنْ سَبَبِهِ ، فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَنْ أَمَلِهِ ،

(١) أشرط نفسه لكذا : أعدها وقدمها (٢) أوبق دينه : أهلكه

(٣) المِقْنَب : جماعة الخيل (٤) يقرعه : يعلوه (٥) طامن من

شخصه : خفض (٦) الذريعة : الوسيلة (٧) الضؤولة : الصغر والضعف

فَتَحَلَّى^(١) بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ الزُّهَادِ ، وَلَيْسَ
 مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاكِحَ وَلَا مَغْدَى . وَيَبْقَى رِجَالُ غَضٍّ^(٢)
 أَبْصَارُهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقُ^(٣) دُمُوعِهِمْ خَوْفُ
 الْمَحْشَرِ ، فَهُمْ يَبْنُونَ شَرِيدَ نَادٍ^(٤) ، وَخَائِفٍ مُنْقَمِعٍ^(٥) ،
 وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ^(٦) ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَمُوجِعٍ ثُكْلَانٍ^(٧) ،
 قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ ، وَشَمِلَتْهُمْ الذَّلَّةُ . فَهُمْ فِي بَحْرِ
 أَجَاجٍ^(٨) ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ^(٩) ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ^(١٠) ،
 قَدْ وَعِظُوا حَتَّى مَلُّوا^(١١) ، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا
 حَتَّى قَلُّوا . فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ

(١) تحلى : تزين (٢) غض : خفض (٣) أراق : اسكب

(٤) النادى : النافر الذاهب على وجهه (٥) منقمع : مستخف

ومستتر (٦) مكوم : معقول عن الكلام (٧) الثكلان : الذى

فقد ولده (٨) الأجاج : الملح (٩) الضامر : الضعيف المهزول

(١٠) قرحة : مجروحة (١١) ملوا : سئموا

حُثَالَةَ الْقَرْظِ^(١) ، وَقُرَاضَةِ الْجَلْمِ^(٢) . وَاتَّعَظُوا بِمَنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ،
وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ
أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .



وَلِيزِيدَ ابْنِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ .
خَطَبَ فَقَالَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ حَبَلًا مِنْ
حِبَالِ اللَّهِ ، مَدَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يُمَدَّهُ ، ثُمَّ قَطَعَهُ حِينَ
شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ ؛ وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ ، وَهُوَ خَيْرُ
مِمَّنْ بَعْدَهُ ، وَلَا أَرْكَئِيهِ^(٣) عِنْدَ رَبِّهِ ، وَقَدْ صَارَ إِلَيْهِ .

خطبة
ليزید بن
معاوية
بعد
موت
أبيه

(١) حثالة القرض : ما يسقط من ورق السلم
(٢) قراضة الجلم : (٣) أركئيه : أمدحه

فَإِنْ يَعْفُ عَنْهُ فَبِرَحْمَتِهِ ، وَإِنْ يُعَاقِبُهُ فَبِذَنْبِهِ ،
وَقَدْ وَلَّيْتُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ، وَلَسْتُ أَعْتَذِرُ مِنْ جَهْلٍ ،
وَلَا آسَى عَلَى عِلْمٍ . وَعَلَى رِسَالِكُمْ ! إِذَا كَرِهَ اللَّهُ
أَمْرًا غَيْرَهُ .



خطبة
اعتبة
ابن أبي
سفيان

وَلِعُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ .
أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ :
اخْتَبَسْتُ كُتُبَ مُعَاوِيَةَ حَتَّى أَرْجِفَ (١) أَهْلُ
مِصْرَ بِمَوْتِهِ ، ثُمَّ وَرَدَ كِتَابُهُ بِسَلَامَتِهِ ، فَصَعِدَ
عُتْبَةُ الْمِنْبَرِ وَالْكِتَابُ فِي يَدِهِ فَقَالَ .
يَا أَهْلَ مِصْرَ ! قَدْ طَالَتْ مُعَاتَبَتُنَا إِيَّاكُمْ

(١) أرجف : خاض في الأخبار السيئة

بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَظَبَاتِ^(١) السُّيُوفِ ، حَتَّى صِرْنَا
 شَجَى^(٢) فِي لَهَوَاتِكُمْ ، مَا تُسَيِّغُنَا^(٣) حُلُوقَكُمْ ،
 وَأَقْدَاءَ^(٤) فِي أَعْيُنِكُمْ ، مَا تَطْرُفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ .
 فَحِينَ اشْتَدَّتْ عُرَا الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا ، وَاسْتَرْخَتْ
 عُقْدُ الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا ، أَرْجَفْتُمْ بِالْخَلِيفَةِ ، وَأَرَدْتُمْ
 تَوْهِينَ^(٥) السُّلْطَانِ ، وَخُضْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ،
 وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثٌ . فَأَرْبَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذْ
 خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ ، فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ
 السَّارِّ عَنْهُ ، وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا
 عَلَى أَعْيَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ ، فَاصْلِحُوا لَنَا مَا ظَهَرَ ،

(١) الظبة : حد السيف أو السنان (٢) الشجى : ما اعترض في

الحلق من عظم ونحوه (٣) الشراب السائق : الهوى (٤) القذى : الجسم

الغريب الذى يقع فى العين أو الغمص (٥) توهين : من الوهن وهو الضعف

نَكَلُكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَطَنَ ، وَأَظْهَرُوا خَيْرًا وَإِنْ
أَسْرَرْتُمْ شَرًّا ، فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ ،
وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ وَبِهِ نَسْتَعِينُ .



وَلَهُ أَيْضًا :

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ أَنَّ عُتْبَةَ خَطَبَ أَهْلَ مِصْرَ
حِينَ هَاجُوا^(١) فَقَالَ :

يَا أَهْلَ مِصْرَ خَفَّ عَلَى السِّنْتِكُمْ مَدْحُ الْحَقِّ
وَلَا تَفْعَلُونَهُ ، وَذَمُّ الْبَاطِلِ وَأَنْتُمْ تَأْتُونَهُ ، كَالْحِمَارِ
يَحْمِلُ أَسْفَارًا^(٢) أَثْقَلَهُ حَمْلُهَا وَلَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهَا .
وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدَاوِي أَدْوَاءَكُمْ بِالسَّيْفِ مَا اكْتَفَيْتُ

(١) هاجوا : اضطربوا (٢) الاسفار : الكتب الكبيرة

بِالسَّوْطِ ، وَلَا أَبْلُغُ السَّوْطَ مَا كَفَتْنِي الدَّرَّةُ ^(١) ،
وَلَا أَبْطِيءُ عَنِ الْأُولَى إِنْ لَمْ تَصْلُحُوا عَلَى
الْأُخْرَى ، نَاجِزًا بِنَاجِزٍ ، وَمَنْ حَذَرَ كَمَنْ بَشَّرَ ،
فَدَعُوا قَالَ وَيَقُولُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَالَ فَعَلَ
وَيَفْعَلُ ؛ فَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ عِقَابٌ ،
وَلَا بَعْدَهُ عِتَابٌ .



وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ :

خطبة
لعبد الله
ابن الزبير

خَطَبَ حِينَ قُتِلَ أَخُوهُ مُصْعَبٌ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ .

إِنَّهُ لَنْ يَذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ فَرْدًا ،

(١) الدرة : السوط الذي يضرب به

وَلَنْ يَعْزَّ مَنْ كَانَ أَوْلِيَاءَ^(١) الشَّيْطَانِ حِزْبَهُ ، وَإِنْ
كَانَ مَعَهُ الْأَنَامُ ، أَتَانَا خَبْرٌ مِنْ قِبَلِ الْعِرَاقِ
أَجْزَعَنَا^(٢) وَأَفْرَحَنَا : قَتْلُ مُصْعَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَأَمَّا
الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذْعَةً^(٣)
يَجِدُهَا حَمِيمُهُ^(٤) عِنْدَ الْمُصِيبَةِ بِهِ ، ثُمَّ يَرْعَوِي بَعْدَهَا
ذُو الرَّأْيِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ ، وَكَرِيمِ الْعَزَاءِ ، وَأَمَّا
الَّذِي أَفْرَحَنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَعِلْمُنَا أَنَّ قَتْلَهُ شَهَادَةٌ ،
وَأَنَّ ذَلِكَ لَنَا وَلَهُ الْخَيْرَةُ . أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ
أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، بَاعُوهُ بِأَقْلِّ ثَمَنِ كَانُوا
يَأْخُذُونَهُ بِهِ . إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ حَبَجًا^(٥) وَلَا

(١) أولياء : مناصرون ومعاونون (٢) أجزعنا : أحزتنا

(٣) لذعة : حرقه (٤) الحميم : الخلس

(٥) الحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنه سمناً وربما قتله ذلك

تَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا ، قَعَصًا ^(١) بِالرَّمَا ح ، وَقَصْفًا تَحْتَ
 ظِلَالِ السُّيُوفِ ، لَيْسَ كَمَا تَمُوتُ بَنُو مَرْوَانَ ؛
 وَاللَّهِ إِنْ ^(٢) قُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ .
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَةٌ ^(٣) مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى (الَّذِي
 لَا يَبِيدُ ذِكْرُهُ ، وَلَا يَذِلُّ سُلْطَانُهُ) فَإِنْ تُقْبِلْ عَلَى
 لَا آخِذَهَا أَخَذَ الْبَطَرِ الْأَشْرَ ^(٤) وَإِنْ تُدْبِرْ عَنِّي
 لَا أَبْكُ عَلَيْهَا بُكَاءَ الْخَرْفِ الْمُهْتَرِ ^(٥) ثُمَّ نَزَلَ .

☆
☆ ☆

وَلِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ :

خطبة
لزياد بن
أبيه

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ

(١) قعصه : قتله مكانه (٢) إن : نافية بمعنى ما (٣) العارية :
 ما تملك منفعتة بغير عوض والمقصود الوديعة (٤) البطر الأشتر : الطاغى
 في النعمة (٥) الخرف : الذي فسد عقله بسبب الكبر . المهتر : من
 ذهب عقله بسبب مرض أو كبر أو حزن

ابْنِ أَبِي عَاصِمٍ بِيَعُضِهَا . وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ اَلْهَيْثَمِ
 ابْنِ عَدِيٍّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ زِيَادُ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ
 نَظَرَ إِلَى أَيْيَاتِهَا ، قَالَ : رَبِّ فَرِحَ بِأَمَارَتِي لَنْ تَنْفَعَهُ
 (و) كَارِهِ لَهَا لَنْ تَضُرَّهُ ، فَدَخَلَ وَعَلَيْهِ قَبَائِلُ^(١) أَيْيُضُ ،
 وَرِدَائِهِ صَغِيرٌ ، وَصَعِدَ الْمَنْبَرَ ، نَفَظَ النَّاسَ خُطْبَةً
 بَثْرَاءَ : لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَطَبَهَا ، ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَشَهِدَتْ
 الشُّهُودُ بِمَا قَدْ سَمِعْتُمْ . وَإِنَّمَا كُنْتُ أَمْرًا حَفِظَ اللَّهُ
 مِنْهُ مَا ضَيَّعَ النَّاسُ ، وَوَصَلَ مَا قَطَعُوا ، أَلَا وَإِنَّا قَدْ
 وَلَيْنَا وَوَلَيْنَا الْوَالُونَ^(٢) ، وَسُسُنَا وَسَاسِنَا السَّائِسُونَ^(٣) ،

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٢) الوالون : جمع وال
 وهو الحاكم (٣) السائسون : جمع سائس وهو القائم بالأمر
 التذيل (٢٤)

وَإِنَّا وَجَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ
 عُنفٍ^(١) ، وَلَيْنَ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ . وَايْمُ اللَّهِ مَا مِنْ
 كَذِبَةٍ أَكْبَرَ شَاهِدًا مِنْ كَذِبَةِ إِمَامٍ عَلَى مِنْبَرٍ ؛
 فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَاعْتَمِرُوهَا^(٢) فِيَّ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ
 عِنْدِي أَمْثَالَهَا ، وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَمْرٌ فِيكُمْ بِالْأَمْرِ
 فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ^(٣) . وَايْمُ اللَّهِ إِنَّ لِي فِيكُمْ
 لَصَرَغِي^(٤) كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ
 يَكُونَ مِنْ صَرَغَائِي . وَايْمُ اللَّهِ لَا أَخُذَنَّ الْبَرِيَّ
 بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ،
 حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ، وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ :

(١) العنف : الفسادة . (٢) اغتمزه : طعن عليه (٣) أذلاله :

طرقه ووجوهه (٤) صرعى : جمع صريع بمعنى مصروع وهو المطروح
 على الأرض .

« أَنْجُ سَعْدُ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ ^(١) » فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ الْأَثَمِ التَّمِيمِيُّ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ
 أُوتِيتَ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ ،
 ذَاكَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ الْأَخْنَفُ ، فَقَالَ :
 إِنَّمَا الْمَرْءُ بِجِدِّهِ ، وَالسَّيْفُ بِجِدِّهِ ، وَالْجَوَادُ بِشِدَّةِ ؛
 وَقَدْ بَلَغَكَ جِدُّكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا نَرَى ؛ وَإِنَّمَا الْحَمْدُ
 بَعْدَ الْبَلَاءِ ^(٢) ، وَالشَّائِءُ بَعْدَ الْعَطَاءِ ، وَإِنَّا لَا نُنْتَنِي
 حَتَّى نَبْتَلِيَ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ مِرْدَاسُ بْنُ أُدَيَّةَ ، فَقَالَ :
 قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَإِنَّ خَلِيلَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَدَّى عَنِ اللَّهِ غَيْرَ الَّذِي أَدَّيْتَهُ .

(١) هذا مثل يضرب عند الشدائد في الاستخبار عن الأمرين أيهما وقع

الخير . أم الشر (٢) البلاء : الاختبار

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ^(١)) .
وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَأْخُذُ الْبَرِيَّ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعَ
بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ؛ فَقَالَ لَهُ : اسْكُتْ ،
فَوَاللَّهِ مَا أَجِدُ إِلَى مَا أُرِيدُ سَبِيلًا ، إِلَّا أَنْ أَخُوضَ
إِلَيْهِ الْبَاطِلَ خَوْضًا . ثُمَّ نَزَلَ .

وَقَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى .

حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أُسَوِّهَا بِالْأَرْضِ
هَذْمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَلَجَ ^(٢) اللَّيْلِ ، فَإِنِّي لَا أُوتَى
بِمُدْلَجٍ ^(٣) إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعَوَى
الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ

(١) لا تزر وازرة وزر أخرى : أى لا تحمل نفس آثمة اثم غيرها

(٢) دلج الليل : الساعة التأخرة منه (٣) المدلج : السائر في آخر الليل

لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ^(١) أَحْدَاثًا^(٢) ، وَأَحْدَثْنَا
لِكُلِّ ذَنْبٍ عُقُوبَةً ؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَقْتُهُ ،
وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْتُهُ ، وَمَنْ نَقَبَ يَتًّا نَقَبْتُ
عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ، فَكُفُوا
أَيْدِيَكُمْ وَالسِّنِّتَكُمْ أَكْفَ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ
يَتْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءٌ قَدْ جَعَلْتُهَا دَبْرًا أَدْنِي
وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ ، وَمَنْ كَانَ
مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ
قَتَلَهُ السُّلُّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا^(٣)
وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفَحَتَهُ ،

(١) أَحْدَثْتُمْ : أَوْجَدْتُمْ (٢) أَحْدَاثًا : جَمْعُ حَدَثٍ . وَالْحَدَثُ :

الْأَمْرُ الْحَادِثُ . وَالْأَمْرُ الْمُنْكَرُ الَّذِي لَيْسَ بِمَعْتَادٍ (٣) الْقِنَاعُ : مَا يَسْتُرُ بِهِ الْوَجْهَ

فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ^(١) ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
وَاسْتَأْنِفُوا^(٢) أَمْرَكُمْ .



دَخَلَ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا مُتَنَكِّبٌ^(٣) قَوْسًا عَرَبِيَّةً ،
فَعَلَا الْمُنْبَرَ فَقَالَ :

خطبة
للحجاج
حين
دخل
البصرة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعُ الشَّائِيَا^(٤)

مَتَى أَضْعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرَّ^(٥) عِيدَانَهُ يَنْ يَدِيهِ ،

فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عُودًا وَأَصْلَبَهَا مَكْسِرًا^(٦) ، فَوَجَّهَنِي

(١) أَنَاظِرْهُ : أَمَلْهُ (٢) اسْتَأْنَفُوا : أَخَذَ فِيهِ وَابْتَدَأَ

(٣) تَنَكَّبَ الْقَوْسَ الْقَاَهَا عَلَى مَنْكَبِهِ (٤) الشَّائِيَا : نِهَآيَةُ الْجَبَلِ وَالْمُرَادُ

أَنَّهُ لَا يَبَالِي بِالشَّدَائِدِ (٥) نَثَر : طَرَحَ (٦) أَيْ أَقْوَاهَا وَأَشَدَّهَا .

إِلَيْكُمْ . أَلَا فَوَاللَّهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ^(١) السَّلَمةِ ،
وَلَأَلْحُونَنَّكُمْ لَحْوَ^(٢) الْعُودِ ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ
غَرَائِبِ الْإِبِلِ^(٣) ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ،
وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ : « أُنْجِ سَعْدُ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ » .
أَلَا وَإِيَّايَ وَهَذِهِ السُّفْعَاءُ وَالزَّرَافَاتِ ، فَإِنِّي لَا أُوتَى
بِأَحَدٍ مِنَ الْجَالِسِينَ إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ .



أَرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ نَحَطَبَ فَقَالَ :
إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، أَهْلَ الشَّقَاقِ

خطبة
للحجاج
أيضا

(١) عصبه : قطعه — السلعة : شجرة السنط (٢) لحا العود :

قشره (٣) مثل يضرب للتهديد والانتذار . لأن الإبل الغريبة تضرب

لاضطرابها

وَالنَّفَاقِ ، نَزَغَ^(١) الشَّيْطَانُ يَنْهَمُ ، فَقَالُوا : مَاتَ
 الْحَجَّاجُ وَمَاتَ الْحَجَّاجُ ! فَهَـ^(٢) ! وَهَلْ يَرْجُو
 الْحَجَّاجُ الْخَيْرَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ! وَاللَّهِ مَا يَسْرُنِي
 إِلَّا أُمُوتَ ، وَإِنِّي لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ! وَمَا رَأَيْتُ
 اللَّهَ رَضِيَ بِالتَّخْلِيدِ إِلَّا لِأَهْوَنِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ إِبْلِيسَ .
 وَلَقَدْ دَعَا اللَّهَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ^(٣) فَقَالَ (رَبِّ اغْفِرْ
 لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ،
 فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ إِلَّا الْبَقَاءَ . فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَيُّهَا
 الرَّجُلُ ! وَكُلُّكُمْ ذَلِكَ الرَّجُلُ ! . كَأَنِّي وَاللَّهِ
 بِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا . وَبِكُلِّ رَطْبٍ^(٤) يَابِسًا^(٥)

(١) نزغ : أغرى (٢) مه مه اكفف (٣) يعني به داود
 عليه السلام (٤) الرطب : الندى (٥) اليابس : الجاف

وَنُقِلَ فِي ثِيَابٍ أَكْفَانِهِ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرُعٍ طُولًا فِي
 ذِرَاعٍ عَرْضًا ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَصَّتْ
 صَدِيدَهُ^(١) ، وَأَنْصَرَفَ الْحَبِيبُ مِنْ وَلَدِهِ يَقْسِمُ
 الْخَبِيثَ مِنْ مَالِهِ ؛ إِنَّ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ يَعْلَمُونَ
 مَا أَقُولُ ، ثُمَّ نَزَلَ .



خَطَبَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ ،
 وَقَدْ اسْتَخَلَقْتُ عَلَيْكُمْ ابْنِي هَذَا ، وَأَوْصِيَّتُهُ بِخِلَافِ
 مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وَسَلَّم)
 فِي الْأَنْصَارِ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَى أَنْ يُقْبَلَ مِنْ

خطبة
أخرى
للحجاج
حين
أراد
الحج

(١) الصديد : القيح المختلط بالدم

مُحْسِنِهِمْ ، وَأَنْ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَمَرْتُهُ
 أَلَّا يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَلَا يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ .
 أَلَا وَإِنَّكُمْ سَتَقُولُونَ بَعْدِي مَقَالَةً لَا يَمْنَعُكُمْ
 مِنْ إِظْهَارِهَا إِلَّا مَخَافَتِي ، سَتَقُولُونَ بَعْدِي :
 لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّحَابَةَ ! أَلَا وَإِنِّي مُعَجِّلٌ
 لَكُمْ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الْخِلَافَةَ ،
 ثُمَّ نَزَلَ .



خَطَبَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : سَوِّطِي سَيْفِي ،
 فَجَادَهُ^(١) فِي عُتْقِي ، وَقَاتَمَهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابَهُ^(٢)

خطبة
للحجاج
أيضاً في
إظهار
الجبروت

(١) النجاد : حمالة السيف (٢) ذبابة : طرفه الذي يضرب به

قِلَادَةٌ^(١) لِمَنْ اغْتَرَّ بِي ! فَقَالَ الْحَسَنُ : بُؤْسًا^(٢)
لِهَذَا ! مَا أَغَرَّهُ بِاللَّهِ ! .

وَحَلَفَ رَجُلٌ بِالطَّلَاقِ أَنَّ الْحَجَّاجَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ
أَتَى امْرَأَتَهُ فَمَنَعَتْهُ نَفْسَهَا ؛ فَأَتَى ابْنَ سِيرِينَ يَسْتَفْتِيهِ ؛
فَقَالَ : يَا بْنَ أَخِي ، إِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ
الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضُرَّكَ أَنْ تَزِنِي .



حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ ^{خطبة} ^{لعمر بن}
^{عبد} ^{العزير} ^{رحمة الله} ^{عليه} شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ،
قَالَ :

(١) القِلَادَةُ : ما يجعل حول العنق (٢) البؤس : الشدة والفقر

كَانَ آخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَ بِهَا عُمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
 رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَنَّ حَمْدَ اللَّهِ وَائْتَنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
 أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا^(١) ، وَلَنْ تُتْرَكُوا
 سُدًى ، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ لِلْحُكْمِ
 فِيكُمْ وَالْفَصْلِ بَيْنَكُمْ ، فَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ
 مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَحَرَّمَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ .
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ غَدًا إِلَّا مَنْ حَذَرَ الْيَوْمَ
 وَخَافَ ، وَبَاعَ نَافِدًا بِيَاقٍ ، وَقَلِيلًا بَكْثِيرٍ ، وَخَوْفًا
 بِأَمَانٍ ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابٍ^(٢) الْمَالِكِينَ ،
 وَسَتَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْبَاقِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى تُرَدَّ

(١) العبث : العمل الذى لا يرجى منه غاية (٢) الأسلاب : ثياب

المتآتم . والمراد بها تراث الموتى

إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ ! ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشِيعُونَ
 غَادِيًا وَرَائِحًا إِلَى اللَّهِ قَدْ قَضَىٰ نَجْبَهُ ^(١) ، حَتَّى
 تُغَيِّبُوهُ فِي صَدْعٍ ^(٢) مِنَ الْأَرْضِ فِي بَطْنِ صَدْعٍ غَيْرِ
 مُوسَدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ ^(٣) ، قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ وَبَاشَرَ
 التُّرَابَ وَوَاجَهَ الْحِسَابَ ، فَهُوَ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ ، غَنِيٌّ
 عَمَّا تَرَكَ ، فَقِيرٌ إِلَىٰ مَا قَدَّمَ فَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ انْقِضَاءِ
 مَوَاقِفِهِ وَنُزُولِ الْمَوْتِ بِكُمْ ! أَمَّا إِنِّي أَقُولُ
 هَذَا وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا
 عِنْدِي ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَ
 رِدَائِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ .

(١) قضى نجبه : مات (٢) الصدع : الشق

(٣) موسد : له وسادة : (مخدة) لامهد : لامهاد له : غير مفروش



خَطَبَ فَذَكَرَ اللَّهَ وَجَلَّالَهُ ثُمَّ قَالَ : كُنْتَ
كَذَلِكَ مَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ ، لَا يَعْلَمُ كَيْفَ أَنْتَ
إِلَّا أَنْتَ ، ثُمَّ ارْتَأَيْتَ أَنْ تَخْلُقَ الْخَلْقَ فَمَاذَا جِئْتَ
بِهِ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِكَ ، الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ مِنْ
خَلْقِكَ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ مِنْ ذَرِّكَ^(١) : مِنْ صُنُوفِ
أَفْوَاجِهِ^(٢) وَأَفْرَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ ، كَيْفَ أَدَجَّجْتَ قَوَائِمَ
الذَّرَّةِ وَالْبَعُوضَةِ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ
الْأَشْبَاحِ الَّتِي امْتَزَجَتْ بِالْأَرْوَاحِ !

خطبة
لخالد بن
عبد الله
يوم عيد



وَخَطَبَ يَوْمًا فَسَقَطَتْ جَرَادَةٌ عَلَى ثَوْبِهِ فَقَالَ :

خطبة
له أيضا

(١) الذرة : النملة الصغيرة (٢) الأفواج : الجماعات

سُبْحَانَ مَنْ الْجَرَادَةُ مِنْ خَلْقِهِ ، أَدْمَجَ قَوَائِمَهَا ،
وَطَوَّقَهَا جَنَاحَهَا ، وَوَشَّى^(١) جِلْدَهَا ، وَسَلَّطَهَا عَلَى
مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا .



أَيُّهَا النَّاسُ ، إِحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَخَذُوا
الْأَنْفُسَ بِضَمِيرِهَا ، فَإِنَّهَا أَسْوَأُ^(٢) شَيْءٍ إِذَا أُعْطِيَتْ
وَأَعْصَى شَيْءٌ إِذَا سُئِلَتْ . وَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ^(٣)
عَنْ مُحَارِمٍ^(٤) اللَّهُ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ .

(١) وشى جلدها : حسنه ونقشه (٢) وفي بعض النسخ أسوك :
من ساك الرجل اذا مشى مشياً ضعيفاً وهو غامض المعنى والأظهر ما قلناه
لك . ويؤيده (ان الانسان ليظنى ان رآه استغنى) (٣) الصبر : البعد
والكف (٤) محارم : جمع محرم . والمراد كل ما حرمه الله



خطبة
سليمان
ابن عبد
الملك

إِنَّ الدَّارَ دَارُ غُرُورٍ وَمَنْزِلُ بَاطِلٍ ، تَضْحِكُ بِأَكْبَارِهَا
وَتُبْكِي صَاحِبَهَا ، وَتُخِيفُ آمِنًا وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا ، وَتُفْقِرُ
مُثْرِيًا وَتُثْرِي مُقْتَرًا^(١) ، مَيَّالَةٌ غَرَارَةٌ لَعَابَةٌ بِأَهْلِهَا !
عِبَادَ اللَّهِ ! اتَّخِذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا ، وَارْتَضُوا بِهِ
حَكَمًا ، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ قَائِدًا ، فَإِنَّهُ نَاسِخٌ لِمَا كَانَ
قَبْلَهُ وَلَمْ يَنْسَخْهُ كِتَابٌ بَعْدَهُ . إِعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ !
أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَجْلُو^(٢) كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَمَا يَجْلُو
ضَوْءُ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ^(٣) ، ظِلَامَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ^(٤) .

(١) مقترأ من أقر الرجل : أى افتقر (٢) يجلو : يسحق ويبيد

(٣) تنفس الصبح : طلع النهار وظهر (٤) عسس : جن وأظلم



خطبة
يزيد
ابن
الوليد
بعد
قتله
الوليد

حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ،
وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ أَشْرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا حِرْصًا عَلَى
الدُّنْيَا وَلَا رَغْبَةً فِي الْمُلْكِ ، وَمَا بِي إِطْرَاءٌ ^(١) نَفْسِي ،
وَإِنِّي أَظْلُومٌ لَهَا إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي اللَّهُ ، وَلَكِنْ
خَرَجْتُ غَضَبًا لِلَّهِ وَدِينِهِ ، دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سُنَّةِ
نَبِيِّهِ ، لِمَا هُدِمَتْ مَعَالِمُ الْهُدَى ، وَأُطْفِئَ نُورُ
أَهْلِ التَّقْوَى ، وَظَهَرَ الْجَبَّارُ ^(٢) الْعَنِيدُ ، الْمُسْتَحِلُّ
لِكُلِّ حُرْمَةٍ ، وَالرَّاكِبُ لِكُلِّ بِدْعَةٍ ، الْكَافِرُ
بِیَوْمِ الْحِسَابِ ، وَإِنَّهُ لَا بَنُ عَمِّي فِي النَّسَبِ وَكَفِيئِي ^(٣)
فِي الْحَسَبِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي

(١) الاطراء : الدح (٢) الجبار : العاتى (٣) كفيئى : نظيرى
التذيل (٢٥)

أَمْرِهِ ، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَكِلَنِي إِلَى نَفْسِي ، وَدَعَوْتُ
إِلَى ذَلِكَ مَنْ أَجَابَنِي مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِي ، حَتَّى
أَرَّاحَ اللَّهُ مِنْهُ الْعِبَادَ ، وَطَهَّرَ مِنْهُ الْبِلَادَ ، بِحَوْلِهِ
وَقُوَّتِهِ ، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لَكُمْ عَلَىَّ أَلَّا أَضَعَ حَجَرًا
عَلَى حَجَرٍ ، وَلَا لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ ، وَلَا أَكْرِى^(١)
نَهْرًا ، وَلَا أَكْنِزَ مَالًا ، وَلَا أُعْطِيَهُ زَوْجًا وَلَا وَلَدًا ،
وَلَا أَنْقُلَهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى أُسَدَّ ثَغْرُ^(٢) ذَلِكَ
الْبَلَدِ وَخَصَاصَةَ^(٣) أَهْلِهِ ، فَإِنْ فَضَلَ فَضْلٌ نَقَلْتُهُ

(١) أَكْرِى : أَحْفَر . (٢) الثَّغْرُ : الْبَلَدُ عَلَى حُدُودِ الْعَدُوِّ تَقُومُ
عَلَيْهِ حِرَاسَةُ الْجُنْدِ . يَرِيدُ تَقْوِيَةَ الدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ وَفِي بَعْضِ النُّسخِ
فَقْرٌ : بَدَلُ ثَغْرٍ وَهُوَ كَمَا لَا يَنْخَفِ غَيْرُ ظَاهِرِ (٣) الْخَصَاصَةُ : الْفَقْرُ

إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي يَلِيهِ . وَلَا أُجْمِرْكُمْ^(١) فِي بُعُوثِكُمْ
فَأَفْتِنَكُمْ وَأَفْتِنَ أَهْلِيكُمْ ، وَلَا أُغْلِقَ بَابِي دُونَكُمْ
فِي كُلِّ قَوِيَّتِكُمْ ضَعِيفِكُمْ ، وَلَا أُحْمِلَ عَلَى أَهْلِ
جَزَيْتِكُمْ مَا أُجْلِيهِمْ بِهِ عَنْ بِلَادِهِمْ ، وَأَقْطَعُ بِهِ
نَسْلَهُمْ . وَلَكُمْ عَلَى إِدْرَارِ الْعَطَاءِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ،
وَالرِّزْقِ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، حَتَّى يَسْتَوِيَ بِكُمْ الْحَالُ ،
فَيَكُونَ أَفْضَلُكُمْ كَأَدْنَاكُمْ . فَإِنْ أَنَا وَفَيْتُ لَكُمْ ،
فَعَلَيْنَاكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَحُسْنُ الْمُوَاظَرَةِ
وَالْمُكَاتَفَةِ^(٢) ، وَإِنْ لَمْ أَفِ لَكُمْ ، فَلَكُمْ
أَنْ تَخْلَعُونِي ، إِلَّا أَنْ تَسْتَتِيبُونِي^(٣) ، فَإِنْ أَنَا تَبْتُ

(١) تجمير العساكر : حبسهم في بلاد العدو ولم يقفلهم . وفي الحديث

« لا تجمروا الجيش ففتنواهم » . وفي البيان : تغوركم (٢) المكاتفة :

المعاونة (٣) تستتيبونى : تطالبونى بالتوبة

قَبِلْتُمْ مِنِّي ، وَإِنْ عَرَفْتُمْ أَحَدًا يَقُومُ مَقَامِي مِمَّنْ
يُعْرِفُ بِالصَّلَاحِ يُعْطِيكُمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَ الَّذِي
أَعْطَيْتُكُمْ ، فَأَرَدْتُمْ أَنْ تُبَايَعُوهُ ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ
بَايَعَهُ ، وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ
الْخَالِقِ . وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ
لِي وَلَكُمْ .

فَلَمَّا بَوَّعَ مَرْوَانَ نَبَشَهُ وَصَلَبَهُ . وَكَانُوا
يَقْرَأُونَ فِي الْكُتُبِ : يَا مُبَذِّرَ الْكُنُوزِ ،
وَيَا سَجَّادًا^(١) بِالْأَسْحَارِ^(٢) ، كَانَتْ وَلَايَتُكَ لَهُمْ
رَحْمَةً ، وَعَلَيْهِمْ حُجَّةٌ ، أَخَذُوكَ فَصَلَبُوكَ .

(١) السجاد : كثير السجود
والسحر : آخر الليل
(٢) الأسحار : جمع سحر .



خَطَبَ أَبُو حَمْزَةَ الْخَارِجِيُّ بِمَكَّةَ فَذَكَرَ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَا هُمُ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَوَلِيَّ
 عُثْمَانَ فَسَارَ سِتِّ سِنِينَ بِسِيرَةِ صَاحِبِيهِ وَكَانَ دُونَهُمَا ،
 ثُمَّ سَارَ فِي السِّتِّ الْأَوَاخِرِ بِمَا أُحْبِطَ^(١) بِهِ
 الْأَوَائِلَ ، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ . وَوَلِيَّ عَلِيٍّ فَلَمْ يَبْلُغْ
 مِنَ الْحَقِّ قَصْدًا ، وَلَمْ يَرْفَعْ لَهُ مَنَارًا ، ثُمَّ مَضَى
 لِسَبِيلِهِ . ثُمَّ وَلِيَّ مُعَاوِيَةَ لَعِينُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ
 لَعِينِهِ ، اتَّخَذَ عِبَادَ اللَّهِ خَوَلَا^(٢) ، وَمَالَ اللَّهِ دُولًا^(٣) ،

(١) أُحْبِطَ : أَبْطَلَ (٢) خَوَلَا : عَبِيدًا وَإِمَاءَ (٣) دُولًا :

جَمْعُ دَوْلَةٍ : وَالِدَوْلَةٍ : مَا يَتَدَاوَلُهُ الْأَغْنِيَاءُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيُنْخَصُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ .
 وَلَا يَعْطُونَ مِنْهُ إِلَى الْفُقَرَاءِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً
 بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ)

وَدِينَهُ دَغَلًا^(١) ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، فَأَلْعَنُوهُ لَعْنَةُ اللَّهِ .
 ثُمَّ وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، يَزِيدُ الْخُمُورِ ، وَيَزِيدُ
 الْقُرُودِ ، وَيَزِيدُ الْفُهُودِ ، الْفَاسِقُ فِي بَطْنِهِ ،
 وَالْمَأْبُونُ^(٢) فِي فَرْجِهِ ، ثُمَّ اقْتَصَمَهُمْ^(٣) خَلِيفَةُ خَلِيفَةٍ ،
 فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَعْرَضَ عَنْ
 ذِكْرِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ :
 يَا أَكْلُ الْحَرَامِ ، وَيَلْبَسُ الْحُلَّةَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، قَدْ
 ضُرِبَتْ فِيهَا^(٤) الْأَبْشَارُ ، وَهَتَكَتِ^(٥) الْأَسْتَارُ ، حَبَابَةٌ
 عَنْ يَمِينِهِ^(٦) ، وَسَلَامَةٌ عَنْ يَسَارِهِ تُغْنِيَانِهِ ، إِذَا حَتَّى

(١) دغلا : غشا (٢) المأبون : التهم (٣) اقتصمهم : عابهم

(٤) البشرة : الجلد . أى ضرب فى سبيل جمع ثمنها الناس .

(٥) هتكت : فضحت (٦) حباة وسلامة فينتان مغنيتان .

أَخَذَ الشَّرَابُ فِيهِ كُلَّ مَاخَذٍ ، قَدْ (١) ثَوْبَهُ ،
ثُمَّ التَفَتَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَ : أَلَا أَطِيرُ ! نَعَمْ !
طَرُّ إِلَى النَّارِ . ثُمَّ ذَكَرَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : شَبَابُ
وَاللَّهِ مُكْتَهِلُونَ (٢) فِي شَبَابِهِمْ ، غَضِيضَةٌ (٣) عَنِ الشَّرِّ
أَعْيُورُهُمْ ، ثَقِيلَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجُلُهُمْ (٤) ، أَنْضَاءُ (٥) عِبَادَةٍ ،
وَأَطْلَاحُ (٦) سَهَرٍ ، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ،
مُنْحِنَةً أَصْلَابَهُمْ (٧) عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ ، قَدْ أَكَلَتْ
الْأَرْضُ رُكَبَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَجِبَاهَهُمْ ، وَاسْتَقَلُّوا ذَلِكَ
فِي جَنْبِ (٨) اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا السَّهَامَ قَدْ فُوقَتْ (٩) ،

(١) قد : شق (٢) اكتهل : صار كهلًا (٣) غض الطرف :

أنغمضه كناية عن التباعده عن الشر (٤) كتابة عن التقاعد عنه

(٥) انضاء : جمع نضو وهو المهبول (٦) أطلاح : جمع طلح وهو

المهبول (٧) أصلابهم : ظهورهم (٨) جنب الله : حق الله

(٩) فوقت : سددت

وَالرِّمَاحَ قَدْ أُشْرِعَتْ^(١) ، وَالسُّيُوفَ قَدْ أَنْتَضِيَتْ^(٢) ،
وَأَرْعَدَتْ الْكَتِيبَةَ^(٣) بِصَوَاعِقِ الْمَوْتِ ، مَضَى
الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدَمَاءَ^(٤) ، حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى
عُنُقِ فَرَسِهِ ، وَتَخَضَّبَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ بِالْدمَاءِ .
فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاعُ الْأَرْضِ ، وَانْحَطَّتْ إِلَيْهِ طَيْرُ
السَّمَاءِ ، فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ فِي مِنْقَارِ طَائِرٍ ، طَالَمَا بَكَى
صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ، وَكَمْ مِنْ
كَفٍّ زَايَلَتْ^(٥) مِعْصَمَهَا ، طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَوْهَ أَوْهَ^(٦) ،
وَبَكَى ثُمَّ نَزَلَ .

(١) أشرعت : رفعت (٢) انتضيت : أخرجت من أعماقها
(٣) الكتيبة : القطعة من الجيش . وجماعة الفرسان (٤) قدما :
مقداما لا يتراجع (٥) زايلت : فارقت (٦) أوه : كلمة معناها التحزن



خطبة
قطري
الخارجي

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ، فَقَالَ :
 حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنْزِلُوا
 فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّرِيحِ أَجْنَانًا^(١)
 وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ^(٢) جِيرَانًا ،
 فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضِيْمًا ،
 إِنْ أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، أَوْ أَقْحَطُوا^(٣) لَمْ يَقْنَطُوا
 جَمِيعٌ أَوْحَادٌ ، وَجِيرَةٌ أَبْعَادٌ ، لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ ،
 فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ اللَّهُ ، وَابْتَغِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ،
 وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ^(٤) .

(١) أجنان : جمع جنن وهو القبر (٢) الرفات : الأجساد البالية

(٣) أقحطوا : نزل بهم القحط (٤) أى تمسكوا بدينه .

من
خطبة
ليوسف
ابن عمر

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ أَمَلًا
 لَا يَبْلُغُهُ ، وَجَامِعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ ، وَمَانِعٍ
 مَا سَوَّفَ يَتْرُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ
 حَقٍّ مَنَعَهُ ، أَصَابَهُ حَرَامًا ، وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا ، احْتَمَلَ
 إِصْرَهُ^(١) ، وَبَاءَ^(٢) بِوِزْرِهِ ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسِفًا
 لَاهِفًا ، « قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » .

وفي
خطبة
للحجاج

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : سَمِعْتُهُ عَلَى الْمُنْبَرِ يَقُولُ :
 امْرَأٌ زَوَّرَ^(٣) عَمَلَهُ ، امْرَأٌ حَاسَبَ نَفْسَهُ ، امْرَأٌ

(١) إصْرُهُ : إِمْعُهُ . (٢) بَاءَ بِوِزْرِهِ : رَجَعَ بِأَثْمِهِ وَعِقَابِهِ

(٣) زَوَّرَ عَمَلَهُ : حَسَنَهُ وَمِنْهُ تَزْوِيرُ الْكَذِبِ : أَيْ تَحْسِينُهُ . وَامْرَأٌ

مَفْعُولٌ لِفِعْلِ الْمَحْذُوفِ كَأَنَّهُ رَحِمَ وَمَا فِي مَعْنَاهُ

فَكَرَّ فِيمَا يَقْرَؤُهُ فِي صَحِيفَتِهِ ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ،
 أَمِيرًا كَانَ عِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا^(١) ، وَعِنْدَ هَمِّهِ^(٢) أَمِيرًا ،
 أَخَذَ بَعِثَانَ قَلْبِهِ ، كَمَا يَأْخُذُ بِخَطَامِ^(٣) جَمَلِهِ ، فَإِنْ
 قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ
 اللَّهِ كَفَّهُ^(٤) .



خطبة المنصور العباسي .
 خَطَبَ الْمَنْصُورُ بِمَكَّةَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ .
 إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، أُسُوسُكُمْ بِتَوْفِيقِهِ
 وَتَسْدِيدِهِ ، وَتَأْيِيدِهِ وَتَبْصِيرِهِ . وَخَازِنُهُ عَلَى فَيْئِهِ^(٥)
 أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِيدَتِهِ ، وَأَقْسِمُهُ بِإِرَادَتِهِ ، وَأَعْطِيهِ
 بِإِذْنِهِ ، قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قَفْلًا ، إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي

(١) أى لنفسه . (٢) أى عزمه (٣) الخطام : حبل يجعل
 فى عنق البعير (٤) كفه : منعه (٥) الفئ : الغنيمة . والمراد المال .

لَا عِطَائِكُمْ ، وَقَسَمَ أَرْزَاقِكُمْ ، فَتَحَنِي ، وَإِذَا شَاءَ
 أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفَلَنِي . فَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْأَلُوهُ
 فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّرِيفِ ، الَّذِي وَهَبَ لَكُمْ فِيهِ مِنْ
 فَضْلِهِ مَا أَعْلَمُكُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ : « الْيَوْمَ
 أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ،
 وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » أَنْ^(١) يُوقِّفَنِي لِلصَّوَابِ
 وَالرَّشَادِ ، وَيُلْهِمَنِي الرَّأْفَةَ بِكُمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ ،
 وَيَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمَ أَرْزَاقِكُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْكُمْ .



خَطَبَ فَقَالَ : أَحْرَزَ^(٢) لِسَانَ رَأْسَهُ ، اتَّعَظَ أَمْرُوهُ
 بغيرِهِ ، اُعْتَبَرَ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ

خطبة
لداود
ابن علي

الْفَضْلُ^(١) مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ . ثُمَّ
أَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ فَقَالَ : إِنَّ بَكُمْ دَاءً هَذَا دَوَاؤُهُ ،
وَأَنَا زَعِيمٌ^(٢) لَكُمْ بِشِفَائِهِ ، وَمَا بَعْدَ الْوَعِيدِ^(٣)
إِلَّا الْإِيقَاعُ^(٤) .



لَمَّا قَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ عَلَى الْمَنْبَرِ ، قَامَ
بُوجُهُ كَوْرَقَةَ الْمُصْحَفِ ، فَاسْتَحْيَا فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ؛ فَهَضَّ
دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرَ ؛ فَقَالَ الْمَنْصُورُ : فَقُلْتُ :
شَيْخُنَا^(٥) وَكَبِيرُنَا ، وَيَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ ، فَلَا يَخْتَلِفُ
عَلَيْهِ اشْنَانٌ ، فَانْتَضَيْتُ سَيْفِي ، وَغَطَّيْتُهُ بِثَوْبِي ، وَقُلْتُ :

(١) الفضل : الزيادة يقال « سكت عن قدرة ، ونطق عن حكمة »

(٢) زعيم : كفيل وضمين (٣) الوعيد : التهديد (٤) الإيقاع :

الأهلاك (٥) فقلت الح . من مظنون المنصور

إِنْ فَعَلَ نَاجِزُهُ^(١) ؛ فَمَا رَقِيَ عَتَبًا^(٢) ، اسْتَقْبَلَ النَّاسَ
بَوَجْهِهِ دُونَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ،
إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْرَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ فِعْلُهُ ،
وَلَا تُرِ الْفَعَالِ عَلَيْكُمْ أَجْدَى مِنْ تَشْقِيقِ^(٣) الْمَقَالِ ،
وَحَسْبُكُمْ بِيَكْتَابِ اللَّهِ مُمْتَثَلًا فِيكُمْ ، وَابْنِ عَمٍّ
رَسُولِ اللَّهِ خَلِيفَةً عَلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ قَسَمًا بَرًّا لَا أُرِيدُ
إِلَّا اللَّهَ بِهِ ، مَا قَامَ هَذَا الْمَقَامَ أَحَدٌ ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
أَحَقُّ بِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ،
فَلْيُظَنَّ ظَانُّكُمْ ، وَلْيَهْمِسْ هَامِسُكُمْ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : ثُمَّ نَزَلَ وَشِمْتُ^(٤) سَيْفِي .

(١) ناجزه : بارزه وقاتله (٢) عتبا : درج النبر (٣) تشقيق

المقال : تديجه وتحسينه (٤) شام سيفه : أغمده

✱ ✱

أَمَّا بَعْدُ^(١) . فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ خُطْبَةٍ
 بَقَاءٍ ، مُنْخَذُوا أَيُّهَا النَّاسُ لِمَقَرِّكُمْ مِنْ مَمَرِّكُمْ ، وَلَا
 تَهْتَكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ،
 فِي الدُّنْيَا أُحْيَيْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ ، أَقُولُ قَوْلِي
 هَذَا ، وَالْمُسْتَغْفِرُ اللَّهُ ، وَالْمَدْعُوُّ لَهُ الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ
 الْأَمِيرُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ .

✱ ✱

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُسْتَخْلِصِ الْحَمْدِ لِنَفْسِهِ ، وَمُسْتَوْجِبِ خُطْبَةِ
 عَلَى خَلْقِهِ ، أَعْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ
 عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
 لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ

(١) وردت هذه الخطبة في الآمال لأبي على القالي جزء أول ص ٢٥٤

بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

أُوصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُدَّةٍ ، وَالْعَمَلِ
لِمَا عِنْدَهُ ، وَالتَّجَرُّزِ لَوَعْدِهِ ، وَالْخَوْفِ لَوَعِيدِهِ ،
فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ إِلَّا مَنْ اتَّقَاهُ وَرَجَاهُ ، وَعَمِلَ لَهُ
وَأَرْضَاهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ
بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا^(١) مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ،
وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ
أَظْلَمَكُمْ ، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَاذْتَبَهُوا ، وَعَامُوا
أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ
لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً ؛ وَمَا يَنْ

(١) ابتاعوا : اشتروا

أَحَدِكُمْ وَيَبْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ،
وَأِنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ ،
جَدِيرَةٌ^(١) بِقِصْرِ الْمُدَّةِ ، وَإِنْ غَائِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَرِيٌّ^(٢) بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ^(٣) ، وَإِنْ قَادِمًا
يَحُلُّ بِالْفَوْزِ أَوْ بِالشَّقْوَةِ^(٤) ، لَمْسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ ،
فَاتَّقِ عَبْدُ رَبِّهِ ، وَنَصَحْ نَفْسَهُ ، وَقَدِّمْ تَوْبَتَهُ ،
وَغَلَبْ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ
خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ : يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ
لِيَرْكَبَهَا ، وَيُمَيِّنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا ، حَتَّى تَهْجُمَ عَلَيْهِ
مَنِيَّتُهُ ، أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَا لَهَا حَسْرَةً

(١) جديرة : كفيلة (٢) حري : أحق وأجدر (٣) الأوبة :

الرجعة (٤) الشقوة : الشقاء ضد السعادة

عَلَى ذِي غَفْلَةٍ : أَنْ يَكُونَ عُمرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ ، أَوْ
تَوَدِيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ !

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ
نِعْمَةٌ ، وَلَا تُقْصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَتِهِ غَفْلَةٌ ، وَلَا تَحُلُّ
بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَرْعَةً^(١) إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، وَبِيدِهِ
الْخَيْرُ ، وَإِنَّهُ لَفَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ .



إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ أَبَانَ اللَّهُ فَضْلَهُ ، وَأَوْجَبَ
تَشْرِيفَهُ ، وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ ، وَوَفَّقَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ صَفْوَتَهُ ،
وَابْتَلَى فِيهِ خَلِيلَهُ ، وَفَدَى فِيهِ مِنَ الذَّبْحِ نَبِيَّهُ ، وَجَعَلَهُ
خَاتَمَ الْأَيَّامِ الْمَعْلُومَاتِ مِنَ الْعَشْرِ ، وَمَتَقَدَّمَ الْأَيَّامِ

في خطبة
للمؤمنين
يوم
الأضحى
بعد
التكبير
الأول

(١) الفرعة : الخوف والرعب

الْمَعْدُودَاتِ مِنَ النَّفْرِ^(١)، يَوْمٌ حَرَامٌ مِنْ أَيَّامٍ عِظَامٍ فِي
شَهْرٍ حَرَامٍ، يَوْمٌ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، يَوْمٌ دَعَا اللَّهُ إِلَى
مَشْهَدِهِ^(٢) وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَعْظِيمِهِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ:
« وَآذَنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا^(٣) » الْآيَاتِ
فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِذَبَائِحِكُمْ، وَعَظَّمُوا
شَعَائِرَ اللَّهِ، وَاجْعَلُوهَا مِنْ طَيِّبِ أَمْوَالِكُمْ، وَبِصِحَّةِ
التَّقْوَى مِنْ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: « لَنْ يَنَالَ
اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا، وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى
مِنْكُمْ » ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ
ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ، وَارْتَفَعَ

(١) أى تفرق الحجاج بعد الوقوف بعرفة (٢) أى إلى شهوده
وحضوره (٣) رجالاً : مترجلين أى سيراً على أقدامهم

جَزَاءِ الْعَمَلَيْنِ^(١) ، وَطَالَتْ مُدَّةُ الْفَرِيقَيْنِ ، اللَّهُ اللَّهُ !
 فَوَاللَّهِ إِنَّهُ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ ، وَإِنَّهُ الْحَقُّ لَا الْكَذِبُ ،
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ وَالْبَعْثُ ، وَالْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ ،
 وَالْقِصَاصُ وَالصِّرَاطُ ، ثُمَّ الْعِقَابُ وَالثَّوَابُ ، فَمَنْ نَجَا
 يَوْمَئِذٍ فَقَدْ فَازَ ، وَمَنْ هَوَى يَوْمَئِذٍ فَقَدْ خَابَ ،
 الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ فِي النَّارِ .



إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ وَسُنَّةٍ وَابْتِهَالٍ وَرَغْبَةٍ ،
 يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَافْتَتَحَ بِهِ
 حَبَّ يَنْتَهِي الْحَرَامُ ، جَعَلَهُ خَاتِمَةَ الشَّهْرِ ، وَأَوَّلَ أَيَّامِ
 شُهُورِ الْحَبِّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ ،

خطبة
له يوم
الفطر
بعد
التكبير
الأول

(١) المراد بالعملين : عمل الخير ، وعمل الشر . وفي بعض النسخ

العاملين بدل « العملين »

وَمُتَنَفِّلِ قِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ
 فِيهِ الصَّيَّامَ عَلَيْكُمْ ، فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ ،
 وَاسْتَغْفِرُوهُ لِتَفْرِيطِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَبِيرَ مَعَ
 اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِضْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرُ
 وَالتَّحْمِيدُ ، وَذَكَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَالْوَصِيَّةَ
 بِالتَّقْوَى ، ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا
 الْأَمْرَ الَّذِي اعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَضِرْ^(١)
 الشَّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ
 عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَشْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ^(٢)
 قَبْلَهُ تَوْبَةٌ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونُهُ ،
 وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ

(١) احتضر : مثل حضر (٢) تحظر : تمنع

وَعَلَزِهِ ^(١) وَكُرْبِهِ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلُمَتِهِ ، وَضِيقِهِ
وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوُولِ مَطْلَعِهِ ، وَمَسْأَلَةِ ^(٢) مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا
الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَسَنَ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ
قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِغَاثَتُهُ ، وَدَعَا
مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ
مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا
سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مُنِعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ،
فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا
الْمَهْلَ ^(٣) الْمَبْسُوطَ لَكُمْ . وَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ
اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ
لَوْضَعٍ مَوَازِينِكُمْ ، وَلَنْشَرِ صُحُفِكُمْ الْخَافِظَةِ

(١) العلز : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب

(٢) أى سؤالها له (٣) المهل : الأجل .

لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا
يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُمِيلُ^(١) فِي صَحِيفَتِهِ ، الْحَافِظَةُ لِمَا
عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ ، مَا قَالَ الْمُفَرِّطُونَ
عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوُضِعَ
الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ^(٢) مِمَّا فِيهِ »
الْآيَةُ ، وَقَالَ : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ » وَلَسْتُ أَنَهَا كُمْ عَنْ الدُّنْيَا بِأَعْظَمَ مِمَّا
نَهَيْتُكُمْ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّهُ كُلُّ مَا لَهَا يَنْهَى
عَنْهَا ، وَكُلُّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ
مِمَّا رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ، ذِمُّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا ،
وَنَهْيُ اللَّهِ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَعْرَنَّكُمْ الْحَيَاةُ

(١) يميل : يُمِيلُ (٢) المشفقون : الخائفون

الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ^(١) » وَقَالَ : « إِنَّمَا
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ » الْآيَةُ ، فَانْتَفَعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ
 بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
 أَذْرَكْتَهُمْ عِصْمَةً^(٢) اللَّهِ ، فَحَذَرُوا مَصَارِعَهَا ، وَجَانَبُوا
 خَدَائِعَهَا ، وَآثَرُوا طَاعَةَ اللَّهِ فِيهَا ، فَأَذْرَكُوا الْجَنَّةَ بِمَا
 تَرَكَوا مِنْهَا .

وَالْآنَ : يَقِفُ بِنَا الْيَرَاعُ لِنَمْضَى مَعَكَ الْقَوْلَ
 فِي كِتَابِ التَّعْلِيقِ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ، حَيْثُ نَطَالِعُكَ فِيهِ
 بِأَثَرِ أَحَادِيثِ شَيْخِنَا مِنْ نَفْسِنَا ، ثُمَّ نَعْرِجُ بَعْدَئِذٍ
 عَلَى أَسَاتِذَتِنَا ، مِنْ رِجَالَاتِ « دَارِ الْعُلُومِ » فَالصَّدِيقِ
 « صَهَ حُسَيْنٍ » فَأُسْتَاذِي الْمَرْحُومِ « ثُرُوتُ بَاشَا »

(١) الغرور : الشيطان (٢) العصمة : الحفظ من الوقوع في المعاصي

فَنُفِمْ سَوِيًّا إِمَامَةً مُوجَزَةً عَنْ بَسَائِطِ الْأَدَبِ
 الْعَصْرِيِّ ، — وَآثَرِ التَّارِيخِ وَالْبُطُولَةِ فِيهِ —
 مُرْجَيْنِ الْبَسْطَةِ فِي الْقَوْلِ إِلَى مَوَاضِعِهَا مِنْ كُتُبِنَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ
 أُرْسِلَ بِالْحَقِّ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا

(نَمِ الْكِتَابُ)

فهرست

كتاب التذيل على المقدمة

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
التذيل	٥	١٠
المقدمة	١٠	١٢
حرص الكاتب على الحكمة	١٢	١٤
ثقافته	١٤	١٥
تضمينه للشعر والأمثال	١٥	١٧
صفات الكاتب	١٧	١٨
أزياء الكتاب	١٨	١٩
طبقات الكلام	١٩	٢٠
بقية الطبقات	٢٠	٢١
سائر المخاطبين	٢١	٢٣
تخير الألفاظ	٢٣	٢٧
صدور كتب السلف	٢٧	٢٨

الموضوع	الصحيفة	
	الى	من
العبارات المنتقدة	٣٣	٢٨
رعاية الألفاظ والمعاني	٣٤	٣٣
محاكاة القرآن	٣٥	٣٤
ما يسوغ شعراً لا كتابة	٤١	٣٥
فوائح الرسائل وخواتيمها	٤٣	٤١
شأن الدواة في الكتابة	٤٤	٤٣
الأقلام والقراطيس	٤٧	٤٤
النقط والشكل	٤٨	٤٧
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	٤٩	٤٨
إتراب الكتب	٤٩	٤٩
التاريخ	٥٠	٤٩
إسحاء الكتب وختمها	٥١	٥٠
إلصاق القراطيس	٥٢	٥١
قراءة الكتب المختومة	٥٤	٥٢
تخير الألفاظ	٥٥	٥٤

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
أوقات الكتابة	٥٥	٥٧
آراء مختلفة في الكتابة	٥٧	٦٠
المعاني والألفاظ	٦٠	٦٢
بين أبي العتاهية وابن مناذر	٦٢	٦٣
عرض الكتابة على العلماء	٦٣	٦٦
تعرف أقدار الخطاطين	٦٦	٦٧
أبلغ الكلام	٦٧	٦٩
تقدير المعاني	٦٩	٧٠
الرقعة والجزالة	٧٠	٧٢
تنطع الكتاب	٧٢	٧٥
المعاني والألفاظ	٧٥	٧٨
الدال على المعنى	٧٨	٧٩
قدر اللسان	٧٩	٨١
فضيلة الخط والكتابة	٨١	٨٢
» » والقلم	٨٢	٨٣

الموضوع	الصحيفة	من الى
فضيلة البلاغة	٨٥	٨٣
ابن الزيات	٨٨	٨٥
البلاغة	٩٦	٨٨
ختام الرسالة	٩٧	٩٦
الخاتمة	١٠٠	٩٧
البيان	١٢٨	١٠٠
الاستدلال بالعين والاشارة والنصبة	١٣٠	١٢٨
الشعر	١٣٨	١٣٠
حسن التشبيه في الشعر	١٤٨	١٣٨
الأبيات التي لا مثل لها	١٦٣	١٤٨
ألفاظ تقع في كتب العهود	١٦٩	١٦٣
أصحاب السلطان	١٧٢	١٦٩
كتاب العيد	١٧٣	١٧٢
كتاب ييمة	١٧٣	١٧٣
مقروءاتنا على الشيخ	١٧٤	١٧٣

الموضوع	الصحيفة	من الى
الحث على الأدب	١٧٧	١٧٤
تتمة كلام الشيخ	١٨١	١٧٧
أصول فن الأدب	١٨٢	١٨١
فضل الأدب	٢٢١	١٨٢
فصول كتابية	٢٣٧	٢٢١
خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع	٣٤٣	٣٣٧
خطبة أبي بكر رضى الله عنه	٣٥١	٣٤٣
خطبة عمر » » »	٣٥٢	٣٥١
خطبة عثمان » » »	٣٥٣	٣٥٢
خطب على بن أبي طالب رضى الله عنه	٣٥٩	٣٥٣
خطبة لمعاوية	٣٦٢	٣٥٩
خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه	٣٦٣	٣٦٢
خطبتان لعتبة بن أبي سفيان	٣٦٦	٣٦٣
خطبة لعبد الله بن الزبير	٣٦٨	٣٦٦
خطبتان لزياد بن أبيه	٣٧٤	٣٦٨

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
خطبة للحجاج حين دخل البصرة	٣٧٤	٣٧٥
» » أيضاً	٣٧٥	٣٧٧
» » حين أراد الحج	٣٧٧	٣٧٨
» » في إظهار الجبروت	٣٧٨	٣٧٩
» » لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه	٣٧٩	٣٨٢
» » لخالد بن عبد الله	٣٨٢	٣٨٣
» » للحجاج أيضاً	٣٨٣	٣٨٤
خطبة سليمان بن عبد الملك	٣٨٤	٣٨٥
خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد	٣٨٥	٣٨٩
خطبة أبي حمزة الخارجي	٣٨٩	٣٩٣
خطبة لقطرى بن الفجاءة الخارجي	٣٩٣	٣٩٤
من خطبة ليوسف بن عمر	٣٩٤	٣٩٤
من خطبة للحجاج	٣٩٤	٣٩٥
خطبة للمنصور العباسي	٣٩٥	٣٩٦
خطبتان لداود بن علي	٣٩٦	٣٩٩

الموضوع	الصحيفة	
	من	الى
خطبة لأعرابي	٣٩٩	٣٩٩
خطبة المأمون يوم الجمعة	٤٠٢	٣٩٩
خطبة المأمون يوم عيد الأضحى بعد التكبير الأول	٤٠٤	٤٠٢
» » » الفطر » » »	٤٠٨	٤٠٤
الخاتمة	٤٠٩	٤٠٨

